الرقم ٢٢٩٧٧

808
A231dA
C.1

دراسات تفصيلية شاملة

لبلاغة عبد القاهر

في

التشبيه والتمثيل – التقديم والتأخير

ألفها

عبد الهادي العدل

أستاذ البلاغة بكلية اللغة العربية

وضبطها وعلق حواشيها

عبد السلام أبو النجا سرحان

الحائز لشهادة العالمية من درجة
أستاذ في البلاغة والأدب
ومدرس الأدب بالكلية

حقوق الطبع محفوظة لهما

دار الفكر الحديث للطبع والنشر
٤٠ شارع [illegible]

تقديم الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد، فقد كانت كتب الإمام العظيم «عبد القاهر الجرجانى» - ومازالت - هى الدوحة الفينانة التى يتفيأ ظلالها كل باحث عن البلاغة، والمرفأ الأمين الذى يجنح إليه كل غائص على درها، متطلب الوصول إلى جوهرها الثمين.

فهى إلى اليوم مهد الأدب الوثير، ومعين البلاغة الثرار، فى رياضها الفيح تتسابق الأذهان إلى خالص الأساليب، وفى حدائقها الغن تستلهم المعانى الأبكار، وتستوحى مجالى الأسرار.

ولهذا نراها ميدانا فسيحا لمباهج الحياة الأدبية، ومتنزها غضا لنفائس الأدب، وآثار الأدباء، وكم تعرض فى خلالها ألوان البيان المشرقة، وصور المعانى المتألقة، وكم تلمس فى ثناياها عوارف المعارف الشعرية، وأزاهير الغياض الأدبية التى ازدان بها جيد الفن الأدبى فى لغة العرب على مر السنين والحقب.

وتعد فوق هذا وذاك أنموذجا رائعا لفن النقد الأدبى المعتمد على الذوق الخالص، والطبيعة الفطرية، البعيدة عن مظاهر التعسف، وشوائب التكلف، الخالية من جفاء التقعيد، وجفوة التعقيد.

وقد لبث الأدباء والعلماء رَدَحاً من الزمن ينهلون من وردها الصافى أعذب الشراب، ويَمْتَرُون أخلافها فتدر لهم أصفى حلاب، وكان من آثار تلمذتهم لها أن أمكنهم تعرف أسرار الجمال الأدبى، وبرعوا فى فن النقد حتى استطاعوا الوصول إلى نواحى البيان المعجزة، واكتناه غاية الكمال فيه.

وأعقب ذلك اهتمام الناس بعلوم البلاغة ، ومحاولة التأسي بطرائق عبد القاهر في الغوص على مكنوناتها ، بعد أن بهرتهم أساليبه ، وكاد سنا برقها يذهب منهم بالأبصار .

على أن الأيام أبت إلا أن تنكسف هذه الشمس الفطرية المشرقة ، وأن تخبو تلك الجذوة الذوقية المشتعلة ، فشاهت مناهج النقد الأدبي ، وران العجمة على مسالكه ، وخضعت المؤلفات في علوم البلاغة - كغيرها - للتوجيه المنطقي السقيم ، والأسلوب الفلسفي العقيم .

ولهذا نرى البون شاسعا - في الاتجاه الفكري ، وأسلوب العرض الفني ووسائل الفهم والإدراك - بين كتب عبد القاهر وكتب المتأخرين عنه ، أمثال : « المفتاح » ، « وتلخيصه » ، « وإيضاحه » ، وما كتب على هذا أو ذاك من شروح وحواش وتقارير .

ومع أن هؤلاء المؤلفين اتشحوا ثياب عبد القاهر العلمية في كثير من المسائل ، نرى لوثة الاستعجام تخلق جدتها ، فتعجز كل العجز عن إبراز مفاتن الأسلوب الفني ، وتنسيق صوره ، كما أبرز هو وصور . ومن المؤكد أن أكثر هؤلاء المحاكين دخلوا هذا الميدان عزلا من السلاح ، فبدت في أسلوبهم صنعة المماحكين ، واتخذوا اسمة المجادلين ، ففقدت كتابتهم مائيتها ، والتوت على أيديهم أعنتها ، ووضح فقرهم الشديد في البحث والاطلاع ، وكان أبرز مظهر لذلك وقوفهم عند الشواهد الأدبية التي وردت في «متون» السابقين حتى إنها لتبدو متحدة تقريبا في جميع كتبهم .

ولئن ازدهرت دولة العجمة بعد القرن السادس ، وطمس تيارها الجارف بصائر الأفكار ، وأدال دولة الأدب المطبوع ، وأحظى تلك الأساليب المعقدة في دراسة العلوم والآداب لقد ظلت كتب عبد القاهر منارة عالية

الذرى ، ومشعلا لماع السنا ، ولطالما صارعت فصرعت جيوش الدجى ، وكتائب الظلام .

ولهذا انباج فجرها مع فجر النهضة الحديثة ، ولمس زعماء الاصلاح — وعلى رأسهم الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده طيب الله ثراه — ضرورة القبس من جذوتها ، لتعود إلى علوم البلاغة حرارتها الأولى ، ويرجع للذوق الفنى اعتباره الذى قضت عليه عصور الظلمات . وقد تجاوب ذلك مع رغبة ملحة فى وصل ما انقطع من أسباب بين ذخائر العلم الاولى وطالبيه فى العصر الحديث فكان إجماع تام على ضرورة العودة بهم إلى تنسم هذا الاريج العطر الفائح من « أسرار البلاغة ، ودلائل الاعجاز » ، وبهذا يمكن هؤلاء الطلاب أن يرشفوا من مجانى هذا العلم رحيقه ، ويكرعوا فى مجاليه أفاويقه ويتناولوا من جناه مالذلهم وطاب .

على أن الطريق إلى ذلك لم تخل من شوك القتاد إذ ظهرت أزمة فى وفير العدد الكافى من الاساتذة الذين يستطيعون درس مافى الكتابين بروح العصور الادبية الاولى ، وعلى هذا النمط الواسع المدى فى الفهم والادراك ، والنقد والتحليل ، فاستحال على الاستاذ الامام أن يجرد معاصريه من آثار ما درسوا ، ويخلص أفكارهم مما انطبع عليها من أوضار — وآصار ، فاضطر إلى دراسة الكتابين بنفسه فى حلقاته الجامعة بالازهر ، وفى أثناء ذلك حاول جاهداً أن يفتح الطريق لمن حواليه من قدامى ومحدثين .

ومع السبق الزمنى والعلمى لعبد القاهر نرى بعض الناس يحاولون تحكيم نهج المتأخرين فى فهم كتاباته ، وربط الاصول العلمية فى كتبه بما درسوه فى « التلخيص » وشروحه وحواشيه ، وهو اتجاه خاطىء ، ونكسة قاتلة فطن لها بعض الأفذاذ من العلماء الذين درسوا الطريقتين ، ومازوا بين

المنهجين، ومن هؤلاء دون شك : أستاذنا الكبير «الشيخ عبد الهادى العدل» - صاحب هذا الكتاب.

وسيرى القارىء الكريم مصداق ذلك فى جولاته العلميه الموفقة ، ودراساته الدقيقة القائمة على حسن الفهم ، وعمق الإدراك ، كما سيلمس - فى إعجاب شامل - قدرته الفائقة على التحليل الفنى للمذاهب الأدبية ، واطلاعه الواسع على كنوز الأدب وذخائره ، وخبرته التامة بألوان الجمال الأدبى ، وأصول النسج الفنى الرفيع . هذا إلى تواضع جم ، وحياء بالغ ، وإنكار للنفس ، وخلق على عظيم ، تمثل بعض جوانبه كلمته الطيبة فى آخر الكتاب .

وإنه ليسعدنى أن أقدم إلى جمهور العلماء والأدباء هذا اللون الجديد من الدراسات العلمية الأدبية الواسعة المدى ليقطفوا من جناها بعض الثمرات الشهية التى آتتها كلية اللغة العربية ، فى خدمة اللغة والأدب تلك الكلية الفتية التى حملت عبء النهوض باللغة العربية وآدابها ، وهى بعد فى طفولة الزمن وبدء حياتها الطويلة إن شاء الله .

كما أنى جد فخور أن كان لى شرف الإشراف على طبع هذا الكتاب القيم وتوشية ذيوله ببعض ماتستحق من طرف أدبية وحلى تاريخية أو علمية ، ولئن بدا بعض القصور أو التقصير فى مواضع من هذه التوشيات لقد أعجلنا الزمن . والرغبة الملحة من طالبى الكتاب فى انجازه عن بلوغ حد الكمال ، أو التفرغ للاكمال ، وموعدنا بانكشاف هذا الغيم الطبعات التالية إن شاء الله.

وإذا كان كثير من رجال العلم والأدب أساتذة وطلابا — وعلى رأسهم الاستاذ المؤلف — قد غمرونا بفيض من الاشادة والثناء ، وأولوا جهودنا مزيدا من المديح والاطراء ، فما ذاك — فيما أعتقد — إلا أثر مباشر لاعجابهم بالكتاب . ونهج صاحبه ، أو نبعة صافية من أخلاقهم السامية التى تأبى إلا المؤازرة والتشجيع .

وخير ما أختم به كلمتى هذه أن أوجه شكرى ، وجميل تقديرى للأديبين النابهين محمد عليوة حسن، وزيدان أبى المكارم حسن الطالبين بالكلية، فقد بذلا من الجهد ، وحملا من الأعباء ماخفف عن كاهلى كثيرا من المشاق ولهما أعظم الفضل فى إبراز فهرسى «الأعلام ، والقوافى» اللذين ختمنا بهما الكتاب ، فجزاهما الله خير الجزاء .

* * *

وإنى لأرجو أن يوفق الله الأستاذ المؤلف إلى إتمام صوغ هذه السلسلة الذهبية من سبائك عبد القاهر على هذه الصورة الجذابة فى بلاغة الأدب ، وأدب البلاغة ، كما أرجوه جلت قدرته أن يوفق أبناء الكلية وأساتذتها إلى العمل على تأدية الرسالة التى أنشئت الكلية من أجلها فى بعث الفصحى والنهوض بها إلى ما كانت عليه فى عصورها الذهبية الأولى. إنه أكرم مسئول؟

٦ رجب سنة ١٣٦٩
٢٣ ابريل سنة ١٩٥٠

عبد السلام أبو النجا سرحان

الحائز لشهادة العالمية من درجة
أستاذ فى البلاغة والأدب
ومدرس الأدب بالكلية

كلية اللغة العربية

دراسات تفصيلية شاملة لبلاغة عبد القاهر في التشبيه والتمثيل – التقديم والتأخير

تأليف

عبد الهادي العدل
أستاذ البلاغة بكلية اللغة العربية

ضبطها وعلق عليها

عبد السلام أبو النجا سرحان
المدرس بكلية اللغة العربية

دار الفكر الحديث للطبع والنشر
٤٠ شارع خيرت بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله

وبعد :ـ

فإني أقدم لطلاب السنة النهائية بكلية اللغة العربية وللمعجبين بطريقة الإمام عبد القاهر الفذة فى عرض قواعد البلاغة ، والمهتمين بتعرف فنه التحليلي فى فهم الآثار الأدبية ونقدها ـ هذه الدراسات التفصيلية الشاملة لبعض البحوث الهامة التى عرض لها فى كتابيه «أسرار البلاغة ، ودلائل الإعجاز» .

والله أسأل أن يوفق لإتمامها وييسر النفع بها وأن يهديني إلى الصواب فيما إليه قصدت إنه سميع مجيب ؟

١٥ محرم سنة ١٣٦٩ المؤلف
٦ نوفمبر سنة ١٩٤٩

التشبيه والتمثيل

أما فى اللغة : فإن كتبها تكاد تُجمِع على أن « الشِّبْه ، والشَّبَه ، والشبيه ، كالمِثْل ، والمَثَل والمثيل ، وزناً ومعنى ، وأن « أشبهه ، وشابهه ، بمعنى « ماثله » ، فهما متفقان معنى ولا فرق بينهما .

وأما عند علماء البيان : فقد اتفقت كلمتهم على أن « التشبيه ، أعم من « التمثيل ، عموماً مطلقاً ، وأن « التمثيل ، أخص منه خصوصاً مطلقاً . فكل تمثيل تشبيه ، وليس كل تشبيه تمثيلا .

وذلك أن « التشبيه ، عندهم : « الدلالة على مشاركة أمر لأمر فى معنى بأداة ظاهرة أو مقدرة ،

وقد قسموه باعتبار وجه الشبه إلى قسمين : تشبيه غير تمثيلى ، وتشبيه تمثيلى .

ثم اختلفوا فى تحقيق الفرق بين القسمين ، وسنبين المشهور من هذه الفروق مبتدئين برأى الإمام عبد القاهر إن شاء الله .

رأى الشيخ عبد القاهر

التشبيه عنده ضربان :-

أحدهما : تشبيه غير تمثيلى ، وهو « ما كان وجه الشبه فيه أمراً بيّناً بنفسه لا يحتاج إلى تأوُّل ، وصرف عن الظاهر ، لأن المشبَّه فيه مشارك للمشبَّه به فى صفته ، وذلك يتحقق فى حالين .

الأول : أن يكون الوجه ، حسيّاً ، أى مدركاً بإحدى الحواس الخمس الظاهرة .

الثانى : أن يكون الوجه ، عقليًّا حقيقيًّا ، أى ثابتا متقررا فى ذات الموصوف ، وهو الكيفيات النفسية ، كالأخلاق ، والغرائز والطباع نحو : الكرم والبخل ، والشجاعة والجبن ، والذكاء والبلادة والصبر والجزع ، والقوة والضعف ، والمكر والدهاء واللؤم وسمو الأخلاق .

أمثلة الوجه الحسى :

١ — تشبيه الشىء إذا استدار بالكرة فى وجه ، أى إذا كان شبيها بها ، وبالحلقة (١) فى وجه كذلك ، تقول : الأرض كالكرة والتفوا حوله كالحلقة ، والوجه فى كليهما : الاتحاد فى الشكل والصورة . ويراد بالشكل : الشكل الهندسى .

٢ — تشبيه الخد بالورد فى الحمرة ، والشعر (٢) الأسود بالليل فى السواد ، والوجه بالنهار فى البياض والبهاء ، وسقط النار (وهو بتثليث السين : ما يخرج من الزند عند إيرائه) بعين الديك فى الحمرة الخاصة ، والوجه — كما ترى — فى كل : لاتحاد فى اللون .

٣ — تشبيه الثريا بعنقود الكرم المنور فى قول أبى قيس بن الأسلت(٣) :

وقد لاح فى الصبح الثريا لمن رأى ... كعنقود مُلاّحِيَّةٍ (٤) حين نوّرا

---

(١) بسكون اللام وقد تفتح وتكسر فى حلقة الباب والقوم (٢) بفتح العين وسكونها
(٣) اسمه صيفى بن عامر بن جشم من نسل ماء السماء والاسلت لقب أبيه ، مات ولم يسلم على الصحيح ، وقيل إن البيت له أو لأُحيحة بن الجلاح الصحابى المشهور ، راجع ص ٣٢٢ مطول ونسبه فى أسرار البلاغة ص ٧٥ لقيس بن الخطيم (٤) عنب أبيض طويل.

وجه الشبه مركب من اللون والشكل ، لأنه عبارة عن : اجتماع أجرام صغيرة بيضاء مستديرة متقاربة غير متلاصقة ، على شكل مثلث ذى قدر مخصوص.

٤ - تشبيه النرجس بمداهن درّ حشوهن عقيق فى قول ابن المعتز (١) :

كأنّ عيونَ النرْجِسِ الغضّ حولنا
مداهن درّ حشوهنّ عقيق (٢)

وجه الشبه مؤلف من اللون والشكل أيضا ، فهو الهيئة الحاصلة من اجتماع أجرام صغار بيضاء مستديرة متلاصقة على شكل دائرة تحيط بدائرة أخرى حمراء . ولا يخفى أن المشبه به هنا خيالى لا وجود له فى الأعيان ، وأن « عيون النرجس » يحتمل أن تكون من إضافة المشبه به للمشبه إن أريد من « العيون » حقيقتها ومن « النرجس » الزهر ، وأن تكون « العيون » استعارة للزهر تصريحية أصلية - إذا أريد بها الزهر ، وبالنرجس النبات -

٥ - تشبيه القامة بالرمح ، والقد اللطيف بالغصن أو بالألِف ، كقوله .

وذى شِطَاطٍ كصدر الرمح معتقل ... بمثله غير هيّاب ولا وَكِلِ (٣)

وقوله .

غزالٌ فَوْقَ ما أصِف ... كأنّ قَوامه (٤) « ألِف »

---

(١) عبد الله الخليفة العباسى المقتول سنة ٢٩٦ هـ (٢) المدهن كبلبل : قارورة الدهن ورواية أسرار البلاغة ص ٧٥ حولها وما هنا أشهر (٣) الشطاط بفتح الشين وكسرها الطول ، والوكل المتواكل (٤) بفتح القاف الطول .

والوجه ، الاتحاد فى الهيئة ، فإن كلاً مستو منتصب مديد .

٦ — وتشبيه الذاهب على الاستقامة بالسهم السديد ، والوجه . السرعة فى استقامة .

٧ — وتشبيه من تأخذه الأريحيّة - أى الارتياح للمكارم - فيهتز ، بالغصن تحت البارح - والمراد بها هنا الريح الشديدة - كقوله .

وتأخذه عند المكارم هزّة
كما اهتز تحت البارح الغصُنُ الرّطبُ (١)

والوجه . الاتحاد فى هيئة الاهتزاز ، وكأن الشيخ أراد بالهيئة الأحوال العارضة للشكل .

ملاحظة : ما سبق كله مدرك بحاسة البصر .

ومثال المدرك بحاسة السمع ، قول ذى الرُّمة (٢) :

كأنّ أصواتَ مِن إيغالهنّ بنا   أواخرِ الميْس إنقاضُ الفراريج

الايغال : مصدر أوغل فى السير إذا أبعد وأسرع ، والضمير للابل ، والأواخر : جمع آخرة ، الرّحْل ، وهى : العود الذى يستند اليه الراكب ، والميس . شجر صلب تتخذ منه الرحال والمراد الرحال نفسها مجازا مرسلا من إطلاق الجزء على الكل ، أو إطلاق الشىء على ما يؤول إليه ، والإنقاض - بكسر الهمزة - مصدر أنقضت الدجاجة . صوّتت ، والفراريج ، جمع فرّوج . وهو صغير الدجاج .

---

(١) البارح ريح الصيف الحارة ، والغصن بسكون الصاد وحرك إتباعا للضرورة .

(٢) غيلان بن عقبة بن مسعود من فحول شعراء البادية والعصر الاموى ومن العشاق المشهورين فى التاريخ الادبى توفى سنة ١١٧ هـ .

يريد الشاعر أن بعض الرحل يحك بعضه ، فيحصل صوت شبيه بصوت صغار الدجاج من شدة السير واضطراب الرحل ؛ ووجه الشبه الاتحاد فى النغمة الخاصة .

وفى البيت ضعف تأليف ، للفصل بين المضاف والمضاف إليه بأجنبي ، وأصله :-

كأن أصوات أواخر الميس إنقاض الفراريج من إيغالهن بنا .

وقوله أيضا يصف إبلا .

كأن على أنيابها كلَّ سُحْرة
صياحَ البوازِى من صَريفِ اللوائكِ(١)

السحرة - بالضم - السحر الأعلى قبل انصداع الفجر ، ولهم سحر آخر عند انصداعه ، والصريف . صوت النّاب والبكَرة والباب ، يقال . صرف يصرف ، كضرب يضرب . صريفا إذا صوت ؛ واللوائك جمع لائك اسم فاعل من لاك الطعام إذا مضغه ، يريد المواضغ .

لا يخفى أن كأن للظن هنا ، لأن خبرها مشتق ، والمعنى . أن سامع صوت هذه الإبل يظن أن صوت البوازى جار على أنيابها ، ولما كان منشأ هذا الظن مشابهة صريف أنيابها لصياح البوازى ، جعله الشيخ مثالا لتشبيه ذلك الصريف بصياحها ، « فصياح » . اسم كأن ، و « على أنيابها » . خبرها ، و « من صريف » . متعلق بما تعلق به الخبر ، فالتشبيه فى هذا

(١) « على أنيابها » هكذا فى جميع كتب البلاغة وكتاب الكامل للمبرد والصحيح « على أنيابه » لأن الضمير يعود على مذكر ورواية المبرد « كل سدفة » وراجع الابيات التى قبل هذا البيت ص ١٩ ج ٧ من رغبة الآمل للشيخ سيد المرصفى .

البيت معنوى لا لفظى . ووقوع اسم كأن إذا كانت للظن مشبها به فى لمعنى كثير ، من ذلك قول الشاعر .

كأنّ دنانيراً على قسَماتهم　　وإن كان قد شفّ الوجوهَ لقاء

يريد تشبيه قسماتهم بالدنانير ، كما قال الآخر .

سالتْ عليه شعاب الحيّ حين دعا　　أنصارَه بوُجوهٍ كالدنانير (١)

ومنه قول الآخر (٢) .

كأن المُدامَ وصوبَ الغمام　　ونشرَ الخُزامى وريح القطر
يُعلُّ به بَردُ أنيابها　　إذا طرّبَ الطائرُ المُستَحِر

الخزامى . نبت طيب الرائحة ، والقطر . نوع من الطيب ، ويعل . يمزج ، وبرد أنيابها . ريقها ، والمستحر . المصوّت فى وقت السحر .

جعل صاحب الايضاح هذين البيتين مثالا لما تعدد فيه المشبه به دون المشبه ، ومعناهما . أنك تظن أن برد أنيابها مزج بهذه الأمور لأنه يشبهها .

قال ابن السبكى . إنه تشبيه معنوى لا لفظى ، لأن كأن للظن ، ولا تلتفت إلى ما يتوهم من أ « صياح » مرفوع على أنه خبر « كان » ، واسمها محذوف موصوف بالجار والمجرور ، أى كأن صوتا على أنيابها صياح . . . الخ ، أو أن اسمها « صريف » فى آخر البيت ، و « من » زائدة ، فذلك لا تجيزه القواعد العربية قطعا .

ومثال وجه الشبه المدرك بالذوق . تشبيه بعض الفواكه ببعض ، أو بالعسل فى الطعم .

(١) الشعاب جمع شعب كمجل : الطريق والشاعر ابن المعتز . (٢) هو امرؤ القيس .

ومثال المدرك باللمس . تشبيه الجلد الناعم بالحرير ، والجلد الخشن بالمِسح - بكسر الميم - وهو ثوب من الصوف الغليظ .

ومثال المدرك بالشم . تشبيه بعض الأشياء بالريحان أو الكافور .

أمثلة الوجه العقلى الحقيقى .

فلان كحاتم فى الكرم ، وكمادر (١) فى البخل ، وكالأسد فى الشجاعة ، وكالذئب فى لؤم الخلق ، قال أبو فراس(٢) .

وقد صار هذا النّاس إلا أقلّهم ذئاباً على أجسادهنّ ثياب

وكالتشبيه بالثعلب فى المكر ، وبالثور فى القوة ، وبالكلب فى الوفاء .

لماذا لم يحتج هذا الضرب لى تأول ؟

سبب ذلك . أن الاشتراك وقع فى الصفة - أى صفة المشبه به - نفسها ، وحقيقة جنسها . فهى موجودة فى المشبه وجودَها فى المشبه به ، وظاهر التشبيه وباطنه سواء . فأنت إنما شبهت الخد بالورد مثلا ، لأنك وجدت فى كليهما حمرة ، وشبّهت الرجل بالأسد ، لأنك علمت فى كليهما شجاعة ، فأى تأول يحتاج اليه ؟ فأنت تحس الحمرة هنا كما تحسها هناك ، وتعلم الشجاعة فى الرجل كما علمتها فى الأسد .

هذا هو الضرب الأول غير التمثيلى ، ويسميه الشيخ أحيانا « التشبيه

---

(١) مادر : لقب رجل من بنى هلال بن مالك بن صعصعة يسمى مخارقا ، لأنه سقى إبله فبقى فى الحوض قليل ماء فسلح فيه حتى لا يستقى منه أحد (٢) هو الحارث بن سعيد ابن حمدان وابن عمه سيف الدولة ، شاعر فارس من شعراء اليتيمة « راجع ص ٢٧ - ص ٧١ » ج ١ منها .

الظاهر » و « التشبيه الصريح » وقد يطلق عليه اسم « التشبيه » فقط ، ويقول . إنه هو التشبيه الأصلي الحقيقي كما سيأتي .

﴿ الضرب الثاني ﴾ هو « التشبيه التمثيلي » ، وهو . « ما لا يكون وجهه أمرا بيّنا بنفسه ، بل يحتاج تحصيله إلى تأوّل ، وصرف عن الظاهر ، لأن المشبه لم يشارك المشبه به في صفته الظاهرة » .

وذلك الضرب يتحقق فيما إذا كان الوجه ليس حسيا ، ولا من الأخلاق والغرائز والطباع العقلية الحقيقية ، ولكنه يكون عقليا غير حقيقي ، أي غير متقرر في ذات الموصوف .

أمثلة ذلك .

١ — حجة كالشمس في الظهور . المشبه مفرد عقلي ، لأن المراد بالحجة معنى الكلام ، لا نفس الكلام المسموع ، والمشبه به مفرد حسي ، ولما كان وصف المشبه به الظاهر — وهو « الظهور » — من خواص المحسوسات — لأن معناه الا يكون هناك مانع للبصر من الرؤيه — لم يصح اتصاف المشبه به ، فاحتجنا إلى التأوّل وصرف الكلام عن ظاهره ، وإرادة ما يستلزمه الظهور — وهو عدم المانع من الإدراك — لكي يكون شتركا بين الطرفين .

٢ ألفاظه كالعسل في الحلاوة ، وكالنسيم في الرّقّة ، وكالماء في السلاسة : المشبّه مفرد ، والمشبه به متعدد ، ولما كان المشبه لا يصح اتصافه بهذه الأوصاف احتجنا الى التأوّل ، وإرادة ما تستلزمه هذه الأوصاف من قبول النفس للشيء وحسن وقعه فيها ، وإفادته إياها روحا ونشاطا ، وميلها اليه ، ورغبتها في الاستزادة منه ، وذلك لأنه هو الوجه المشترك بين الطرفين .

٣ — «هم كالحلقة المفرغة لا يُدْرَى أين طرفاها» هذه عبارة قالتها فاطمة بنت الخُرشب الأنمارية حين سئلت: أى بنيها أفضل (١)؟ وأوردها كعب بن معدان الأشقرى (٢) فى رده على الحجاج حين سأله عن بنى المهلب ابن أبى صفرة أيهم كان أنجد؟

و «المفرغة»: التى أذيب معدنها، وأفرغ فى قالب فلا يظهر لها طرف والمراد: أنها لا طرف لها حتى يعرف.

ووجه الحاجة الى التأول هنا: أن المشبه ليس متصفا بوصف المشبه به الظاهر - وهو الاستدارة مع استواء الأجزاء - بل المقصود ما يلزم ذلك من التناسب التام، وعدم إمكان المفاضلة بين جزء وجزء، وهذا هو الوجه المشترك، وهو عقلى ما يظهر مفرد، ويقال: إنه مركّب، ولعل ذلك لأنه يريك صورة أمور تساوت حتى لا يمكن تمييز بعضها عن الآخر وهو كما نرى.

تفاوت هذا الضرب.

نبه الشيخ هنا إلى أن المحتاج إلى التأوّل يتفاوت.

فمنه ما يقرب مأخذه، ويسهل الوصول اليه بأيسر سبيل، كالمثال الأول.

ومنه ما يحتاج لى قدر من التأمل، كالمثال الثانى.

---

(١) ويعرفون بالكملة وهم بنو زياد العبسيون، أنس الحفاظ، «ويسمى أيضا أنس الفوارس»، وعمارة الوهاب، وربيع الكامل وقيس الجواد على ما روى أبو جعفر النحاس وقال المبرد وغيره: ربيع الحفاظ وأنس الفوارس وعمارة الوهاب راجع ص ١٨٧ ج ٢ العمدة (٢) الازدى، شاعر خطيب فارس عاون المهلب بن أبى صفرة معاونة جدية فى حرب الخوارج ومات قتيلا بيد أخيه لأمه سنة ١٠٢ ومن شعره:

إلا أكن فى الارض أخطب قائما فانى على ظهر الكميت خطيب

ومنه ما يدق ويغمض حتى يحتاج إلى فضل رويّة ، ولطف فكر ، وهو ما كان من قبيل المثال الثالث الذى لا تراه إلا فى الآداب والحكم المأثورة عن الفضلاء ، وذوى العقول الكاملة .

وهذا التفاوت مبنى على ظهور وجه الشبه وخفائه .

وجه حاجة هذا الضرب إلى التأوّل .

وجه ذلك ، أنه لم يقصد إشراك المشبّه للمشبه به فى صفته الظاهرة نفسها ، بل فى حكمها ومقتضاها ، وأمر لازم لها ، فالاشتراك بين « الكلام والعسل » مثلا ليس فى « الحلاوة » نفسها ، بل فى لازمها - وهو ميل النفس ولذتها ورغبتها - وحينئذ يكون باطن التشبيه وحقيقته خلاف ظاهره فيحتاج إلى التأوّل ، لبيان حقيقة المراد .

هـذا هو التشبيه التمثيلى ، ويجوز أن يسمى « مثلا » ، ولا يجوز أن يسمى غير التمثيلى « مثلا » .

معنى « التأوّل » :

فى أمثلة الضرب الثانى . « صَرْفٌ عن الظاهر ، ورجوع من أمر إلى أمر بضرب من التلطف ، وحسن التصرف ، وبيان أن الاشتراك فى أمر آخر غير الذى يظهر بادى الرأى » ، وهذا المعنى هو ماسماه الشيخ بـ « التأول » وهو لفظ منطبق على هذا المعنى أتم الانطباق ، فان معنى « أوّلت الشيء ، وتأولته » . « طلبت ما يؤول اليه » ، فاذا قلت . تأولت كلام فلان ، فمعنى ذلك . أنك بيّنت أن المراد به خلاف ظاهره ، فان كان مجازا فانك ترده إلى معناه المجازى ، لكى تبين أنه حقيقة مراد المتكلم ، وأن المعنى الوصفى غير مراد بقرينة لفظية أو عقلية ، وإن لم يكن مجازا ولكن يقتضى العقل

صرفه عن ظاهره ، فمعنى تأوله . أنك تطلب الموضع - أى المعنى - الذى يرشد اليه العقل ، ويقضى بأنه المراد .

ومثال هذا ، قول الشاعر(١) .

عَلَفتُها تبناً وماءً بارداً . . . .

فان « الماء » لا يعلف ، ويقضى العقل أن يقدر فعل ينتصب به « ماءً » نحو . وسقيتها .

وكذلك أمثلة التضمين البيانى ، نحو . هذا الأمر أظهر من أن يخفى ، وفلان أعقل من أن يكذب ، لا يصح إرادة الظاهر الذى هو أظهر من من الخفاء ، وأعقل من الكذب ولا بد من تأول فيه ، وتضمين الكلام لفظ « أبعد » ليتعلق به الجار والمجرور .

ويمكن أن يكون من هذا القبيل ما نحن فيه ، فان العقل يقضى فى نحو . كلام كالعسل فى الحلاوة . بأن الاشتراك فى لازم الحلاوة ، لا فى الحلاوة نفسها ، وأن المذكور إنما هو تخييل ، وليس بمستعمل فى لازمه ، ويمكن أن يكون « مجازا » .

اشتقاق كلمة (أوّلت وتأولت ، والتأويل ، والتأول) :

كلها مشتق من آل الأمر الى كذا يؤول : إذا انتهى اليه ورجع ، والمآل : المرجع ، والمناسبة بين المشتق والمشتق منه واضحة ، فنى كلٍّ رجوع وانتهاء من أمر الى آخر .

وزعم البعض أنها مشتقة من كلمة (الأوّل) ، ولعل المناسبة : أن

---

١ قائله مجهول وبقيته :

حتى شتت همالة عيناها . . . .

التأول طلب للمعنى الذى هو أول فى قصد المتكلم ، أو فى نظر العقل ، وهو تكلف .

وزيّف الشيخ هذا الرأى : بأن علماء الصرف نصوا على أن (فعّل) لا يشتق من كلمة فاؤها وعينها من نوع واحد ، مثل : الدّدَن (١) ، وكوكب ، وكلمة (أول) من هذا القبيل ، فان كلاً من فائها وعينها من نوع واحد هو الواو ، بدليل أنه يقال : هو أول منه ـ أى أسبق ـ فهو أفعل تفضيل ، والواو الأولى فاء الكلمة ، والثانية عينها ، فلا يصح اشتقاق (التأويل ، والتأول) منها .

هذا ، وقد جاء لفظ (أول) فى القاموس فى مادة : (وأل) وعلى ذلك ليست فاؤه وعينه من نوع واحد ، وجاء فى مادة . (وول) وقال . هذا موضعه ، فهو يوافق رأى الشيخ .

ورجح (الصبان) فى حاشية الأشمونى أنه من مادة (وأل) بدليل جمعه على (أوائل) إذ الأصل عدم القلب ، ثم قال . إنه يستعمل على أربعة أوجه .

١ ـ اسم ، بمعنى مبدإ الشىء ، نحو . ما له أول ولا آخر .

٢ ـ اسم ، بمعنى السابق ، نحو . لقيته عاما أولا ، وهذا تلحقه تاء التأنيث إذا وقع صفة لمؤنث .

٣ ـ وصف ، بمعنى أسبق ، نحو . هذا أول من هذا . فهو أفعل تفضيل ، يمنع من الصرف ، ولا فعل له من لفظه .

---

(١) الددن محركة اللهو واللعب كالدد والددا ، والديد كضرب والديدان بفتح الياء .

٤ ـ ظرف ، نحو . رأيت الهلال أول الناس ، وهذا هو الذى يبنى اذا قطع عن الاضافة .

التشبيه غير التمثيلي هو الأصل الحقيق ، والتمثيلي فرع له ومبنى عليه

لقد اتضح ـ فى بيان (الضرب الثانى) ـ أن الوصف الثابت فى الفرع ـ الذي هو المشبه ـ ليس هو الوصف الثابت فى الأصل ـ المشبه به ـ ولكنه لازمه ومقتضاه .

أما (الضرب الأول) فان الثابت فى الفرع هو الثابت فى الأصل بحقيقته وجنسه .

والتفاوت بينهما بالكثرة والقلة ، والضعف والقوة ، ولذلك كان (الضرب الأول) هو التشبيه الحقيقى الأصلى ، و « الضرب الثانى » فرع له ومبنى عليه ، ويؤيد ذلك ثلاثة أوجه .

الأول . وجه عقلى ، وهو أن التشبيه يقتضى اشتراك الطرفين فى أمر ومعلوم أن الاشتراك فى نفس الصفة أسبق فى التصور من الاشتراك فى لازمها ، كما أن تعقل الصفة نفسها أسبق من تعقل مقتضاها ، فـ « الحلاوة » تتصور أولا ثم يعلم بعد ذلك أنها تقتضى « اللذة » ، وحينئذ يكون الاشتراك فى نفس الصفة أصلا ، كاشتراك (الفاكهة والعسل) فى (الحلاوة) ، والاشتراك فى مقتضاها فرعا ، كاشتراك (الكلام ، والعسل) فى مقتضى (الحلاوة) .

الثانى . وجه لغوى ، وهو أنا إذا بحثنا عن تصرف مادة (شبه) وما يشتق منها وجدناه يقتضى أن يكون الشيئان من الاشتراك فى الوصف بحيث يجوز أن يتوهم أن أحدهما هو الآخر ، مثل كلمة (الشبهة) ، فانها تفيد اختلاط الحق بالباطل بحيث لا يتميز أحدهما عن الآخر إلا بتأمل ،

و « متشابها » فى قوله تعالى : « وأتُوا به مـتشابِهاً » معناه : يظنون أن أحدهما هو الآخر ، و « شُبِّـه » فى قوله تعالى : « ولـكِـنْ شُبِّهَ لهمْ » معناه : ظنوا أن الذى قتلوه هو عيسى مع أنه غيره ، و « الاشتباه » معناه : اختلاط الأشياء ، وعدم التميز بينها ، ومنه « تشابه » فى قوله تعالى : « إن البقَـرَ تَـشابَهَ علينا » ، وفى قول الشاعر (١) :

رَقَّ الزُّجاجُ وراقَتِ الخَمر فتشابها فتشاكلَ الأمر
فكأنما خمرٌ ولا قدحٌ ، وكأنما قدحٌ ، ولا خمرُ

والذى يجوز أن يتوهم فيه أن أحد الأمرين هو الآخر : إنما هو « التشبيه غير التمثيلى » فيكون هو الأصل ، والثانى هو الفرع .

الثالث : دليل عرفى ، وهو أنا نجد العقلاء وأهل العرف يؤكدون أمر المشابهة بين الشيئين بقولهم : لا يمكنك أن تفرق بينهما إلا بأمر خارج عن صورتهما ، وإذا رأيت الثانى ظننته الأول ، وذلك لا يمكن على سبيل الحقيقة إلا فى التشبيه غير التمثيلى ، لأنه الذى يمكن أن يشترك فيه الشيئان فى صفات توجب عدم التميز بينهما إلا بتأمل .

أما « التمثيل » فانه لا يقال فيه مثل ذلك إلا على سبيل المقاربة ، أو المجازفة – أى عدم التحرى ، وعدم قصد التحقيق – فلا تقول فى « كلامه كالعسل فى الحلاوة » : لا يفترقان ، إلا على سبيل تنزيل « لذة الكلام » منزلة

(١) رواية اليتيمة ص ٢٣٦ ج ٣ (ورقت الخمر) ، ورواية أبى هلال فى ديوان المعانى ص ٣١٠ ج ١ :

رق الزجاج وراقت الخمر وتشابها فتقارب الأمر
فكأنها خمر ولا قدح وكأنه قدح ولا خمر

ولعلها أدق . وهما للصاحب بن عباد وترجمته فى (اليتيمة) ج ٣ ص ١٦٩–٢٥٦

« حلاوة العسل » ، لا أن ذلك على الحقيقة ، إذ لا حلاوة فى الكلام قطعا ، وليست « لذة الكلام » من جنس « الحلاوة » .

فالشبه المتأول الذى ينتزعه العقل ليس كالشبه الأصلى المحسوس ، فأنه إنما يقرب المشبه من المشبه به ، ولكنه لا يجعله متصفا بصفته على الحقيقة، وإذاً يكون غير التمثيلى أصلا ، والتمثيلى فرعا .

النسبة بين الضربين :

لقد اتضح الفرق بين التشبيه والتمثيل عند الشيخ مما تقدم ؛ فاذا أردنا بالتشبيه المعنى العام وهو : « الدلالة على مشاركة أمر لأمر فى معنى بأداة » فهو أعم من التمثيل مطلقا ، والتمثيل أخص منه مطلقا ، لأنه قسم منه ، وعلى ذلك قول الشيخ :

« فاعلم أن التشبيه عام ، والتمثيل أخص منه ، وأن كل تمثيل تشبيه ، وليس كل تشبيه تمثيلا » .

وإذا أردنا بالتشبيه ما قابل التمثيل ، فهما متباينان متقابلان ، كل منهما قسم من التشبيه العام .

والشيخ كثيراً ما يطلق التشبيه ويريد به : ما قابل التمثيل ، كقوله : « فأنت، تقول فى قول الشاعر :

وقد لاح فى الصبح الثريا لمن رأى ... كعنقود ملاحيةٍ حين نَوَّرا

إنه تشبيه حسن ، ولا تقول : إنه تمثيل » .

التشبيه والتمثيل فى شعر ابن المعتز :—

يقولون : إن ابن المعتز حسن التشبيهات ، بديعها ، ولا يقولون :

إنه حسن الأمثال ، يريدون بـ « التشبيهات » : التشبيهات غير التمثيلية - أى تشبيه المحسوسات بعضها ببعض بوجه لا يحتاج إلى تأول - ويريدون بـ « الأمثال » التشبيهات التمثيلية التى لا يحصل وجهها إلا بتأول . وذلك لأن إحسانه فى النوع الأول أكثر ، وهو به أشهر .

أمثلة من تشبيهات ابن المعتز غير التمثيلية . قال :

قم يا صديق نصطبح بسوادٍ
قد كادَ يَبدو الصُّبح أوْ هو بادِى

وأرَى الثُّريَّا فى السَّماءِ كأنها
قَدَم تَبدَّتْ من ثياب حدادِ

يشبه « الثريا » تلوح فى سواد الليل ، بقدم بيضاء بدت من ثياب سوداء ، والوجه . بدوُّ صورة شىء أبيض يكاد يكون مثلثا من شىء أسود منبسط .

وقد أكثر الشعراء من تشبيه « الثريا » فمن ذلك قول ابن المعتز :

وكأن الهلالَ نصف سِوارِ والثُّريا كفٌّ تشير إليهِ

وقول الوأواء (١)

والثريا كأنها كفُّ خَوْدٍ (٢) داخلتها للبينِ رِعدَة وجدِ

---

(١) هو : أبو الفرج محمد بن أحمد الغسانى من شعراء (اليتيمة) راجع ص ٢٣٥ — ٢٤٤ ج أول منها .

(٢) الخود - كعبد - الشابة الجميلة أو الناعمة جمعها خودات وخود كقفل .

وقول ابن رشيق (١) :

والثريا قبالة البدرِ تحكى باسطا كفَّه ليأخذَ جاما (٢)

وقول بعضهم :

كأن الثريا هَوْدج فوق ناقة يحثُّ بها حادٍ إلى الغرب مزعج

وقول الآخر :

والثريا كأنها رأس طِرْفٍ أدهمٍ زينَ باللجام المحلّى (٣)

وقول الآخر :

ونجمُ الثريا فى السماء كأنه على حلةٍ زرقاءَ جيبٌ مُدنَّر (٤)

وقول ابن المعتز :

وتروم الثريا فى الغروب مَراماً

كانكباب طِمِرٍّ كاد يلقى اللجاما (٥)

فى البيت استعارة بالكناية ، فقد شبهت الثريا فى إسراعها إلى جهة الغرب بمن له مَرام ، وأمر مرغوب فيه يسعى اليه حثيثاً ، بجامع الاسراع فى كل ، ثم دل على هذا التشبيه باستعارة لازم المشبه به ، وهو « تروم » للمشبه ، وأما تشبيهها بالطمر المذكور فالظاهر أنه أراد تشبيهها برأسه

---

(١) هو الحسن بن رشيق الاديب الكبير صاحب كتاب العمدة ولد سنة ٣٩٠ وتوفى سنة ٤٦٣هـ .

(٢) قبالة بضم القاف : تجاه والجام : إناء من فضة .

(٣) الطرف كعلم الكريم من الخيل والادهم مافى لونه دهمة أى سواد .

(٤) الجيب : الطوق والمدنر المتلألئ والكثير الدنانير .

(٥) الطمر : الفرس القوى الوثاب

الهاوى (١) الى الأرض حتى كاد يلق لجامه ، والوجه : الاتحاد فى الشكل ، والانحدار الى جهة الأرض ، وتشبيهها برأس الطرف معروف ، ومنه ما سبق .

وقال ابن المعتز :

قد انقضتْ دولة الصيام وقد　　بشّرَ سقم الهلالِ بالعيد
يَتلو الثريا كفاغرٍ شَرِهٍ　　يفتحُ فاه لأكلِ عنقودِ

أراد بـ « دولة الصيام » : سلطانه على الصائمين ، ومنعه إياهم من الطعام والشراب وسائر اللذات ، فهو يشبهه بحاكم ذى دولة فى التسلط والقهر ، ويستعير لازم المشبه للدلالة على هذا التشبيه ، كما يشبه الهلال بالسقيم فى النحول ، ويدل على هذا التشبيه باضافة لازم المشبه به للمشبه ، ثم يشبهه وهو يتبع الثريا بفاغر فمه لأكل عنقود ، ووجه الشبه . صورة دنو شيء مقوّس أبيض من شيء مثلث ذى أجرام بيضاء متفرقة .

تنبيه : أرجوزة ابن المعتز فى الصيد مشروحة فى الكتاب(٢) ، وكل تشبيهاتها غير تمثيلية .

أمثلة من تشبيهات ابن المعتز التمثيلية قال:

إصبرْ على مَضض الحسو　　دِ فإن صبركَ قاتلِهْ
فالنّارُ تأكلُ نفسَها　　إن لم تجدْ ما تأكلُهْ

المشبه . الحسود الذى يهمله المحسود ، ولا يعنى به ، ولا يظهر له من التألم ما يشفى غليل صدره ، فيشتعل غيظه فى داخله حتى يورده موارد

---

(١) صفة للرأس لأنه مذكر　　(٢) أى أسرار البلاغة ص ٧٦ وهامشها

الهلاك ، والمشبه به . النار لا تمد بالوقود ليستمر لهبها ، فتضطرم فى نفسها حتى تفنى ، ووجه الشبه . إسراع الفناء ، لانقطاع ما فيه مَدد البقاء ، وكل من الطرفين والوجه مركب ، وكان هـذا ، تمثيلا ، لأن الوجه فيه ليس حسيا ، ولا عقليا حقيقيا ، وحاجته الى التأول ظاهرة ، لأن المشبه لم يتصف بالوصف المحسوس للمشبه به .

وقال .

كَمْ حاسدٍ حنِقٍ عليَّ بلا ذنبٍ فلم يَضرْنى الحَنَق
متضاحك نحوى كما ضَحكت نار الذُّبالة وهْىَ تحترقُ

وقال .

ونَدمان سقيْت الراحَ صِرفاً
وأفْق الليلِ مرتفعُ السُّجوفِ
صَفتْ وصَفت زجاجتها عليها
كمَعنًى دقَّ فى ذِهن لطيفِ

وجه الشبه هنا . نهاية اللطف والدقة فى الحاوى والمحوى ، وهذا من تشبيه المعقول بالمحسوس ، وهو قليل .

التمثيل فى شعر صالح بن عبد القدوس (١) .

ويقولون . إن صالح بن عبد القدوس كثير الأمثال فى شعره ، يريدون بـ « الأمثال » . ما كان وجه الشبه فيه عقليا محتاجا إلى التأول ، من ذلك قوله .

---

(١) شاعر عباسى متكلم متفلسف قرأ الكتب المترجمة وأعجب بحكمة اليونان فاتهم بالزندقة وقتله المهدى ثم صلبه على جسر بغداد سنة ١٦٧ هـ .

وإن مَن أدَّبْته في الصِّبا   كالعود يُسقى الماءَ في غرْسه
حتى تراه مورِقاً ناضراً   بعدَ الذي أبصرْتَ مِن يَبسه

المشبه : الصبي يتعهد بالتربية والأدب في صباه ؛ والمشبه به : العود يغرس صغيراً ، ويتعهد بالسقي ، وكل ما يصلحه ؛ والوجه : أن كلا يجدي فيه العلاج ؛ ويثمر التعهد ، ويصل به الى الكمال المنشود منه ؛ لوضعه في موضعه ، ومصادفته وقته ؛ وكل من الطرفين والوجه مركب ، وحاجته الى التأول ظاهرة ؛ لأن الاشتراك في لازم صفة المشبه به لا في نفسها .

ومن أمثاله :

وكذاكَ وصل الغانياتِ فانه
آلٌ ببلقعةٍ وبرقٌ خُلَّب (١)
إن القلوبَ إذا تنافرَ وُدها
مثل الزُّجاجةِ كسرها لا يشعب (٢)
يَلقاكَ يحلف أنه بِكَ واثق
فاذا توارَى عنكَ فهو العقرب (٣)

ومنها :

والشيخ لا يَتركُ أخلاقه   حتى يوارَى في ثرى رَمسه
إذا ارْعوى عادَ إلى غيِّه   كذِي الضنَى عادَ إلى نكسه

---

(١) آل: سراب ، بلقعة : أرض قفر ·والبرق الخلب المطمع المخلف الذي يخدع الناس بنزول المطر ثم لا ينزل المطر .

(٢) ومعنى يشعب هنا : يوصل أو يصلح لان شعب من معانيها أيضا التفريق والافساد فهي من أسماء الاضداد . (٣) يروى هذا البيت بعيدا عن سابقيه

تنبيه : ينقسم وجه الشبه عند الشيخ إلى ثلاثة أقسام :

١ ـ عقلى : وهو ما ليس حسيا ، ولا من الاخلاق والغرائز وسائر الكيفيات النفسانية .

٢ ـ حسى .

٣ ـ ما كان من الاخلاق والغرائز ، وهذا ـ وإن كان عقليا ـ فان الشيخ لم يطلق عليه اسم العقلى لقربه من الحس فى تقرره وثبوته فى ذات الموصوف

وعلى ذلك يكون رأى الشيخ :

أن كل تشبيه يكون وجه الشبه فيه حسيا مفرداً ، فهو : تشبيه غير تمثيلى
« « « « « « « مركبا « « « « « «
« « « « « « « من الغرائز مفرداً « « « « «
« « « « « « « عقليا « « « « تمثيلى
« « « « « « « مركبا « « « « « «

رأى السكاكى (١)

جاء السكاكى ـ بعد الشيخ ـ فقسم « وجه الشبه » الى ثلاثة أقسام أيضا موافقا له :

١ ـ حسىّ .

٢ ـ عقلى حقيقى ، وهو الكيفيات النفسانية .

٣ ـ عقلى غير حقيقى ، وهو ما عداهما .

---

(١) هو : أبو يعقوب يوسف بن ابى بكر محمد بن على السكاكى أحد الاعلام الذين يستد بهم فى علم البلاغة والتصنيف فيه توفى سنة ٦٢٦ ﻫ .

وقال : اذا كان وجه الشبه عقليا غير حقيقى ، وكان مركبا ، فهو تشبيه تمثيلي ، والا فهو غير تمثيلي . فيكون رأيه :

أنه اذا كان وجه الشبه حسيا مفردا ، فهو : تشبيه غير تمثيلي .
« « « « حسيا مركبا ، فهو : تشبيه غير تمثيلي .
« « « « عقليا حقيقيا مفردا فهو : تشبيه غير تمثيلي .
« « « « « « غير حقيقي مفردا، فهو : تشبيه غير تمثيلي .
« « « « « « « مركبا ، فهو : تشبيه تمثيلي(١)

رأى الخطيب(٢)

صاحب « الايضاح »

قسَّم « الوجه » قريبا من ذلك ، ولكنه عرَّف « التشبيه التمثيلي » بأنه: « ماكان وجهه منتزعا من أمور متعددة ، سواء كان حسيا ، أم عقليا » . وعرف « غير التمثيلي » بأنه : ما ليس كذلك . فرأيه :

أن كل تشبيه كان وجهه حسيا مفردا ، فهو : تشبيه غير تمثيلي .
« « « « حسيا مركبا ، فهو : تشبيه تمثيلي .
« « « « عقليا حقيقيا مفردا ، فهو : تشبيه غير تمثيلي .
« « « « « غير حقيقي مفردا، فهو : « «
« « « « « « « مركبا،فهو تمثيلي .

---

(١) راجع بحث التشبيه فى كتاب المفتاح من ص ١٤١ — ١٥١

(٢) هو أبو عبد الله جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر القزويني المعروف بخطيب دمشق توفى سنة ٧٣٩ ورأيه هذا فى كتابه « الايضاح

يعلم من هـذا البيان ما اتفقوا عليـه ، وما اختلفوا فيه . ونزيد ذلك بيانا فنقول :

إنهم اتفقوا على أن « وجه الشـبه » اذا كان مفردا حسـيا ، أو عقليا حقيقيا ، فهو . غير تمثيلى ، مثل : شعره كالليل ، وزيد كالاسد .

وكذلك اتفقوا على أنه اذا كان « الوجه » مركبا عقليا ، فهو . تشـبيه تمثيلى ، نحو ما سـبق من : تشبيه الصبي يؤدَّب فى صـغره بالعود يغرس صغيرا ويسقى .

واختلفوا فيما اذا كان « الوجه » مفردا عقليا غير حقيقى ، فقال الشيخ: إنه تمثيل ، وخالفه الآخران .

وكذلك إذا كان « الوجه » مركبا حسـيا ، فالخطيب يرى أنه تمثيـلى ، وهما يخالفانه .

الباعث على هـذا التقسيم :

لعل الذى دعا الشيخ الى هـذا التقسيم : أنه وجد بعض أنواع التشـبيه يمتاز بالدقة واللطف ، والحاجة الى شيء من الترفق ، وحسن التأتى ، وبعضها ليس بهـذه المثابة ، وأن الاول ما كان وجه الشبه فيه عقليا غـير حقيقى ، والثانى ما كان وجهه حسـيا أو عقليا حقيقيا . فأراد أن يفرق بين الضربين ايخص هـذا الضرب الممتاز باسم « التمثيل » ، ويبين ضروبه ، ومزاياه ، وخصائصه ، وأسباب امتيازه ، وتأثيره فى النفوس ، ويضرب له من الامثال ما يظهر فضله ، وبعد شأوه .

ويدل على ما ذهبت اليه : أنه قسم الاستعارة نحو هذا التقسيم ، ثم قال

- فى القسم الذى وجه الشبه فيه ليس من المحسوس، ولا من الغرائز، وانما هو صورة عقلية - ما يأتى :

« اعلم أن هذا الضرب هو المنزلة التى تبلغ عندها الاستعارة غاية شرفها ويتسع المجال فى تفننها وتصرفها، وههنا تخلص لطيفة روحانية، لا يبصرها إلا ذوو الأذهان الصافية، والعقول النافذة، والنفوس المستعدة لأن تعى الحكمة، وتعرف فصل الخطاب » (١).

ولذلك لا يعنى الشيخ هنا بالتشبيه غير التمثيلى، ولا يحفل به .

ولعل الذى حمل السكاكى على مخالفة الشيخ فيما كان وجهه عقليا مفردا: أنه رأى أن الدقة واللطف، والحاجة الى حسن التوصل انما تتحقق فى المركب، أما المفرد فلا، فأخرجه من دائرة « التمثيل ».

وقد وافق الخطيب السكاكى فى ذلك، ولكنه خالفه، وخالف الشيخ فيما اذا كان الوجه مركبا حسيا، فرأى أنه جدير باسم التمثيل لمشاركته العقلى فى مزاياه .

واذا صح ماتقدم، فانى أرجح رأى الخطيب، فان فى المركبات الحسية صورا عجيبة تحتاج الى حذق وذكاء .

تقسيم التشبيه الى: مفرد، ومركب، ومتعدد :

التشبيه المفرد : « ما كان وجهه منتزعا من أمر واحد » مثل : شعره كالليل فى السواد، وكلامه كالعسل فى الحلاوة .

والتشبيه المركب : « ما كان وجهه منتزعا من أمرين أو أكثر، بعد مزج وبناء بعض على بعض » .

(١) أنظر ص ٥٠ من «أسرار البلاغة»

والتشبيه المتعدد : « ما جاء معقودا على تشبيه أمرين أو أكثر بأمرين أو أكثر من غير مزج، ولا بناء بعض على بعض، بل مع بقاء كلٍّ مستقلا » .

وقد انصرفت عناية الشيخ الى تحقيق الفرق بين التشبيه المركب والتشبيه المتعدد ، لأن أمرهما كان مضطربا الى عصره ، فلم تكن الحدود بينهما واضحة المعالم، وكان المؤلفون يخلطون ، ويدخلون أحدهما فى الآخر ، ويغفلون عما بينهما من فروق ، وما لكل من خصائص ، فبين الشيخ تلك الفروق ، وأوضح هذه الخصائص فى فصول ثلاثة : اثنان منها عقب تقسيم التشبيه الى تمثيلى وغير تمثيلى ، والثالث قبيل الفصل الاخير من «المقرر»(١) ، فرأيت أن أجمع متفرقها ، وأضم نشرها فى هذا الموضع مبتدئا بالفصل الاخير ، لأنه أجمع لاحكامهما .

فيم يتفق النوعان ؟

يتفق النوعان فى أن كلا منهما كلام قصد به تشبيه شيئين أو أكثر ، بشيئين أو أكثر ضربة واحدة .

فيم يختلفان ؟ يختلفان فى أمور :

أحدها : أن التشبيه المركب قصد به الى امتزاج الامرين أو الامور ، وبناء بعضهما على بعض ، حتى عادت شيئا واحدا ، وهيئة ملتئمة ، وصورة خاصة هى المقصودة ، فهو تشبيه واحد ـ وإن تعددت أجزاؤه ـ .

أما التشبيه المتعدد ، فقد بقى فيه كل جزء من الامر أو الامور مستقلا غير ممتزج بالآخر ولا مبنى عليه ، فهو تشبيهات كل منها مستقل عن غيره .

(١) راجع ص ٧٥ ـ ٩٢ ، ص ١٦٨ ـ ١٧٦ من « أسرار البلاغة » الطبعة الثالثة .

ولذلك كان من أمارات التركيب ألا يصح تشبيه أحد الاجزاء بما يقابله على وجه الاستقلال ، إذ يكون ذلك دليلا على أنه إنما جيء به تبعا لغيره ، وسيأتى بيان ذلك عند القول فى جواز «فض التركيب» .

ثانيها : أن التشبيه المركب له مغزى وغرض خاص لا يحصل إلا بالتركيب كله ، حتى لو أهمل جزء منه قصر عن إفادته ، وإن كان التشبيه الباقى صحيحا فى نفسه .

أما المتعدد ، فله أغراض بعدد تشبيهاته ، كل تشبيه يؤدى غرضا منها ، مجتمعا مع غيره ، أو منفردا عنه .

ثالثها : أن التشبيه المتعدد لا يجب فى جُمَلِه نسق خاص ، ولا ترتيب معين ، بل يجوز تقديم بعضه ، وتأخير بعضه من غير إخلال بما يراد منه .

أما المركب ، فكثيرا ما تجدك عاجزا عن تغيير العبارة المؤدية له بالتقديم والتأخير .

رابعها : أنك تجد فى التشبيه المتعدد أحد الامرين أو الامور فى الاكثر قد عطف على الآخر عطف المستقل على المستقل .

أما المركب ، فانك تجد أحد الامرين فى الغالب مذكورا على وجه التبع للآخر ، كأن يكون فى صفته ، أو صلته ، أو حالا منه ، أو معطوفا عليه بالفاء الرابطة ، أو نحو ذلك ؛ فاذا توسطت الواو كانت واو المعية ، أو عاطفة متضمنة معنى « مع » ، أو كانت واو الحال ، كل ذلك للدلالة على الامتزاج والارتباط .

مثال ذلك ، قول الشاعر(١) :

والشَّيْبُ يَنهضُ فى الشَّباب كأنّهُ ليلٌ يَصيح بجانبيهِ نهار

يشبّه بياض الشيب ، وهو يمحو سواد الشباب فى سرعة حتى لا يبقى منه شيئا ، ببياض النهار ، وهو يمحو سواد الليل حتى يزيله جملة ؛ والوجه : صورة شىء أبيض يمحو شيئا أسود ، ويحتلّ مكانه .

و « يصيح بجانبيه نهار » استعارة مكنية ، فقد شبه النهار وهو يطرد الليل طردا سريعا برجل يصيح فى نواحى غنمه ، ليزعجها من مكانها ، ويحولها عنه ، ودل على هذا التشبيه باثبات الصياح للنهار . و « ينهض فى الشباب » مكنية أيضا .

فالتشبيه مركب ، جاءت فيه جملة « ينهض » خبرا ، فهى صفة فى المعنى ، و « فى الشباب » صلة لـ « ينهض » ، وجاءت جملة « يصيح » صفة « لليل » .

مثال آخر ، قول الشاعر(٢) يصف وردا :

بَياضٌ فى جَوانبه احمرارٌ كما احمرّت من الخجَل الخدود

جملة « فى جوانبه احمرار » صفة لـ « بياض » فهى تابعة له .

---

(١) يعنى الفرزدق ، وهو أبو فراس همام بن غالب بن صعصعة من مجاشع بن دارم وينتهى نسبه الى تميم بن مر التميمى ومكانته الادبية غنية عن التعريف توفى سنة ١١٠ هـ ورواية الديوان ص ٤٦٧ (القسم الثانى) :

والشيب ينهض فى السواد كأنه . . . . . .

(٢) هو ابن المعتز .

مثال آخر ، قول الشاعر(١)

كأنما المرِّيخ والمشترى قُدَّامه فى شامخ الرِّفعه (٢)
مُنصرف بالليل مِن دَعوةٍ قدْ أسرجت قدَّامه شمعه (٣)

الواو واو الحال ، والحال كالصفة فى كونها تابعة ، لا تنفرد بالذكر ؛ بل تذكر فى ضمن صاحبها ، وتبعا له

مثال آخر ، قول بشار (٤)

كأنَّ مُثارَ النقْع فوْق رُءوسِنا
وأسيافَنا ليل تهاوَى كواكبُهْ (٥)

الواو فى « وأسيافنا » واو المعية ، أو عاطفة متضمنة معنى « مع » ،

---

(١) هو القاضى على بن محمد التنوخى العالم المنجم المتوفى سنة ٣٤٢ له ترجمة فى ص ١٣٦ ج ١ معاهد التنصيص ؛ ص١٦٢ج ١٤ (معجم الادباء) لياقوت، ص٣٠٩ ج٢ يتيمة

(٢) المريخ ، كسكين : نجم معروف ، وكذلك المشترى ، بوزن اسم الفاعل .

(٣) فى « اليتيمة » ص ٣١٠ ج ٢ : « قد أسرجوا » .

(٤) هو أبو معاذ بشار بن برد بن يرجوخ شاعر مغلق ذو لسان حاد وشاعرية دافقة يعد فنيا زعيم الشعراء المولدين وقائدهم الى اختراع المعانى وتوليد الاساليب ، وكان هجاء خبيث اللسان رقيق الدين متعصبا على العرب قتل على الزندقة سنة ١٦٧ هـ .

(٥) مثار النقع : — أى النقع المثار ، من إضافة الصفة الى الموصوف ، والنقع كالضرب : الغبار جمعه نقاع — بكسر أوله — ونقوع ، وتهاوى : مضارع وأصله تتهاوى والكواكب : السيوف ، والبيت من قصيدة يمدح بها عمر بن هبيرة .

وجملة « تهاوى » فى المشبه به ، صفة « لليل » ، تابعة له ، ولو أراد الاستقلال لقال : « ليل وكواكب » .

فى هـذه التشبيهات المركبة ـ التى سنزيدها شرحا فيما يأتى ـ جاء أحد الامرين تابعا للاخر فى الذكر ، دلالة على الامتزاج .

وقد يأتى فى بعض المركبات ما هو أشد من ذلك دلالة على ارتباط أحد الجزءين بالآخر ، وذلك بأن يعبر عنهما بعبارة تفيدهما معا ، من غير أن يكون هناك فصل بينهما ، مثال ذلك ما تجده فى الشطر الثانى من البيت :

بياض فى جوانبه احمرار كما احمرّت من الخجل الخدود

يريد الشاعر : أن يشبه الهيئة الحاصلة من اجتماع لونى البياض والحمرة فى « الورد » بالهيئة الحاصلة من اجتماعهما فى « الخد » ، وقد جاء فى هـذا التشبيه بزيادة لم يسبق إليها ، فاعتبر التركيب من « البياض والحمرة » ، ولم يقتصر ـ كغيره ـ على « الحمرة » وحدها فى « الخد » .

ليس فى هـذا البيت تعرض لذكر البياض فى الخدود منفصلا عن الاحمرار ، بل فُهم من ذكر الخجل مع الحمرة ، وذلك أدل على الارتباط من ذكره تابعاً لها .

هـذا هو المعنى الصحيح لعبارة الشيخ ، وليس معناها أن أشد من ذلك أن تجىء كلمة « كما » فى المشبه به ـ على ما فهمه البعض ـ فان المصدر المؤوّل من « ما والفعل » لا أثر له فى الدلالة على الامتزاج البتة بل قد تجىء كلمة « كما » فى المشبه به مع أن الأجزاء مفصلة حتى يتوهم جواز الاقتصار على بعضها ـ كما يأتى فى قول كثيّر(١) .

(١) هو كثير — بوزن المصغر مشدد الياء — ابن عبد الرحمن الخزاعى الشاعر الغزل المشهور وصاحب عزة وكان شيعيا غاليا ثم مدح بنى أمية وتوفى سنة ١٠٥ .

كَمَا أبْرَقَتْ قَوْماً عِطَاشاً غَمَامَةٌ
فَلَمَّا رَأوْهَا أقْشَعَتْ وَتَجَلَّتِ(١)

ولو أن الشاعر قال بدل «كما احمرت» : كخد فيه للخجل احمرار ، لمَا اختلف عنه فى الدلالة على الارتباط ، بل لو كان الشاعر قال البيت الآتى فى وصف هذا الورد :

كأنَّهُ خدُّ مَعْشُوقٍ يقَبِّلُهُ
فَمُ الحَبِيبِ ، وَقَدْ أبْقَى بِهِ خَجَلا

لكانت دلالته على الارتباط أتم ، لأن كلا من «الحمرة والبياض» قد فهم من غير أن يصرح به ، ولا ذكر لكلمة «كما» .

نقد للتشبيه السابق :

انتقد القاضى أبو الحسن الجرجانى هذا البيت(٢) : بأن عبارته غير محكمة، لما فيها من مخالفة بين حالى المشبه ، والمشبه به ؛ وقال : لو اتفق له أن يقول : احمرار فى جوانبه بياض ، لكان قد استوفى الحسن ، لأن خدّ الخجل هكذا يحدِق فيه البياض بالحمرة ، لا الحمرة بالبياض ؛ وقد اعتذر عنه : بأن الشاعر لعله وجد الأمر كذلك فى الورد ، أى أنه أبيض فى جوانبه حمرة ، فشبهه بالخد على طريق العكس ، فقال : هذا البياض حوله الحمرة ، كتلك الحمرة حولها البياض .

هذه هى الفروق ، وقد ذكرنا بعض الأمثلة إيضاحا للفرق الرابع ، ونستطيع حينئذ أن نطبق الأمثلة الآتية ، ونقيس عليها غيرها .

---

(١) قبله :

لقد أطمعتني بالوصال تبسما وبعد رجائى أعرضت وتولت

وذهب بعضهم الى أنه مجهول القائل وسيأتى شرحه .

(٢) ص ١٥١ وساطة

أمثلة التعـدد :

كأنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْباً وَيابِساً

لَدَى وَكْرِهَا الْعُنَّاب والحَشَف البالِى(١)

هذا التشبيه ليس مركبا ، بل هو متعدد ، لأنه لم يقصد إلى امتزاج الرطب باليابس ، ولم يحدث عن اجتماعهما صورة خاصة ، ولا يتوقف الغرض على امتزاجهما ؛ ثم إن الثانى ليس حاله مع الأول حال التابع ، لأنه عطف عليه بالواو التى لم تتضمن معنى « مع » . وذلك واضح فى المشبه به ، وكذلك فى المشبه ، لأن جمعهما فى اسم واحد هو « القلوب » لا يوجب أن أحدهما تابع ، فان الجمع فى الأمور المتفقة اسما ومعنى يجرى مجرى العطف فى الأمور المفترقة فى ذلك ، على أنه قد صرح فى البدل ، وهو المقصود بالعطف ، ثم لو قدمت « اليابسة » على « الرطبة » و « الحشف » على « العناب » لم يتأثر المعنى بذلك ، والمحافظة على الترتيب فى البيت إنما هى لإقامة الوزن .

أمثلة أخرى : -

النَّشْر مِسْكٌ ، والوجوهُ دَنَا

نِيرٌ ، وأطْرافُ الأكُفِّ عَنَمْ(٢)

(١) البيت لامرئ القيس بن حجر الشاعر المشهور . والوكر : العش . والحشف بالتحريك : أردأ التمر ؛ والضعيف لا نوى له . أو اليابس الفاسد . والعنم شجر أحمر لين الأغصان . (١ . ٦٠ شعراء النصرانية) .

(٢) البيت للمرقش الأكبر : عمرو بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة ابن عكابة ؛ وقيل : اسمه عوف ؛ أو ربيعة بن سعد ؛ (راجع ص ٢٠١ معجم الشعراء) وكان هو وابن أخيه المرقش الأصغر عمرو بن حرملة بن سعد ، على عهد مهلهل بن ربيعة وشهدا حرب بكر وتغلب ؛ والبيت من قصيدة أولها :

هل بالطلول أن تجيب صمم   لو كان رسم ناطقاً كلم

وهى القصيدة رقم ٤٥ من المفضليات ؛ رثى بها الشاعر ابن عمه ثعلبة بن عوف ابن مالك .

بَدت قَمَراً وماسَتْ خوطَ بَانٍ
وَفاحَتْ عَنْبراً ، ورَنَتْ غزَالا (١)

° ° °

صدْغ الحَبيبِ وَحالِى   كلاهُما كالليَالى (٢)

كل ذلك من المتعدد ، وأمره أوضح من بيت امرىء القيس السابق .

سؤال ، قد يقال : أليس لهذا النوع المتعدد مزية يذكر بها ؟

جوابه : أن التشبيه المتعدد إذا ذكر بالفضيلة ، فانما يستحقها من جهة الإيجاز ، وجمع المعانى الكثيرة فى اللفظ اليسير ، ومن جهة حسن الترتيب واتساق المعانى ، ومن هنا يفضلون بعضه على بعض ، ولا يريدون أن حقائق التشبيهات تتغير بالجمع ، ولا أن الأمور تتداخل وتمتزج ، وتصير صورة واحدة .

أمثلة المركب :

كأنّ مثار النَّقْع فَوْقَ رؤسِنا   وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

المقصود : تشبيه «النقع والسيوف فيه» بـ «الليل المتهاوية كواكبه» ، لا تشبيه «النقع» بـ «الليل» ، من جانب ، و «السيوف» بـ «الكواكب» ، من جانب ، لأنه يريد أن يريك الهيئة التى ترى عليها النقع المظلم ، والسيوف فى أثنائه تبرق ، وتعلو وتنخفض . فى حركات كثيرة ، إلى جهات مختلفة ،

---

(١) البيت للمتنبي المتوفى سنة ٣٥٤ هـ والميس : التبختر كالميسان بالتحريك والتميس ويروى : «ومالت» والخوط بضم الخاء الغصن :

(٢) البيت مجهول القائل ؛ وبعده :

وثغره فى صفاء   وأدمعى كاللآلى

كما يكون الحال حين يحمى الجلاد ، ففيه امتزاج وتداخل ، وصورة بديعة لا تؤدى إلا بالتركيب كله .

وأما الواو فى « وأسيافنا » فهى : إما « واو المعية » ، وإما عاطفة متضمنة معنى « مع » وهى متعلقة فى المعنى بـ « مثار » ، وفى حكم الصلة للمصدر الذى تضمنه اسم المفعول . وقال رؤبة(١) يصف أتانا(٢) وحشية :

فِيهَا خُطوطٌ من سَوادٍ وبَلَقْ كأنّه فى الجِلدِ تَوْليعُ البَهَقْ(٣)

ليس القصد فيه أن يريك كل لون على الانفراد ، وإنما يريد أن يريك الصورة الحاصلة من اجتماع اللونين ، وهى هيئة يعنى بها ، ويقصد ذكرها .

و « توليع البهق » : انتشاره ، ويتخلل بياضه حينئذ أجزاءً من الجلد سمراء .

ومثله قول البحترى(٤) ، يصف فرساً :

(١) هو أبو محمد رؤبة بن العجاج البصرى التيمى السعدى . والعجاج ، اسمه عبد الله بن رؤبة ، وهما من مشاهير الرجاز ، ولكل منهما ديوان رجز لاشعر فيه ، توفى رؤبة فى خلافة المنصور سنة ١٤٥ هـ ، وله ترجمة فى « معجم الادباء » ص ١٤٩ ج ١١ ، و « وفيات الاعيان » ص ٣٢٤ ج ٥ طبعة دار المأمون .

(٢) الاتان : الحمارة ، ويقال — على قلة — : أتانة .

(٣) البلق : سواد وبياض ، والتوليع : الاستطالة والامتداد . البهق : بياض رقيق يبدو على ظاهر البشرة من أثر ضعف خاص فى الجلد .

(٤) هو : أبو عبادة الوليد بن عبيد البحترى ، ينتهى نسبه الى طىء ، وشعره عربى الطراز ، ولذا عده النقاد أشعر ثلاثة انتهت إليهم زعامة الشعر العباسى وهم : أبو تمام والبحترى والمتنبى توفى حوالى سنة ٢٨٤ هـ . راجع رسالتنا فى هؤلاء الشعراء الثلاثة — تحت الطبع — فهى أوفى المراجع فى شأنهم .

تَرَى أحْجالَهُ يَصْعدْنَ فيهِ صُعودَ البَرْقِ فى الغَيْمِ الجَهامِ (١)

لا يريد تشبيه بياض حجول الفرس الصاعد فى قوائمه ، بالبرق ، على الانفراد ، وتشبيه سائر جسمه بالغيم الجهام الذى لا ماء فيه ، وإنما يريد تشبيه الهيئة الحاصلة من مخالطة أحد اللونين للآخر.

مثال محتمل للتركيب والتعدد ، قول ابن المعتز :

وحَتّى حَسِبْتُ الليلَ والصُّبحَ إذْ بدا
حِصانَيْنِ مخْتالين : جَوْناً وأشْقَرا (٢)

ظاهر هذا أنه من قبيل المتعدد ، شبه « الليل » بالحصان الجون الأسود و « الصبح » بالحصان الأشقر الأبيض (٣) ، لكن الأولى أن يكون من قبيل المركب ، فأن لاقتران الجون بالأشقر فى الاختيال صورة خاصة — وإن كانت لا تبلغ مبلغ « ليل تهاوى كواكبه » — فان اعتبار التركيب فى هذا أوضح . وإذا جعلنا التشبيه مركبا ، ففى الواو معنى المعية .

هل يجوز فضُّ المركب ، وجعله متعدداً ؟

اعلم أن التشبيه إذا كان طرفاه مركبين كان على ضربين :

(١) الاحجال ؛ جمع حجل — كبئر — وهو البياض . والغيم : السحاب . والجهام : الذى لا ماء فيه وهو أسرع السحب لخفته ، قال الشاعر :

ومن الخير بطء سيبك عنى أسرع السحب فى المسير الجهام

(٣) « حسب » هنا بمعنى : ظن ، وتكسر عينها وتفتح ، والكسر أجود ، والمضارع مفتوح فى لغة جميع العرب ما عدا بنى كنانة فأنهم ، يكسرون المضارع مع كسر الماضى على غير قياس ، والمصدر محسبة بفتح السين وكسرها ، وحسبانا بكسر الحاء . والجون : من أسماء الاضداد ، ومعناه : الابيض أو الاسود أو الاحمر ، والمراد به هنا : الاسود .

(٢) الذى فى كتب اللغة أن الاشقر من الدواب : الاحمر ، ومن الناس : من يعلو بياضه حمرة ، والفعل كفرح وكرم .

الضرب الأول :

لا يمكن فض تركيبه وجعله متعدداً، شبه فيه كل أمر بما يقابله ، لوجود مانع ، والمانع أمران :

أحدهما : ألا يصلح تشبيه أحد الأجزاء بما يقابله تشبيها مستقلاً ، مثل قول الشاعر (١) :

كأنمّا المرّيخ والمشترِى قدّامَه في شامخِ الرّفعه
منصرفٌ بالليلِ من دعوةٍ قد أسرجت قدّامهُ شمعهْ

فانه يريد : تشبيه الصورة الحاصلة من المريخ وقد تقدمه المشترى ، بالصورة الحاصلة من المنصرف من دعوة وقد أوقدت أمامه شمعة ، ووجه الشبه : صورة شيء يتبع شيئا مضيئا على مسافة مخصوصة .

فالتشبيه لم يكن للمريخ من حيث هو نفسه ، ولكن من حيث كونه تابعا للمشترى ، فلو ذهبنا نفض التركيب ، ونعتبر « المريخ » مشبها بالمنصرف من دعوة ، لكان خلفاً من القول ، لأنه لا شبه بين الأمرين من حيث ذاتهما .

أما تشبيه المشترى بالشمعة ، فأنه وإن صح فليس مقصوداً هنا ، بل المقصود الهيئة الحاصلة من الأمرين .

مثال آخر ، قول ابن المعتز :

كأنه وكأسُ الكأس في فمِهِ
هِلالُ أوّلِ شهرٍ غابَ في شفقِهِ

(١) تقدم (ص ٣١) أنه : القاضي التنوخي .

يشبه صورة الكأس وقد غاب جزء منه فى فم الغلام ، بصورة الهلال وقد غاب فى الشفق ، ووجه الشبه : الهيئة الحاصلة من مغيب شىء أبيض مشرق مقوّس فى غشاء أحمر منبسط.

لو ذهبنا نفض التركيب لم نستطع ، لأنه إن صح تشبيه « الكأس » بالهلال فلن يصح تشبيه « الشفة » بالشفق . لأن ذلك لا يفيد معنى يقصد .

مثال آخر ، قول ابن المعتز :

غدا ، والصُّبْح تحتَ اللَّيلِ بادٍ ، كِطِرْفٍ أشهَبٍ ملقىَ الجِلال(١)

لو فضضنا تركيبه ، واعتبرنا « الليل » مشبها بالجلال كان تشبيها قبيحاً . فانهما وان جمعهما « السواد » فأى معنى يراد بهذا التشبيه ؟ أبيان مقدار سواد الليل ؟ أم بيان عمومه وشموله ؟

لا يصح إرادة شىء من ذلك ، وانما جاء التشبيه تبعا لا مستقلا ؛ والغرض : تشبيه الهيئة الحاصلة من اختلاط البياض بالسواد .

ثانى المانعين : أن يكون فض التركيب مفسدا للمعنى المقصود من الكلام كما أوضحه الشيخ فى قوله تعالى : « مثل الذين حملو التوراة » الآية ، وقول الشاعر :

كما أبرقت قوما عطاشا غمامة ... البيتين

---

(١) الطرف بالكسر : الكريم من الخيل . والشهب ؛ بالتحريك ، بياض يصدعه سواد كالشهبة بالضم والفعل ككرم وسمع ، واشهب بتشديد الباء فهو أشهب وشاهب . والجلال ، كالاجلال — جمع جل — بالضم والفتح : ما يوضع فوق الدابة لتصان به .

وهو كالراقم على الماء (١) ، وسيأتى ذلك مفصلا إن شاء الله .

الضرب الثانى :

يمكن فض تركيبه ، لكن تزول عنه روعة التشبيه وجماله ، وأكثر مايكون ذلك فى التشبيهات الحسية : مثل قوله (٢) :

وكأنَّ أجرامَ النُّجومِ لوامِعا ... دُرَرٌ نُثِرنَ على بِساطٍ أزْرق

نستطيع أن نقول : إنه تشبيه متعدد ، شبهت فيه النجوم بالدرر ، والسماء بالبساط الأزرق ، لكن أين ذلك من اعتبار الهيئة التى تملأ النواظر عجبا ، وتستوقف العيون ، وتستنطق القلوب بذكر الله تعالى على ما أبدع من طلوع النجوم مؤتلقة مفترقة فى أديم السماء ، وهى زرقاء زرقتها الصافية .

وكذلك قول بشار (٣):

كأنَّ مُثارَ النَّقْعِ فوقَ رءوسِنا
واسيافَنا ليلٌ تهاوى كواكِبه

يمكن أن نقول : إنه متعدد ، شبه كل جزء بما يقابله ، وإن الواو عاطفة لم تتضمن المعية ، لكنَّ ذلك يؤدى إلى زوال روعة التشبيه وجماله.

تنبيه : قد تتعين الواو للمعية ، ولا يجوز جعلها عاطفة ، وهذا هو الحد

---

(١) فى هذا المعنى يقول الشاعر :

سأرقم فى الماء القراح اليكم ... على نأيكم ان كان فى الماء راقم

(٢) البيت لابى طالب الرقى من شعراء « اليتيمة » ، والرواية هناك « على زجاج أزرق » راجع (ص ٢٤٥ ج ١ طبعة الصاوى) ؛ والبساط ، بكسر الباء : ما يبسط وينشر

(٣) تقدم هذا البيت ص ٣١

الآخر الذى تجىء عليه الواو فى عبارة الشيخ ، مثال ذلك قوله(١) :

إنى وَتَزْيينى بمدحى مَعشراً كمعلّقٍ دُرًّا على خِنزيرِ

لا يجوز جعل الواو عاطفة والمراد تشبيه المعطوف والمعطوف عليه ، فإن الحقيقة : أن الغرض تشبيه المعطوف فقط ، لأن المعنى على تشبيه هذا الفعل وهو «التزيين» بذاك الفعل وهو «التعليق» ؛ وليس المراد ذات الفعلين بل مع صلتهما ، فالمشبه : تزيينه بالمدح معشراً لئاما ؛ والمشبه به : تعليق الدر على الخنزير ؛ ووجه الشبه ، مأخوذ من مجموع المصدر وصلته وهو : أن فى كلٍّ وضع الزينة حيث لا يظهر لها أثر ، لأن الذى وضعت عليه غير قابل للتحسين .

ولما كان المشبَّه به فى البيت هو «المعلّق» وجب أن يكون المشبه هو «المزيِّن» وذلك يوجب أن تكون الواو بمعنى «مع» ليصير المعنى : انى مع تزيينى أى مصاحبا له ، أى متصفا به ؛ فلا يكون هنا أمران ، بل أمر واحد هو الموصوف بصفته ، والصفة هى المقصودة فى الحقيقة ، فما قبل الواو وما بعدها فى قوة اسم واحد .

ويمنع من جعل الواو عاطفة أمران :

الأول : أنه ليس معنا شيئان أحدهما خبر عن المعطوف عليه ، والآخر خبر عن المعطوف ، ليصح اعتبار التعدد هنا كما صح فى بيت بشار .

---

(١) أى ابن الرومى ، وهو أبو الحسن على بن العباس بن جريج ؛ أو أبى جرجيس ، وهو فى الرعيل الاول من شعراء المعانى النادرة والتشبيهات العجيبة ؛ وكان كثير التطير والتشاؤم ، كما كان هجاء خبيثاً ، دس له القاسم بن عبد الله بن سليمان ابن وهب السم فى بعض الاطعمة خوفاً من لسانه فكان فى ذلك حتفه ، ولد سنة ٢٢١ هـ وتوفى سنة ٢٨٣ على الراجح .

الثانى : أن المشبه أمر واحد هو الموصوف بصفته ، والمقصود الصفة

فإن قيل : بل معنا أمران ، يمكن جعلهما خبرين ، فان فى « معلق » ذات وصفة ، فاعله أراد تشبيه نفسه بذات « المعلق » ، وتزيينه بتعليقه ؟

فالجواب : أنه لامعنى لتشبيه المتكلم من حيث هو « زيد » بالمعلق من حيث هو « عمرو » ، انما الغرض تشبيه الفعل بالفعل ، فتأمل .

موازنة : قال المتنبى(١) :

كم وقفةٍ سَجرَتْكَ شَوْقاً بَعـدَما
غرِىَ الرَّقيبُ بِنا ولجَّ العـاذل(٢)

دونَ التَّعانق ناحلَيـن كَشَكلَتىْ
نصبٍ أدقَّـهما وضمَّ الشاكلُ

وقال بكر بن خارجة (٣) :

إنّى رأيتك فى نوْمى تعانِقنى
كما تعانِقُ لامُ الكاتبِ الألِفا

---

(١) هو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفى الكندى المتوفى سنة ٣٥٤ من قصيدة طويلة يمدح بها القاضى أبا الفضل أحمد بن عبد الله الانطاكى ، راجع ص ٢٤٩ — ٢٦٩ ج ٣ (من التبيان) وانظر ما كتبناه عن البحترى ص ٣٦

(٢) سجرت : ملأت،ومنه قوله تعالى : (والبحر المسجور) ، وروى « شجرتك » أى حبستك وصرفتك ؛ وروى : « سحرتك » أى جعلتك مسحوراً بالشوق . وغرى به — من باب رضى — غراً — كفتى — وغراء — كبناء — : أولع كأغرى به وغرى مبنيين للمفعول .

(٣) هو بكر بن النطاح الشاعر المشهور فى العصر العباسى : ومن مداح أبى دلف العجلى المتوفى سنة ٢٢٦ والبيت فى غلام نصرانى كان يهواه بكر هذا ، وقبله :

يا من إذا درس الانجيل ظل له
قلب التقى عن القرآن منصرفا

وروى الشطر الاول من البيت هكذا : « رأيت شخصك فى نومى يعانقنى »

فضَّل الشيخ بيت بكر ، لأنه أدَّى صورة للمتعانقين لا تحصل لكل منهما على الانفراد وهى صورة التفاف أحدهما بالآخر ، وانعطافه عليه ، وأصاب لها شبها فى جنس بعيد هو كلمة «لا» لأن خطى اللام والألف يفترق رأساهما ثم يتماسان فى الوسط فى خطى النسخ والثلث ، وهى هيئة « العناق » ، ونظير هذا قول البحترى (١) :

وَلَمْ أَنسَ لَيْلَتَنا فى العِنا ... قِ لفَّ الصَّبا بقَضِيبٍ قَضِيبا

فانه أراد بيان هيئة العناق ، فأصاب لها شبها فى القضيبين ، تلف الريح أحدهما بالآخر ، فكلاهما : تشبيه مركب غريب . أما المتنبى فقد أراك الحبيبين فى مكان واحد ، وشدد فى التقريب بينهما مفرطين فى النحول ، إذ شبههما بشكلى النصب الدقيقتين المضمومتين ، فهو كما قال الآخر (٢) :

ضَممْتُه ضمّةً صِرْنا بها وَحَداً ... فلَوْ رأتنا عيون ما خشِيناها

فقد أراد شدة الالتصاق ، من غير تعريج على هيئة العناق .

---

(١) من قصيدة فى مدح الفتح بن خاقان أولها :

لوت بالسلام بنانا خضيبا ... ولحظاً يشوق الفؤاد الطروبا

وفى رواية « ليلتها » بدل « ليلتنا » . والصبا ، بفتح الصاد : ريح حبيبة لا سيما عند العشاق ، وفيها يقول الشاعر :

ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد ؟ ... لقد زادنى مسراك وجداً على وجد

(٢) هو : أبو اسحق الفارسى من شعراء العصر البويهى (من سنة ٣٣٤ — ٤٤٧ هـ) . ووحداً ، بالتحريك بمعنى : منفردا كأحد ووحد ـ بكسر الحاء ـ ووحيد ومتوحد ، وقد كتبت فى « أسرار البلاغة » ص ١٧٦ : (واحداً) وهو خطأ لا يقل عن تصحيح بعض المعلقين عليه لهذه الكلمة بجعلها (جسداً) والصحيح ما أثبته المؤلف هنا .

هذا جملة ما ذكره الشيخ فى الفصل الأخير ، ونعود الآن إلى بيان مافى الفصلين الأولين : وأول مايلاحظ : أن الشيخ خص التقسيم فيهما بالتشبيه الذى وجهه عقلى ، مع انه عام فى العقلى وغيره ، وعذره أنه معنى بالتمثيل حين كتبهما . ففى الفصل الأول قسم « التمثيل » الى : مفرد ، ومركب ، ثم مثل للمفرد : بكلام كالعسل فى الحلاوة ، ومثل للمركب العقلى الذى لايجوز اعتباره متعددا بقوله تعالى: «مَثَلُ الذينَ حُمِّلوا التَّوراةَ ثمَّ لم يَحملوها كمثل الحمارِ يحمِلُ أسفاراً» فقد شبه اليهود وقد حملوا التوراة وقرءوها ، وحفظوا مافيها ، ولم يعملوا بها ، ولا انتفعوا بآياتها بحال حمار يحمل أسفارا هى أوعية العلوم ، ومستودع ثمر العقول ، وهو جاهل بمضمونها ، لاحظّ له منها الا مايناله من الكد والعناء ، ووجه الشبه : شقاء كلٍّ باستصحاب مايتضمن المنافع العظيمة والفوائد الشريفة من غير أن يحصل على شىء من تلك المنافع أو يعود عليه بعض تلك الفوائد ، والغرض من ذلك التمثيل : ذم اليهود بتلك الحال ، وتقبيح أمرهم ، والتشنيع عليهم .

ولعلك ترى بعد هذا البيان أنه لايمكن انتزاع هذا الوجه ، ولا حصول هذا الغرض الا اذا روعى فى المشبه به أمور ثلاثة :

١ ـ حمل ، فيه مشقة وعناء .

٢ ـ ومحمول مخصوص هو أسفار العلوم .

٣ ـ وحامل ، هو الحمار الذى هو مثلٌ فى الجهل والبلادة .

ثم لايمكن اعتبار كل واحد من هذه الثلاثة مستقلا عن الآخر لتكون تشبيها بعد تشبيه أى متعدداً ، لأن الغرض المتقدم لايتحقق الا بامتزاجها فإنه لايتعلق بالحمل حتى يكون المحمول ، « الأسفار » ، ولا بهذين حتى يقترن

بهما جهل «الحمار» الحامل، فما لم يعتبر ذلك لا يتم المقصود.

التشبيه المتعدد، مثل له الشيخ هنا بقولهم: هو يصفو ويكدر، ويمر ويحلو، ويشج ويأسو، ويسرج ويلجم؛ فانهم يريدون بذلك تشبيهه فى حال رضاه بالماء الصافى، وبالعسل الحلو؛ وفى حال غضبه بالماء الكدر، وبالصاب المر؛ وهم وإن أرادوا بذلك جمع الصفتين له، فليست إحداهما ممتزجة بالأخرى، بدليل أننا لو اقتصرنا على«هو يصفو ويحلو»، ولم نتعرض للكدر والمرارة، بقى المعنى فى تشبيهه بالماء فى الصفاء والعسل فى الحلاوة بحاله، وأفاد نفس الفائدة التى كان يفيدها مع الصفتين الاخريين، وذلك أمارة المتعدد.

تنبيه: ليس هذا المثال (١) من التشبيه الاصطلاحى بل هو من قبيل الاستعارة؛ والاستعارة تكون كالتشبيه: مفردة، ومركبة، ومتعددة، مثال الاولى: رأيت أسدا، ومثال الثانية: أخذ القوس باريها (٢)، ومثال الثالثة قول الشاعر (٣):

---

(١) لم يفصل «عبد القاهر» أمثلة التشبيه عن أمثلة الاستعارة بل ساق كثيراً من الاخيرة فى هذا الباب، لأن أساسها التشبيه، فهو موجود فى كل استعارة، وليس لعبد القاهر مذهبان فى الاستعارة أو التمثيل. وسيذكر الاستاذ المؤلف رأيه فى هذا فيما سيأتى.

(٢) سيأتى مثال شعرى لهذا المعنى.

(٣) هو لابى الفرج. الوأواء المتقدم ذكره ص ١٩ وقد رواه «العمدة» منسوبا اليه ص ٢٦٣ ج ١ وكذلك الحريرى فى «مقاماته» ص ٢٣ طبع الحسينية — وروى غير منسوب ص ٣٤٥ «دلائل الاعجاز»، ورواه أبو هلال منسوباً لبعض المحدثين ص ٢٥٦ ج ١ «ديوان المعانى».

فأمطرَتْ لؤلؤاً مِنْ نرْجسٍ وَسقتْ
وَرْداً وعضّتْ على العُنّابِ بالبرَدِ(١)

وكل جملة من الجمل التى ذكرها الشيخ فى مثاله تحتمل أن تكون استعارة تبعية وأن تكون مكنية ، وسنجريها على أنها مكنية تبعا لظاهر كلامه ، فنقول:

شبه الرجل الوديع الهادى بالماء الصافى ، فى نقائه من الشرائب ، وبعده عما يخرجه عن الاعتدال ، ودل على هذا التشبيه باثبات لازم المشبه به — وهو الصفاء — للمشبه .

وشبه الرجل الغضبان الهائج بالماء الكدر ، فى خروجه عن الاعتدال وعدم كمال الانتفاع به ، ودل على هذا التشبيه باثبات لازم المشبه به — وهو يكدر — للمشبه .

وشبه الرجل اللين الكريم الخلق بالعسل ، فى قبول النفس له ، ورغبتها فيه ، ودل على هذا التشبيه باثبات لازم المشبه به — وهو يحلو — للمشبه .

وشبه الشديد القاسى بالصاب المر ، فى صعوبته وكراهيته ، ودل على هذا التشبيه باثبات المرارة — التى هى لازم المشبه به — للمشبه ؛ وفى هذا المعنى يقول الشاعر :

أمرُّ على الحانى ويغلظ جانبى   وذو الود أحلولِى له وألين(٢)

---

(١) رواية اليتيمة : « وأسبلت » وبقية الكتب : « فأسبلت » وما هنا أشهر ، والمراد باللؤلؤ الدمع : وبالنرجس : العين ، وبالورد : الخد ، وبالعناب : الانامل ، وبالبرد : الاسنان .

(٢) المراد بالحانى : العدو ، لأنه يحنى صدره على البغض والاحن ، واحلولى : صار حلوا ، كحلى : بوزن ضرب ونصر .

ويقول الآخر (١) :

وإنى لحلو تعترينى مرارة وإنى لتراك لما لم أعوّد (٢)

وشبه من يؤذى الناس بمن يجرحهم ، فى الإيلام ، ومن يؤاسيهم ويخفف متاعبهم بمن يأسو أى يداوى ، ودل على كل من التشبيهين بإثبات لازم المشبه به للمشبه ، ومن ذلك قول بعضهم :

إنى لأكثرُ مِمّا سمتنى عجباً يدٌ تشجّ ، وأخرى مِنك تأسونى (٣)

وشبه الرجل بشرع فى الأمر بمن يسرج الفرس ، فاذا أتمه شبهناه بمن يلجم بعد الإسراج ، ودل على كل من التشبيهين باثبات لازم المشبه به للمشبه .

ولو أدخلنا الفاء بين كل جملتين صار تمثيلا مركبا — أى استعارات تمثيلية — فنقول : شبه الرجل يتعاقب عليه الهدوء والغضب بالماء يتعاقب عليه الصفو والكدر ، فى أن كلا يتعاقب عليه الحسن والقبيح ، واستعير اللفظ الدال على المشبّه به للمشبه ، وكذلك يحلو فيمر .

ويشبه الرجل يتبع السيئة الحسنة . بمن يجرح ويأسو جريحه ، فى إتباع القبيح بالحسن ، واستعير اللفظ الدال على المشبّه به للمشبه .

وشبه الرجل يبدأ الشيء فيتمه بمن يسرج الفرس فيلجمه ، ويجعله معدا

---

(١) هو حسان بن ثابت الانصارى ، شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمدافع عنه عمر ١٢٠ سنة وتوفى سنة ٥٠ هـ .

(٢) البيت ضمن قصيدة فى ديوانه « بشرح البرقوقى » ص ١٣٠ .

(٣) سامه كذا : كلفه إياه ، كسومه .

للانتفاع به بجا مع أن كلا يتم ما شرع فيه ، ويعدُّه للنفع ، قال أبو تمام (١) يخاطب أحمد بن أبي دؤاد (٢) :

اعلم وأنتَ المرءُ غيرَ معلَّمٍ ... وافهمْ جعلت فداكَ غير مفهّمِ
أن اصطناع العرْفِ ما لم توله ... مستكملا كالثّوبِ ما لم يعلمِ (٣)
والشكر ما لم يُستثرْ بصنيعةٍ ... كالخطّ تقرؤه وليسَ بمعجم
ويفوتني في القولِ إكثارٌ وقد ... أسرجتَ في كرم الفعالِ فألجم (٤)

وجه الشبه في البيت الثاني : كون كلّ غير كامل الحسن ، وفي البيت الثالث : انبهام الغرض من كل ، واحتمال فهمه على خلاف المراد به .

وقد سقت هذه الأبيات لأني رأيت من يغيّر عبارة الكتاب ، فيجعلها : ويشرح ويلحم (٥) ، وهو من العجب .

سؤال : قيل : كيف مثل الشيخ بهذا ؟ ونحن في التشبيه لا في الاستعارة ؟

جوابه : أن الفرق بين التشبيه والاستعارة لم يكن قد تقرر ورسخ في النفوس لأن « فن البيان » كان في عهده لا يزال في دور الطفولة والتكون

(١) حبيب بن أوس الطائي من زعماء الشعر العباسي الذين جنحوا به نحو المعاني ، وحولوا فلسفته فخانه اللفظ ، وعثر به الاسلوب في أكثر شعره ، توفي على التحقيق سنة ٢٣١ هـ .

(٢) من أعلام التاريخ الاسلامي في القضاء والسياسة والتدبير ، أسرع الشواس في قضاء مصالح الناس ، ويعد ألمع الشخصيات في عهدي المعتصم والواثق العباسيين ، وكان موئلا آمنيا للادب والادباء ، توفي مفلوجا سنة ٢٤٠ هـ .

(٣) اصطناع العرف : اتخاذ المعروف عند الناس ، وأعلم الثوب : جعل فيه علما ، أي رسما ، ورقما .

(٤) الفعال ، كسحاب . الفعل الحسن .

(٥) راجع ص ٨٢ من « أسرار البلاغة » بتعليق الشيخ رشيد رضا هامش رقم ٢

وكثيراً ما نجد فى الكتب المتقدمة تسمية بعض الاستعارة : تشبيها ، وتسمية بعض التشبيه : استعارة ، وسنرى الشيخ يمثل للتمثيل بكثير من الاستعارات ويرد على من يخالفه(١) ، وسنبين ذلك إن شاء الله ، ونوضح حقيقة الأمر فيما بعد .

* * *

وفى «الفصل الثانى» عرض أيضا لانقسام التشبيه إلى : مفرد ، ومركب ولكنه يريد أن يبين ـ فوق ما تقدم ـ نوعا خاصا من التمثيل المركب ، يكاد يكون اعتبار التركيب فيه ضروريا.

وخلاصة ما أراد : أن وجه الشبه ربما انتزع من وصف المشبه به وحده ، وربما انتزع منه مع ما قيد به ، فمثال الأول : كلام كالعسل فى الحلاوة ، فإن اللذة والرغبة منتزعة من الحلاوة ـ التى هى وصف العسل ـ وحدها ، ومثال الثانى : أن يكون المشبه به فعلا ، إلى تعدى إذا شىء خاص كان له حكم خاص بسبب ذلك التعدى لا يكون له بدونه ، مثال ذلك : « القبض » فإن معناه : إمساك الشىء باليد ، فإذا عدى بـ « على » إلى « الماء » حصل له حكم خاص ، وهو عدم الفائدة منه ، وهذا الحكم لا يمكن استفادته بدون التعدى ، فإذا أردنا إفادته بالتمثيل ، فقلنا : فلان فيما يحاول كالقابض على الماء ، فلا بد من انتزاع الشبه من الوصف وما تعدى إليه ، لنصل إلى الغرض ، ولا يمكن انتزاع الوجه من الفعل وحده ، لأن هذا المثل يضرب لمن لا يحصل من سعيه على طائل ، ولا مناسبة البتة بين هذا المعنى وبين الفعل المشبه به وهو « القبض » لأن « القبض » ـ من حيث هو قبض ـ لا يفيد خيبة المسعى إلا بوساطة تعديه إلى الماء .

---

(١) سبق لنا رأى فى هذا الموضوع فراجعه ص ٤٥ .

ومثل ذلك سواءً . هو كمن يرقم على الماء (١)، هو كمن يضرب فى حديد بارد(٢) ، هو كمن ينفخ فى غير فحم(٣) ، أو فى رماد .

كل ذلك يقال للرجل يمارس أمراً لا يجدى عليه ، ولا يحصل منه على فائدة ، وقد انتزع الشبه فيه من الفعل وما تعدى إليه ، لأن هذا التعدى هو الذى أفاد أن الفعل غير واقع فى موقعه ، وغير جار على الصواب ، ومن أمثلة ذلك فى الشعر :

فأصبحت من ليلى الغداة كقابضٍ على الماءِ خانته فروج الأصابع(٤)

* * *

وكم قارع سمعا بوعظ يجيدُه ولكنه فى الماء يرقم ما رقمْ

* * *

هيهاتَ تضرب فى حديد باردٍ إن كنت تطمع فى نوالِ «زياد»(٥)

* * *

ونارٍ لو نفخت بها أضاءتْ ولكن أنت تنفخ فى رمادِ

---

(١) قدمنا مثالا شعريا فى هذا المعنى ص ٤٠ .

(٢) من ذلك المعنى أيضاً قول الشاعر :ـ

وإذا تألفت القلوب على الهوى فالناس تضرب فى حديد بارد

وقول الاخر :ـ

يا خادع البخلاء عن أموالهم هيهات!! تضرب فى حديد بارد

(٣) من ضد هذا المعنى قول الشاعر :

قد قاتلوا لو ينفخون فى فحم وصبروا لو صبروا على أمم

والفحم بالتحريك وبسكون الحاء ، وكأمير : الجمر الطافىء ، والامم بالتحريك : الامر البين ، والقصد الوسط .

(٤) هو للمجنون ، الفروج ، جمع فرج كضرب : وهو ما بينها ، ومن هذا المعنى قول أبى دهبل الجمحى :

فأصبحت مما كان بينى وبينها سوى ذكرها ، كالقابض الماء باليد

راجع ص ١٣٩ ج ٧ أغانى طبعة الدار و ١٦٧ ج ٦ أميرية .

(٥) هكذا روى فى كثير من الكتب وصحته : « فى نوال سعيد » ، وبعده :

والله لو ملك البحار بأسرها وأتاه «سلم» فى زمان مدود

يبغيه منها شربة لطهوره لابى وقال : تيمم بصعيد

ولا يخفى أن : هو يرقم فى الماء ، وأنت تضرب فى حديد بارد ، وأنت تنفخ فى غير فحم ، استعارات تمثيلية مركبة لا تشبيه تمثيلى لإجراء وصف المشبه به على المشبه .

وقد ينتزع الشبه من الفعل والفاعل والمفعول به جميعا ، نحو قولهم حين يسند الأمر إلى أهله : أخذ القوس باريها ، فالشبه ليس منتزعا من الأخذ وحده ، بل منه ومما اتصل به من وقوعه من بارى القوس على القوس ، لأن ذلك هو الذى أفاد أن الأخذ واقع موقعه ، وعلى الصواب ، وهذا المثل : استعارة تمثيلية أيضا ، شبه حال الامر وقد أسند إلى من هو أهله له بحال القوس وقد أخذها باريها ، ووجه الشبه : أن كلا أعرف بما أخذ ، وأهدى إلى توفيته حقه ، قال الشاعر يخاطب من أخفق فيما ولى من عمل :

يا بارئ القوس بريا ليس يحسنه   لا تظلم القوس ، أعط القوس باريها

وقد ينتزع الشبه من الفعل والحال ، كقولهم للرجل يتزين بما ليس له ، أو يزج بنفسه فى أمور يعود نفعها على غيره ولا يعود عليه منها شىء : فلان كالحادى وليس له بعير ، فجملة : « وليس له بعير » حال من « الحادى » ووجه الشبه : العمل فيما هو لغيره لا له وهو مأخوذ من « الحدو » والحال لان « الحدو » وحده لا يفيد هذا المعنى .

وقد يحتاج فى انتزاع وجه الشبه إلى الفعل والمفعول به والجار والمجرور ، كما يقال لمن يحاول أن يجمع بين أمرين لا يمكن اجتماعهما : هو كمن يجمع

= راجع ص ١١٢ ج ٦ من كتاب « الكامل مع رغبة الامل » ، « وسعيد » هو : ابن سلم بن قتيبة بن مسلم الباهلى ، والى أرمينية والموصل وسجستان وطبرستان والجزيرة ، توفى سنة ١١٧ هـ ، والبيت لأبى الشمقمق مروان بن محمد وهو من موالى بنى أمية وترجمته فى ص ٣٩٧ « معجم الشعراء للمرزبانى » .

السيفين فى غِمد، ووجه الشبه: أن كلاً يحاول ما لا يكون، فلا بد من اعتبار كل ما ذكرنا ليحصل الغرض، قال أبو ذؤيب الهذلى (١):

تريدين كيما تجمعيني وخالداً
وهل يجمع السَّيفانِ، ويحكِ فى غِمد(٢)

ومثل ذلك، قولهم لمن يطلب أمراً يعسر عليه نيله، أو يُتوقع هلاكه فيه: هو كمن يبتغى الصيدفى عِرِّيسة الاسد، قال الطرِمّاح(٣):

يا طيءَ السهلِ والأجبال موعدكم
كمبتغى الصيدِ فى عِرِّيسة الأسـد

والليث من يلتمس صيداً بعقوته
يُعرج بحَوبائه من آخر الجسدِ(٤)

العَقوة: المحلة، والحوْباء: النفس، والعرِّيسة: شجر ملتف يأوى إليه الأسد، فالوجه وهو: أن كلا يطلب ما فيه هلاكه، لا بد فيه من اعتبار الفعل والمفعول به والجار والمجرور، ليحصل المغزى منه.

---

(١) هو: خويلد بن خالد بن محرز بن زبيد المخزومى، ينتهى نسبه إلى نزار، وهومن شعراء البادية المخضرمين، أسلم وحسن إسلامه، وتوفى فى ميدان الجهاد سنة ٢٦هـ وراجع تفصيل أخباره فى ترجمتنا له «تحت الطبع».

(٢) الخطاب لأم عمرو معشوقة أبى ذؤيب والتى أحبت عليه خالد بن زهير بن محرث ابن أخته راجع تفاصيل القصة فى ص ١٥٧ ج ١ وما بعدها «ديوان الهذليين»، ص ٢٠ ج ٤ «شرح الحماسة» ص ١٥٨ ج ١ وما بعدها «ديوان المعانى»، ص ٣٧١ «معجم الشعراء» ص ٥٦ - ٦٢ ح ٦ من «الاغانى» وأوفى المراجع ترجمتنا له.

(٣) هو: ابن حكيم الشاعر المشهور نشأ فى الشام ثم رحل إلى الكوفة، وهناك اتصل بالخوارج، واعتنق مذهبهم، واشتد فيه، وظل كذلك حتى مات سنة ١٠٠ هـ.

(٤) من معانى العقوة أيضاً: الشجر، وما حول الدار، كالمقاة بفتح العين. ويعرج: يصعد.

ومما وجه الشبه فيه منتزع من الفعل والجار والمجرور ، قولهم للرجل: يعمل الحيلة حتى يميل صاحبه إلى الشيء بعد أن كان يأباه : ما زال يفتل منه فى الذروة والغارب(١) حتى بلغ ما أراد ، أى أنه لم يزل يرفق به ، ويلين له القول ، حتى أشبه حاله معه حال الرجل يجيء إلى البعير المستصعب فيحكه ، ويفتل الشعر فى ذروته وغاربه حتى يسكن ويستأنس ويطيع صاحبه ، ووجه الشبه : إعمال الحيلة للردّ من الإباء إلى الانقياد ، ومن الاستعصاب إلى الإصحاب ، وهذا المعنى لا يؤخذ من « الفتل » وحده ، بل إذا كان فى الشعر من ذروة البعير وغاربه ، وهذا المثل : استعارة تمثيلية ، لا تشبيه تمثيلي .

إذا تقرر أن الشبه فى هذا الضرب يؤخذ من الفعل وما تعدّى إليه ، ظهر أنه لا بدّ فيه من جملة صريحة ، أو شيء فى حكم الجملة : ـ فالجملة نحو : هو كمن يضرب فى حديد بارد ، وأخذ القوس باريها ، وحكم الجملة كما تقول : هو كالراقم على الماء .

يقول الشيخ : « إن خصائص هذا النوع من التمثيل أكثر من أن تضبط وقد وقفتك على الطريقة » أراد بذلك : ان أمثلته كثيرة متنوعة ، وأنه أبان لك طريقها ـ وهو أن يكون الشبه منتزعا من الفعل وما تعدى إليه ـ ومن هذه الامثلة أن تقول : فلان يلعب بالنار ، أو على الحبل ، فى هذه التعدية معنى الخطر ، وفلان يوقد للعمشى ، إذ حصل بها معنى عدم الانتفاع بفعله وقول الشاعر : (٢)

---

(١) الذروة : أعلى السنام . والغارب : ما بينه وبين العنق .

(٢) هو : أبو الحسن على بن محمد التهامى ، نشأ فى تهامة ، ورحل إلى الاقطار المختلفة ، ثم استقر فى الشام وامتزج بأهل الرأي والسلطان فيها ، حتى أرسلوه متجسساً على الفاطميين إلى القاهرة ، فعرف أمره ، وقتل بعد القبض عليه سنه ٤١٦ هـ .

ومكلفُ الأيامِ ضدَّ طباعها   متطلبٌ فى الماءِ جذوة نارِ(١)

وإذا رجوْت المستحيلَ فإنما   تبنى الرَّجاءَ على شفيرٍ هارِ(٢)

ومنها قوله تعالى : « فمَنْ يكفُرْ بالطَّاغوتِ ويؤمنْ باللهِ فقدِ استمسكَ بالعُروةِ الوثقى » فإن تعدية « استمسك » أفادت معنى «أَمِنَ الهلاك » وضدها : أمسك بخيط العنكبوت .

ثم يقول : « فهذا أحد الوجوه التى يكون الشبه فيها مأخوذا من جملة الكلام ، وأظنه من أقوى الأسباب فيه » يريد : أن كون وجه الشبه مأخوذا من الفعل وما تعدى إليه أحد الوجوه التى تقتضى أن يكون الشبه مركبا ، أى منتزعا من أمور متعدِّدة لا من أمر مفرد وهذا فى الحقيقة أقوى أسباب التركيب .

وهناك أوجه أخرى لاضابط لها ، منها : أن يكون مأخوذا من جملتين نحو : أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى(٣) ، أو من جمل ، نحو قوله تعالى . « إنما مثلُ الحياةِ الدُّنيا كماءٍ أنزَلناه منَ السَّماءِ » الآية ، أو من شىء وأوصافه ، كقول الشاعر(٤) :

---

(١) من قصيدة مشهورة رثى بها ابنه الصغير ، وأولها :

حكم المنية فى البرية جارى   ما هذه الدنيا بدار قرار

وهى فى « مختارات البارودى » فى الرثاء ح ٣ ، وفى «المنتخب من أدب العرب» ص ٣٧٤ طبعة سنة ١٣٥٢ هـ .

(٢) الشفير : الحافة والطرف ، وهار البناء : هدمه فهار ، وهو هائر ، وهار .

(٣) سترى بعد صفحات تفصيل آراء العلماء فى هذا المثال ، ثم تعقيبنا عليها ، وستلمس اتجاها جديداً فى فهمه . « ٦١ ، ٥٢ ، ٦٣ هامش » .

(٤) هو أبو عبادة البحترى : من قصيدة فى مدح أبى الفضل بن نوبخت وسيأتى البيت مع الذى قبله بشرح الأستاذ المؤلف .

كالبَدرِ أفرَطَ فى العلوّ وضوؤُه   لِلعصبةِ السَّارينَ جدُّ قريبِ

إلى غير ذلك مما يندرج تحت ضابط التشبيه المركب .

***

كان الشيخ قد بين فى الفصل السابق أن : « مثل الذينَ حمّلوا » الآية تمثيل مركب لا متعدد ، وبالغ فى الاحتجاج لذلك ، وقد عاد هنا إلى زيادة توكيد لرأيه ، فجعل الآية من قبيل : هو كالقابض على الماء ، أى أن الشبه منتزع من الحمل وما تعدى إليه من الأسفار ، مع اقتران الجهل للاسفار به فقطع الحمل عما تعدى إليه ، كقطع القبض عما تعدى إليه فى أنهما لا يفيدان ما كانا يفيدانه مع التعدية ، فيجب أن يكون مركبا ، وكأنه رأى أن مآل المعنى : تشبيه حمل اليهود التوراة بحمل الحمار الأسفار ، فلا يقال : إن مثل اليهود ليس من هذا الضرب ، لأن المشبه به اسم موصوف بفعل ، لا فعل متعد .

اعتراض : قد يتوهم متوهم أن الشيخ يمنع وقوع « الحمل » مشبها به ، فيعترض بأن لا مانع من تشبيه « الحفظ » بـ « الحمل » ، فإن كلا من الحافظ للشىء والحامل له متمكن منه قادر عليه ولذلك يقال : حملة القرآن وحملة الحديث ، وجاء فى الأثر : « يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله » و « رب حامل فقه إلى من هو أفقه منه » فقد استعير الحمل فى كل ذلك للحفظ ، وهو دليل على صحة التشبيه ، فلم لا يشبه حفظ اليهود بالحمل ؟

والجواب : أن الشيخ لم يمنع صحة وقوع الحمل مشبها به مطلقا ، بل أراد أن الغرض من مثل اليهود لا يحصل بالتشبيه بالحمل وحده ، بل به مع الأمرين الآخرين ؛ ولو أنك رأيت رجلا يحمل حقيبة كتت رائحا غاديا ، ولكنه لا يعقل مما فيها شيئا ، فقلت : مثله كمثل الحمار يحمل أسفاراً ، لم يكن غرضك

مجرد « الحمل » وإن كان موجوداً على الحقيقة ، بل الغرض الذم بالتعب فى استصحاب الأمر النافع من غير انتفاع به .

هل يشترط الشيخ فى التمثيل أن يكون مركبا ؟

قد يظن أن الشيخ يشترط فى التمثيل أن يكون مركبا . مع كونه عقليا ، أخذا من قوله هنا : « وعلى الجملة فينبغى أن تعلم أن المثل الحقيقى ، والتشبيه الذى هو أولى بأن يسمى « تمثيلا » ، ما تجده لا يحصل لك إلا من جملة من الكلام أو أكثر » .

وحقيقة الأمر : أنه فى « أسرار البلاغة » جرى على أن التمثيل يكون مفرداً ومركبا - كما قررنا فيما مضى - وقد جعل منه : حجة كالشمس ، وكلام كالعسل ، ولم يعتبر فيه أكثر من كونه عقليا ، وقسمه إلى مفرد ومركب ، وأكثر فيما يأتى من التمثيل له بالمفرد ، فالظاهر أنه أراد بعبارته هذه : أن أروع التمثيل وأفخمه وأدقه ، ما كان مركبا ، ولم يرد حصر التمثيل فى المركب ويدل على ذلك قوله : « الأولى أن يسمى : تمثيلا » .

أما فى « دلائل الإعجاز » فكل أمثلته التى ذكرها للتمثيل من قبيل المركب العقلى ، وتشعر بفحواها : أن التمثيل ما كان وجهه مأخوذاً من مجموع الكلام ؛ ولعل هذا هو ما حمل السكاكى على اشتراط كونه مركبا عقليا

ثم يقول الشيخ : « إن التشبيه كلما كان أوغل فى كونه عقليا ، كانت حاجته إلى الجمل أكثر » أراد بذلك : أن التشبيه كلما كان أكثر جملا كان أوغل فى كونه عقليا ، أى كانت حاجته إلى العمل العقلى أكثر ، فجاءت

العبارة مقلوبة(٢)، وذلك لان كثرة الجمل فى التشبيه وقلتها ليست تابعة للعقلية والحسية، ولكنها تابعة للمعانى التى يستدعى الغرض تأليف التشبيه منها.

فقد يستدعى الغرض تأليفه من جملة، وقد يستدعى تأليفه من أكثر؛ ويظهر ذلك جليا إذا وازنا بين الآيتين الآتيتين:—

قال تعالى فى سورة يونس: «إنما مثلُ الحياةِ الدُّنيا كماءٍ أنزلناه منَ السَّماءِ فاختلط به نباتُ الأرضِ» — أى اشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا — «مِمَّا يأكل النَّاس والأنعامُ حتى إذا أخذتِ الأرض زخرُفها وازَّينت» جعلت الأرض آخذة زخرفها على التمثيل بالعروس إذا اخذت الثياب الفاخرة من كل لون فاكتستها، وتزينت بغيرها من ألوان الزينة، «وظنَّ أهلُها أنهم قادرون عليها» متمكنون منها، محصلون لثمرتها، رافعون لغلتها «أتاها أمرُنا ليلاً أو نهاراً» وهو ضرب زرعها ببعض الآفات، بعد استيقانهم أنه قد سلم «فجعلناها» أى جعلنا زرعها «حصيداً» أى شبيها بما يحصد من الزرع فى قطعه واستئصاله «كأن لم تغنَ بالأمسِ» كأن لم يغن زرعها، أى لم ينبت، اه من الكشاف(٢).

شبهت حال الدنيا فى سرعة تقضيها، وانقراض نعيمها بعد اغترار الناس بها، واعتمادهم عليها، بحال نبات ذهبت نضرته فجأة، وصار حطاما بعد ما التف وتكاثف، وزين الأرض بخضرته، وعم نفعه الإنسان والحيوان وطمع الناس فيه، وظنوا أنه قد سلم من الجوائح؛ ووجه الشبه: الهيئة

---

(١) لعل المقدم والتالى هنا من النوع اللازم المساواة، كقولنا: كلما كان هذا إنسانا كان ناطقا، وكلما كان ناطقا كان إنسانا، وعلى هذا فكثرة الجمل لازم لكون الشبه عقليا وبالعكس، وحينئذ فلا ضرورة لجعل العبارة مقلوبة.

(٢) ص ١٨٧ ج ٢

الحاصلة من سرعة التقضى ، وزوال النعيم بعد الإقبال وعموم النفع ، واغترار الناس به ، واعتمادهم عليه .

وقال تعالى فى سورة الكهف : « واضربْ لهم مثلَ الحياةِ الدُّنيا كماءٍ أنزلناه منَ السَّماءِ فاختلط به نباتُ الأرضِ فأصبح هشيماً تذْروه الرِّياحُ » .

شبهت حال الدنيا فى نضرتها وبهجتها وما يعقبها من الفناء ، بحال النبات يكون أخضر وارفا ، فيصير هشيما تطيره الرياح .

فأساس التشبيهين ومغزاهما واحدٌ ، وهو التحذير من الاغترار بالدنيا ونعيمها ، وتأكيد سرعة زوالها ، ولكن لوحظ فى التشبيه الأول أمور اقتضت كثرة جمله ، ولم تلاحظ فى الثانى :

منها : إفادة عموم النفع ؛ وجمال الأرض وبهجتها .

ومنها اغترار الناس بها ، واعتمادهم عليها ، وظنهم أنهم متمكنون منها ، وأنها قد سلمت فى الجوائح .

فزيادة الجمل جاءت من إرادة هذه المعانى ، لا من التوغل فى «العقلية» .

تنبيه : لما بين الشيخ أن التمثيل المركب يكون مؤلفا من جملتين أو جمل خشى أن يتوهم أن كل تشبيه اشتمل على جمل كان مركبا ، فأراد أن يدفع هذا الوهم بتذكيرنا بالفرق بين المركب والمتعدد ، فبين أنه لا ينبغى أن يعد من المركب إلا الجمل التى تشابكت وتداخلت حتى صارت كالشىء الواحد تؤدى غرضا واحدا .

أما الجمل التى ليست كذلك ، والتى بقيت كل واحدة منها حافظة لصورتها والتى لها أغراض بعددها ، كل منها تؤدى غرضا خاصا مستقلا ، فليست من

التركيب فى شىء ؛ ولذا لا يجب ترتيبها على وجه خاص ، ولا يمنع حذف بعضها إفادة الآخر ما كان يفيده قبل الحذف ، نحو قولك : هو كالبحر جودا ، والبدر بهاء ، والسيف مضاء ، والأسد بأسا ، وغير ذلك من أمثلة المتعدد التى سبقت ؛ وقد أجمل الشيخ فى هذا الموضع الفروق التى سبق ذكرها بين الضربين عناية منه بالأمر — كما قدمنا — .

تحذير : لكى يكون حكمك صحيحا ، يجب أن تدقق النظر فى غرض الشاعر أو الناثر ، حتى لا تقع فى الغلط ، فتظن الشبه المنتزع من أمور منتزعا من أمرين فقط انظر إلى قول كثيّر :

لقد أطمعتْنى بالوِصال تبسُّماً — وبَعدَ رجائى أعرَضَت وتولت
كما أبرَقتْ قوماً عِطاشاً غَمامة — فلما رَأَوْها أقشعَت وتجلت

فقد يتوهم غير المتأمل أن المراد تشبيه المرأة وقد تبسمت له ، فطمع فى وصلها الذى هو فى حاجة اليه ، بالسحابة تبرق لقوم عطاش ، فيطمعون فى مطرها الذى هم فى أشد الحاجة اليه ، ووجه الشبه منتزع من ذلك فقط وهو : ظهور أمر مطمع لمن هو شديد الحاجة اليه . وهذا وإن كان صحيحا فى نفسه . فيه اهمال لما يفيده الشطر الثانى من البيتين ، والذى لا يتم غرض الشاعر الا بملاحظته ، فان غرضه أن يفيد أن أمارات ظفره بما هو شديد الحاجة اليه من الوصل قد لاحت ثم اختفت ، فخاب أمله ، وكذب ظنه ، وعظمت حسرته ، وأن يشبه حاله هذه بحال قوم عطاش رأوا غمامة تبرق فأطمعتهم فى مطرها ، ثم أيأستهم ، وأعظمت حسرتهم بانقشاعها ، وهذا المعنى لا يؤخذ إلا من البيتين بتمامهما ؛ ووجه الشبه : ظهور أمارات الظفر بالمقصود للمحتاج اليه ، ثم اختفاؤها ؛ وإبقاؤه فى حسرة وترح بعد السرور والفرح .

هذا التشبيه تمثيل مركب ، وقد يتأتى الخلط فى التشبيه غير التمثيلى ، فقد يتوهم أن وجه الشبه فى قول بشار :

كأن مثار النقع فوق رءوسنا   وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

منتزع من «الليل والكواكب» من غير التفات إلى ماتفيده كلمة «تهاوى» وهو خطأ بين ، سيتضح عند موازنة هذا البيت بغيره ان شاء الله .

شبهة ، قد يقول قائل : انك استدللت على تركب التشبيه من جميع البيت بأن ترك بعضه مخل بغرض الشاعر ، وهذا يوجب أن تكون بعض التشبيهات المتعددة مركبة ، لأن الاقتصار على بعضها يخل بغرض المتكلم من الكلام مثال ذلك : هو يصفو ويكدر ، فان المتكلم بذلك غرضه وصف الرجل بأنه يجمع الصفتين . فالاقتصار على احداهما يخل بهذا الغرض . وحينئذ فلا بد من اعتبارهما معا فيكون مركبا .

جوابها : أن هناك فرقا فيه قليل من الغموض يزيله التأمل ، فان الغرض فى البيت افادة أن الابتداء المطمع اتصل بانتهاء مؤيس ، وكون الشيء ابتداء لأمر هو له انتهاء ، أمر زائد على مجرد الجمع بين الأمرين يوجب ارتباط أحدهما بالآخر ، وبناءه عليه ، أما : هو يصفو ويكدر ، فليس فيه غير الجمع بين الصفتين بواو العطف ، ولا يوجد فيه مايقتضى ربط احداهما بالأخرى ولذلك لو قيل : هو يصفو ، ولم يقل «يكدر» بقى تشبيهه بالماء فى الصفاء بحاله . وعدم افادة الجمع ليس قصورا فى إفادة التشبيه ، بل فيما أفادته واو العطف أما فى البيت فعدم اعتبار الشطر الثانى يوجب قصورا فى نفس التشبيه ، ويخل بالغرض منه

ولو قلنا : هو يصفو فيكدر : أو ثم يكدر ، كان ذلك نظيرا للبيت ، ووجب

اعتبار التركب من الصفتين ، لأن « الفاء وثم » للترتيب ، وهو أمر زائد على مجرد الجمع ، يقتضى ارتباط المعطوف بالمعطوف عليه ، وأن الشبه منتزع منهما معا على التشابك والتداخل .

تنبيه : قدمنا أن هذا المثل استعارة بالكناية عند اعتبار التعدد وتمثيلية مركبة عند اعتبار الارتباط ، فلا تغفل .

ملاحظة : قول الشيخ : « ونظير هذا أن تقول : هو كالصفو بعد الكدر ، فى حصول معنى يجب معه ربط أحد الوصفين بالآخر » . عبارة غير محررة ، وذلك أنه ليس فى هذا التشبيه تركيب ولا تعدد ، بل تشبيه مفرد ، ونظيره أن تقول : جاءنى كتابك ، فكان كالصحة بعد المرض ، والماء البارد بعد الظمأ ، وقرأته فوجدته كالروض بعد المطر ؛ ولعل صحة العبارة : هو يصفو بعد الكدر ، فإن كلمة « بعد » مثل « الفاء أو ثم » .

ومن أمثلة التمثيل المركب ما كتبه يزيد بن الوليد(١) إلى مروان بن محمد(٢) وقد بلغه أنه متوقف فى البيعة : « بلغنى أنك تقدم رجلا وتؤخر أخرى ، فإذا أتاك كتابى هذا فاعتمد على أيهما شئت ، والسلام(٣) » ، فهذه استعارة

---

(١) هو يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان المعروف بالناقص ، ولى الخلافة بعد أن قتل الخليفة الفاجر الوليد بن يزيد بن عبد الملك سنة ١٢٦ ﻫ ثم مات فى اثنائها بعد خمسة أشهر .

(٢) هو مروان بن محمد بن مروان آخر الخلفاء الامويين المقتول سنة ١٣٢ ﻫ وكان عاملا ليزيد على ارمينية ، ونص الكتاب فى ص ٢٤٢ ج أول (البيان والتبيين)

(٣) اختلف العلماء فى تخريج هذه العبارة اختلافا كبيرا :

(ا) فذهب جمهورهم الى أن الاصل : « تقدم رجلا تارة وتؤخرها تارة أخرى فحذف لفظ تارة فى العبارتين وضمير المفعول فى الثانية ، والذى دفعهم إلى هذا حرصهم

تمثيلية مركبة قطعاً لأن وجه الشبه فيها : التردد وترجح الرأى بين الطاعة والمعصية ، ولا يمكن انتزاع ذلك إلا من الجملتين معا .

= على أن يكون متعلق التقديم والتأخير شيئا واحدا ، وقد اعترض على هذا التوجيه : بأن معنى التقديم والتأخير . جعل الشيء قدام الشيء وخلفه فلا يجوز التخريج السابق ولكنهم أجابوا عنه ؛ بأن اعادة الرجل الى مكانها الاصلى بعد تاخيرا تجوزا لانه يعد خلفا بالنسبة لمكان تقدمها .

(ب) ورأى بعض شراح «المفتاح» أن المراد بالرجل : الخطوة ، لان المتردد الذى يقدم رجلا لا يؤخر أخرى ، بل تلك الرجل الاولى ، اذ أنه خطا خطوة الى الامام وأخرى الى الخلف ، وسميت الخطوة رجلا لانها أثر لها ، وقد اعترض على هذا بان القدام : قدام الشخص فيجب أن يكون الخلف خلفه ، وبان حدوث الخطوة تابع لحركة الرجل فالتقديم والتاخير يسلطان على الرجل لا على الخطوة .

(ج) وقال السيد الشريف : إن « أخرى » صفة « لرجلا » محذوفة ، والمراد بها الرجل الاولى نفسها ، وسميت أخرى لانها عند التقديم غيرها وقت التاخير فالمغايرة اعتبارية .

(د) وللسكاكى تعبير فى هذا الموطن نصه : « فتشبهها بصورة تردد انسان قام ليذهب فى أمر ، فتارة يريد الذهاب فيقدم رجلا ، وتارة لا يريد فيؤخر أخرى » وقد أول بعض شراحه الرجل بالخطوة كما سبق فى «ب» - راجع المطول ص ٣٧٩ ، شروح التلخيص ص ١٤٤ ج ٤ ، المفتاح ص ١٥٩ ، التجريد ص ١٨٤ ج ٢ .

وهذه التخريجات - كما ترى - قائمة على التكلف والتعسف ، بعيدة كل البعد عن مورد المثل والاحداث التى اكتنفته ، مجافية كل المجافاة لما يفيده هذا الاسلوب الادبى الجميل . وهو رسم صورة هذا الوالى المتحير الذى تجاذبته عوامل متناقضة فوقف مسلوب الارادة ، عاجزا عن الخطو هنا أو هناك ، وقد شبه الخليفة برجل تنازعته قوتان مختلفتان ، حاولت كل منهما جذبه نحوها فاحداهما اجتذبت احدى رجليه الى الامام ، والثانية اجتذبت الاخرى فحركتها قليلا الى الخلف ، فوقف الرجل منفرج الرجلين لا يستطيع التقدم الى الامام ولا السير الى الخلف ولا العودة الى المكان الاصلى فهو مسلوب الحركة غير قادر أن يأتى بعمل ، وهذه هى الصورة الحقة للمتحير الذى تتجاذبه القوى وغاية ما يقال فيمن قدم احدى رجليه ثم أخرها : إنه بداله رأى ثم عدل عنه ، الا إذا أصبح ذلك هجيراه وديدنه ، وهذا بعيد فهمه من الاسلوب ، ومما يقطع بان ما ذكرته =

ملاحظة : جاء الشيخ للتمثيل المركب بنوعين من الأمثلة :

أحدهما : ماصُرح فيه بما يدل على أنه تمثيل وتشبيه ، مثل : هو كمن يرقم على الماء ، وكمن ينفخ فى غير فحم ، وكمن يبتغى الصيد فى عِرّيسة الأسد ، فإن كل ذلك مصرح فيه بأداة التشبيه والمشبه به ، وهذا لاخلاف فى كونه تشبيها وتمثيلا .

ثانيهما : مالم يصرح فيه بما يدل على أنه تمثيل ، بأن حذف منه أداة التشبيه والمشبه به ، وأجرى وصف المشبه به على المشبه كأنه صاحبه ، مثل : أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى . فإن أصله أراك فى ترددك فى البيعة كمن يتردد فى الخروج ، فيقدم رجلا تارة ويؤخرها تارة أخرى ، فاختصر الكلام وحذفت أداة التشبيه والموصول وجرت الصفة على المشبه كأنه صاحبها ، والتشبيه يفهم من القرائن .

ولا خلاف بين البيانيين ـ بعد الشيخ ـ فى أن هذا الضرب مجاز ، ويسمى « تمثيلا على حد الاستعارة ، أو استعارة تمثيلية » وليس تشبيها اصطلاحيا ، ولكن الشيخ لم يقل بذلك هنا ، وسوى بين الضربين .

= هو المراد قوله بعد ذلك : « فاعتمد على أيهما شئت » أى اجعل أى الرجلين المتباعدتين عمادا تقف عليه وتعتمد ، ولا معنى مطلقا للتكلف فى هذا أيضا ، ولعل السكاكى رحمه الله كان يهدف الى هذا الذى ذكرت ، وليته قال : « فيؤخر رجلا أخرى » وقد عرضت رأيى هذا على الاستاذ المؤلف فاقره .

وبعد فلا يهولنك أن هذا الرأى ـ الذى لم يسبقنى أحد إليه ـ مخالف لما ذهب اليه هؤلاء الافذاذ الفطاحل فإن الحق ليس فوقه فوق ، وهو أحق أن يتبع .

رأى أبى أحمد العسكرى(١) :

نقل الشيخ عنه أن هذا النحو من الكلام يسمى : المماثلة ، يريد به « هذا النحو » النوع الثانى المتقدم الذى جاء على طريق الاستعارة ، ومنه قولك : هو يضرب فى حديد بارد ، هو ينفخ فى غير فحم ، أخذ القوس باريها ، ما زال يفتل منه فى الذروة والغارب حتى بلغ ما أراد ، وبالجملة كل ما لم يصرح فيه بما يدل على التمثيل ، أما التمثيل عنده فهو ما صرح فيه بالأداة .

اعتراض : اعترض الشيخ عليه بوجهين : ـ

أحدهما : أن هذه التسمية توهم أن هذا النوع شىء غير التمثيل ، مع أنه ليس مغايراً له ، ألا ترى أن المعنى متحد فى قولك : أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى ، وأراك كمن يقدم رجلا ويؤخر أخرى ، وإذا اتحد المعنى ، وجب أن تتحد التسمية .

ثانيهما : أنه إذا كان : « زيد أسد » يسمى « تشبيها » ، مع عدم التصريح بأداة التشبيه ، وجب أن يسمى نحو : أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى : « تمثيلا » — وإن لم يصرح بما يدل على أنه تمثيل ـ وهكذا : أنت ترقم على الماء ، وتضرب فى حديد بارد ، وتنفخ فى غير فحم ، مما لم تذكر فيه أداة التشبيه ، لأن المعنى على إرادة التشبيه .

فظاهر كلام الشيخ : أن كلا مما ذكرت فيه أداة التشبيه ، وما لم تذكر

---

(١) هو الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكرى أحد أعلام اللغة والادب ، وأستاذ أبى هلال العسكرى ، وترجمتهما فى بغية الوعاة للسيوطى ص ٢٢١ ، وفى معجم الادباء ج ٨ ، الاول من ص ٢٣٣ الى ص ٢٥٨ والثانى من ٢٥٨ إلى آخر الجزء ، توفى أبو أحمد سنة ٣٨٣ ه‍ ، وأبو هلال سنة ٣٩٥ ه‍

يسمى : تمثيلا ، وتشبيها ؛ لأن كل تمثيل عنده تشبيه ، وهو ما جرى عليه فى هذا الكتاب ، لكنه فى « دلائل الإعجاز » فرّق بين النوعين ، فما ذكرت فيه أداة التشبيه فهو تمثيل على سبيل الحقيقة ، وما لم تذكر فيه فهو مجاز وتمثيل على حد الاستعارة ، وإذا كان مجازا فلا يكون تشبيها ، لأن التشبيه حقيقة ، وهذا هو المعوّل عليه وهو الذى جرى عليه علماء البيان فيما بعد ، فقد وافقوا العسكرى فى الفرق بين النوعين ، وخالفوه فى تسمية النوع الثانى ، فهو يسميه : مماثلة ، وهم يسمّونه : تمثيلا على حد الاستعارة . أو استعارة تمثيلية .

سؤال : هل يجوز فى كل تشبيه وُصف فيه المشبه به أن يحذف المشبه به وتجرى أوصافه على المشبه على غرار : هو يرقم على الماء ؟

أجاب الشيخ : بأن ذلك غير مطرد ، فهناك مواضع لا يصح فيها ذلك ، ولا يستقيم الكلام إلا بذكر المشبه به ، وإجراء أوصافه عليه ، وأتى لذلك بمثالين :

أحدهما : قوله صلى الله عليه وسلم : « النّاس كإبل مائة ، لا تجد فيها راحلة » (١) فان الكلام لا يستقيم إلا بذكر المشبه به وهو الابل ، ولو حذفته وقلت : الناس لا تجد فيهم راحلة ، كان ظاهر التعسف .

والمثال الثانى : قوله تعالى : « إنّما مثل الحياة الدنيا كماء » الآية ، لو حذفت « الماء » الذى هو المشبه به فى الظاهر : ونقلت الكلام إلى « الحياة » التى هى المشبه ، صار كلاما غير معقول ، لأن الأوصاف المذكورة لا يصح إجراؤها على « الحياة » حقيقة .

---

(١) معنى الحديث أن أفاضل الناس من الندرى بمكان ، فهم كالراحلة لا تكاد توجد فى مائة من الابل ، وراجع البيان والتبيين ص ١٧ ج ٢

ملاحظة : يفهم من كلامه أن المانع عدم صحة إجراء وصف المشبه به على المشبه حقيقة ، وهذا عندى ليس بمانع ، فكثيرا ما يحذف المشبه به ويجرَى وصفه على المشبه ، مع أنه لا يصح أن يتصف به على الحقيقة ، ويكون عدم صحة ذلك هو القرينة على أن الكلام غير جار على أصله وحقيقته ، فنحو : زيد يفترس أقرانه ، أصله : زيد كأسد يفترس أقرانه ، حذف المشبه به ، وأجرى وصفه على المشبه . وكان عدم صحة اتصاف المشبه بالوصف قرينة على أن الكلام غير حقيقى ، والمانع ـ كما يؤخذ من كلام الشيخ فى موضع آخر ـ : أن الكلام يصير بعد الحذف المذكور استعارة بعد أن كان تشبيها وحقيقة ، وليس كل تشبيه يصح أن يعدل عنه إلى الاستعارة ، وإنما يجوز ذلك اذا كان الشبه بين الطرفين مشهورا معروفا بين الأدباء ، لكى يسهل على المخاطب الوقوف على غرض المتكلم فى يسر وسهولة ، أما اذا لم يكن الشبه مشهورا متعارفا ، ولا قريب المأخذ كما فى المثالين السابقين ، فإنه لا يصح العدول معه عن التشبيه الى الاستعارة ، لأن ذلك يكون إلغازا وتعمية وتعقيدا معنويا يخل بفصاحة الكلام .

وكما لا يجوز حذف « الإبل » فى الحديث ، وإجراء وصفه على الناس ، لا يجوز استعارة « الابل » للناس ، بأن تقول : رأيت إبلا لا تجد فيها راحلة ، تريد : ناسا لا خير فيهم ، لنفس المانع الذى ذكرناه ، وهو أن الشبه بين الطرفين لم يتعارف ويشتهر بين البلغاء ، والله أعلم .

تنبيه : جرينا على أن ماسماه المتأخرون بالمفرد المقيد داخل فى المركب فقد صرحوا بصعوبة التميز بينهما ، وأن المعول فيه على صفاء القريحة وسلامة الذوق .

ثم فرقوا بينهما بأمرين :

أحدهما : أنه إذا كان الطرف مؤلفا من أشياء كل منها جزء كان مركبا ، وإن كان شيئا واحداً والباقى شرط له كان مقيداً .

وهذا مردود بأن التمييز بين الشرط والجزء هنا عسير جداً .

ثانيهما : أنه إذا كان العمدة فيه شيئاً واحداً والباقى تبع كان مقيداً ، وإلا فهو مركب .

وهذا أيضا مردود يعسر تطبيقه على الأمثلة التى يقع الاشتباه فيها .

وقد جرى الشيخ على عدم الفرق بينهما ، وذكر أمثلة ما يسمونه المقيد فى المركب ، وهو خير من يقتدى به .

مواقع التمثيل

رأينا الشيخ عبد القاهر فيما مضى يسوى بين نحو : «أنت كمن يقدم رجلا ويؤخر أخرى » ، و « أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى » ، ويرد على من سمى الثانى « مماثلة » ولكنه الآن يضطره سلطان الحقيقة الى التفرقة بينهما ، فيشير الى أن «التمثيل» يقع على وجهين :

أحدهما : أن يجىء فى أعقاب المعانى .

والثانى : أن يبرز المعنى باختصار فى معرضه ، وينقل عن صورته الأصلية الى صورته .

فالضرب الأول : الذى يجىء فى أعقاب المعانى : هو ما جاء على صورة من صور التشبيه اللفظى أو الضمنى بعد كلام بيّن به أحوال المشبه ، مفردا كان أو مركبا ، فمثال المفرد أن تقول واعظا : الدنيا لا تدوم ولا تبقى ، جديدها يبلى ، وملكها يفنى ، هى ظل زائل ، وعارية مستردة ، ووديعة تسترجع ؛ ومثال المركب : قول البحترى :

دَانٍ على أيدى العفاةِ وَشاسعٌ عنْ كلِّ ندٍّ فى العلا وضريب(١)

كالبدرِ أفرطَ فى العلوِّ وضوْؤه للعصبة السارينَ جِدُّ قريبِ

إلى كثير من الأمثلة التى ذكرها الشيخ فى صدر هذا الفصل ، وستأتى .

والضرب الثانى : الذى أبرز المعنى باختصار فى معرضه ، ونقل عن صورته الأصلية إلى صورته ـ هو : ما جاء من التمثيل على سبيل الاستعارة ، بأن يؤتى بلفظ المشبه به ، كله أو بعضه . الذى هو العمدة فى التمثيل ، مرادا به المشبه ، فيكتسى المشبه معرض المشبه به ، أى ثوبه ، ويتصور بصورته ، وذلك يشمل أمورا :

الأول : الاستعارة المفردة التى وجه الشبه فيها عقلى غير حقيقى ، كالنور للقرآن ، والحياة للعلم ، فقد صرح الشيخ بجواز تسميتها « تمثيلا » ، لكن لما كان اسمها الاصطلاحى هو « الاستعارة » لم يدخلها فى التمثيل ، ولم يمثل بها له .

الثانى : التمثيل المركب الذى جاء على حد الاستعارة ، مثل : أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى ، أخذ القوس باريها ، هو يضرب فى حديد بارد ، إلى غير ذلك مما وصف فيه المشبه بوصف المشبه به بعد حذفه هو والأداة .

قال الشيخ فى (دلائل الإعجاز) : (وأما التمثيل الذى يكون مجازاً لمجيئك به على حد الاستعارة ، فمثاله : أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى ، فالأصل : أراك كمن يتردد فى الخروج فيقدم رجلا ويؤخر أخرى . ثم اختصر الكلام . وجعل كأنه يقدم الرجل ويؤخرها على الحقيقة ، وقال

---

(١) سيشرحهما الاستاذ المؤلف قريبا .

فى موضع آخر : « وحكم التمثيل حكم الاستعارة ، فأنك إذا قلت : أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى - فأوجبت له الصورة التى يقطع معها بالتحير والتردد - كان أبلغ لامحالة من أن تجرى على الظاهر فتقول : أنت كمن يقدم رجلا ويؤخر أخرى » .

فانظر إلى قوله : « ثم اختصر الكلام » وقوله : « فأوجبت له الصورة التى يقطع معها، بالتحير» تعلم أنه لم يرد بهذا الضرب التشبيه، لأنه لا اختصار فيه ، ولا ايجاب صورة .

الثالث : التمثيل المفرد الذى دل عليه بإثبات وصف المشبه به للمشبه وهو فى الاصطلاح عند البيانيين بعد الشيخ من الاستعاره بالكناية مثل : هو يصفو ويكدر : على مامر ومثل ما يأتى من الأمثلة كقول الشاعر (١) :

إذا همّ ألقى بين عينيه عزمَه ونكّب عن ذكر العواقب جانبا

فقد شبه « العزم » بشىء محسوس يلق أمام العينين بجامع العناية التامة بكل ، ثم دُل على هذا التشبيه بإثبات لازم المشبه به وهو « الألقاء بين العينين » للمشبه ، وقد جاء الشيخ بأمثلة من هـــذا النوع ، ستشرح فى مواضعها إن شاء الله .

ملاحظة : عذر الشيخ فى مجيئه بأمثلة من الاستعارة ، مع حكمه بأن كل تمثيل تشبيه ، أنه قصر الاستعارة على المفردة ، وأنه فى « أسرار البلاغة » لم يفرق بين ضربى التمثيل ، وجرى على أن كل تمثيل تشبيه ، وإنما فرق بينهما

---

(١) هو سعد بن ناشب المازنى ، الشاعر الاموى ، والبيت من قصيدة تجد بعضها فى الحماسه ص ٦٩ ج أول ورغبة الأمل ص ٤ ج ٣ ، الشعر الشعراء ص ١٦٣ ، ومن حديثها أن سعدا قتل رجلا بصريا وكان قاضيها بلال بن أبى بردة بن أبى موسى الاشعرى فى عهد هشام بن عبد الملك — فطلبه فلم يقدروا على فتح داره فأمر القاضى بهدمها كما أشار فى قصيدته تلك .

فى « دلائل الإعجاز » ، ويعذر أيضاً لأن أصول الفن واصطلاحاته لم تكن قد رسخت فى النفوس ، لأنه كان فى دور التكوّن والطفولة .

ملاحظة أخرى : بقى من التمثيل نحو : كلام كالعسل ، وحجة كالشمس ، وقوله :

وَإنَّ مَنْ أدَّبْتَـهُ فى الصِّبا كالعودِ يُسْقى الماءَ فى غَرْسِهِ

من كل تمثيل تبين فيه أحوال المشبه صراحة ، فبأى الوجهين يلحق ؟

كان رأيى أن يلحق بالوجه الأول الذى وقع عقب المعنى ، لأن حال المشبه ـ وإن لم تفصل صراحة ـ مفهومة ضمناً كأنه قيل : كلام جميل مقبول كالعسل ، وحجة واضحة لا مانع دونها كالشمس ، وهكذا .

وإن لم يسلم هذا ، فهو خارج عن الوجهين ، ويكون الاقتصار عليهما ، لأن التمثيل فيهما أوقع وأعظم أثراً فى النفس .

ويرى بعض الزملاء : أنه داخل فى الوجه الثانى الذى أبرز المعنى باختصار فى معرضه .

ويرجح رأيى أمران :

الأول : أن مثل « كلام كالعسل » لا يصدق عليه القسم الثانى ، لأن الاختصار من خواص الاستعارة ، ولأن المعنى لم يبرز فى معرض غيره ، ولم يتصور فى صورة أخرى ، إذ كل من الطرفين بارز فى معرضه وصورته الأصلية .

الثانى : أن الخطيب فى « الإيضاح » اقتصر على التنويه بالتمثيل إذا وقع فى أعقاب المعانى ، وذلك لأنه بصدد الكلام على التشبيه ، فأتى بالعبارة الخاصة به ، وحذف العبارة الخاصة بالاستعارة ، لأن الفرق بينهما ثابت عنده ، والاصطلاحات قد وضحت وتقررت وهو الصواب إن شاء الله .

تأثير التمثيل

لم يزل العلماء والأدباء ينوّهون بالتشبيه ، والتمثيل منه ، ويذكرون فضله في تمكين المعنى فى النفس ، وتقريبه إلى الأفهام .

جاء فى «الصناعتين(١)» لأبى هلال العسكرى(٢) : «التشبيه يزيد المعنى وضوحاً ، ويكسبه تأكيداً ، ولهذا أطبق جميع المتكلمين من العرب والعجم عليه ، ولم يستغن أحد منهم عنه ، وقد جاء عن القدماء وأهل الجاهلية ما يستدل به على شرفه وموقعه من البلاغة» .

وقال الزمخشرى فى «الكشاف(٣)» عند قوله تعالى : «مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الذى استوقدَ» : «ولضرب الأمثال ، واستحضار العلماء المثل والنظائر شأنٌ ليس بالخفى فى إبراز خبيئات المعانى ، ورفع الأستار عن الحقائق ، حتى يريك المتخيَّل فى صورة المحقق ، والمتوهم فى معرض المتيقَّن ، والغائب كأنه مشاهد ، وفيه تبكيت للخصم الألد ، وقمع لسَوْرة الجامح الأبىّ ، ولأمر ما أكثر الله فى كتابه المبين أمثاله ، وفشا ذلك فى كلام الرسل والأنبياء والحكماء ، قال تعالى : «وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلا العَالِمُونَ» .

وقد بلغ عبد القاهر فى ذلك المبالغ ، فالتمثيل عنده يكسو المعانى أبهة ويكسبها منقبة ، ويرفع من أقدارها ، ويشب من نارها ، ويستثير لها من أقاصى الأفئدة صبابة وكلفا ، ومحبة وشغفا .

---

(١) ص ١٨٣ ، ١٨٤ طبعة الخانجى سنة ١٣٢٠ هـ ، وماهنا ناقص بعض الكلمات عما هناك .

(٢) تقدم التعريف به ص ٦٤ .

(٣) ص ٣٧ ج أول .

فإن كان المعنى الممثل مدحا كان أبهى وأفخم ، وأنبل وأعظم ، وأسير على الألسن وأذكر ، وأولى بأن تعلقه القلوب وأجدر ، أنظر إلى قول البحترى يمدح يعقوب بن إسحاق بن نوبخت :

دَانٍ على أيدى العُفاةِ وشاسعٌ عن كلِّ نِدٍّ فى العُلا وضريبِ
كالبدْرِ أفرط فى العُلوِّ وضوؤه للعصبةِ السَّارين جدُّ قريبِ

وفكّر فى حالك وحال المعنى وأنت فى البيت الأول لم تنته إلى البيت الثانى ، وما فيه من تمثيل بالمحسوس الذى تمليه على الإنسان عيناه ، ثم قسهما على الحال وقد وقفت عليه ، فستعلم بعد ما بين الحالين ، وأن المعنى بعد التمثيل قد تمكن لديك ، وصار أنبل فى نفسك ، وأجلب لأنسك .

شرح البيتين :

« العُفاة » جمع عاف ، وهو السائل ، وطالب الرزق ، « الشاسع » . الشديد البعد ، « الندّ » ، المثل ، « الضريب » . المثل أيضاً . « أفرط » جاوز الحد ، « جدّ قريب » . وصف المحذوف ، أى قريب جد قريب ، أى بلغ الغاية فى القرب .

شبه الممدوح وقد قرب نفعه ، وعلت منزلته ، بالقمر قد دنا ضوؤه ، وعلا مكانه ، ووجه الشبه . حال شىء دانى النفع ، بعيد المرتقى ، شديد القرب من ناحية ، شديد البعد من ناحية .

و « شاسع » . إستعارة تصريحية تبعية ، شبه البعد المعنوى بالبعد الحسى ، وهو معنى الشسوع ، ثم استعار الشسوع للبعد المعنوى ، ثم اشتق منه شاسع بمعنى : بعيد المكانة .

وإن كان المعنى الممثل ذمًّا كان مسه أوجع ، وميسمه ألذع ، ووقعه

أشد ، ويشهد لذلك أن تتعهد الفرق بين أن تقول : فلان يكد نفسه فى قراءة الكتب ولا يعى منها شيئاً ، وتسكت . وبين أن تتبع ذلك بقولك : كالحمار يحمل أسفاراً ، أو بقول مروان بن أبى حفصة(١) فى ذم رواة الشعر الذين لا يفرقون بين جيده ورديئه مع كثرة حفظهم :

زَوامِلُ للأشعارِ لا علمَ عندهم ... بجَيِّدِها إلا كعِلمِ الأباعِرِ (٢)
لعمرُكَ ما يدرى البعيرُ إذا غدا ... بأوساقِهِ أو راحَ ما فى الغرائر ؟

« الزوامل » : جمع زاملة ، وهى ما يحمل عليها من الابل وغيرها ، و « الأباعر » : جمع بعير ، و « الأوساق » : الأحمال ، و « الغرائر » : جمع غرارة - بالكسر - . الجوالق ، والتشبيه بالزوامل التى تحمل الأوساق ولا تدرى ما فيها كالتشبيه بالحمار يحمل أسفاراً ، وقد سبق بيانه ، لكن هناك فرق لا يخفى ، وهو . أن المحمول على الحمار : الأسفار التى هى أوعية العلوم ، والمحمول على الزوامل : الأوساق والغرائر ، لذلك كان الوجه فى الأول : التعب فى الشىء النافع بلا انتفاع به ، وفى الثانى : التعب فى استصحاب الشىء مع جهله .

وكذلك أن تتعهد الفرق بين أن تقول : أرى قوما لهم بهاء ومنظر ، وليس هناك مخبر ، بل فى الاخلاق رقة ، وفى الكرم ضعف وقلة ، وتسكت . وبين أن تتبع هذا الكلام . « أما البيت فحسن ، وأما الساكن فردىء » ،

---

(١) هو مروان بن سليمان بن يحيى بن أبى حفصة الشاعر العباسى المشهور ، نشأ فى أواخر العصر الاموى ولكنه ظهر أيام العباسيين ومدح المهدى والرشيد وسواهما ويعد من الفحول فى المديح ، توفى سنة ١٨١ هـ .

(٢) يوجد البيتان فى ص ٩٩ أسرار البلاغة وص ١٩٦ دلائل الاعجاز ، ص ٢٧ ج ٣ من الكامل للمبرد ، ص ٣٠٣ ج ٢ من العقد الفريد طبع العريان ، وقد شرحهما المبرد والمرصفى شرحا وافيا .

أو قول ابن لنكك (١)

لا تعجبنك اللحى ولا الصور   تسعة أعشار من ترى بقر (٢)

تراهم كالسحاب منتشراً   وليس فيه لطالب مطر

فى شجر السرو منهم مثل   له رواء وما له ثمر (٣)

أو قول ابن الرومى يعاتب أبا القاسم التوزى الشطرنجى ، وكان قد قصده فى حاجة فوعده ولم يف بوعده ، من قصيدة طويلة :

بذل الوعد للأخلاء سمحاً   وأبى بعد ذاك بذل العطاء

فغدا كالخلاف يورق للعين   ويأبى الإثمار كل الإباء

أو قول الآخر (٤) .

وما المرء إلا الأصغران . لسانه   ومعقوله ، والجسم خلق مصور (٥)

---

(١) هو أبو الحسن محمد بن محمد بن لنكك ، قال الثعالبى : « فرد البصرة وصدر ظرفائها فى زمانه . . . وأكثر شعره ملح وظرف » ، وطالما شكا الزمان وأهله ، وهجا أكثر شعراء عصره خصوصا المتنبى ، وأكثر إجادته فى البيتين والثلاثة ، أما فى القصيد فقلما يفلح ، وترجمته فى اليتيمة ص ٣٢٠ — ٣٣١ ج ٢ .

(٢) رواية اليتيمة ص ٣٢٣ ج ٢ « لا تخدعنك » .

(٣) قال الثعالبى : إنه مأخوذ من بيت ابن الرومى الآتى « فغدا كالخلاف الخ » .

(٤) هو خالد بن صفوان بن عبد الله بن الاهتم أحد الخطباء المصاقع ، الذين يضرب بهم المثل فى البلاغة ، وهو من رهط شبيب بن شيبة الخطيب المشهور ، وفيهما يقول بشار :—

وإن قولا يروق الخالدين معاً   لمسكت مخرس عن كل تحبير

وسماها الخالدين تغليبا ويقول صفوان الانصارى فى شأنهما :—

أقام شبيب وابن صفوان قبله   بقول خطيب لا يجانبه القصد

توفى خالد سنة ١٣٣ هـ ، سنة ٧٥٠ م أيام السفاح ، راجع ص ٣٦ ، ص ٤٢ ج ١ من البيان والتبيين .

(٥) الأصغران : القلب واللسان ، والمعقول : العقل ومحله عند الحكماء الرأس وفى القرآن القلب « أم لهم قلوب يعقلون بها » وفى هذا المعنى يقول الشاعر :

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده   فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

فإنْ طرّةٌ راقتكَ فانظر فربّما أمرَّ مذاقِ العودِ والعودُ أخضر(١)

شبه هؤلاء القوم الذين حسن منظرهم ، وساء مخبرهم ، أولا . بالبيت الحسن الردىء ساكنه ، وثانيا . بالسحاب الذى لامطر فيه ، وبشجر السرو وهو شجر ممتد الساق مستقيمه ، منظره حسن ، ولا ثمر له ، وثالثا . شبه من يعد ولا يفى بالخلاف - وهو شجر مورق غير مثمر أيضاً - ورابعاً . شبه الفتى ذا الطرّة الجميلة الرائعة ، المنطوى على الأخلاق السيئة بالعود يكون أخضر ناضراً ، ومذاقه مرّ ، ووجه الشبه فى كل ذلك . الجمع بين المنظر الحسن السار والمخبَر السيء المؤلم .

وإذا شئت فأنشد قول ابن لنكك(٢)

إذا أخو الحسْن أضحَى فعله سمِجاً
رأيتَ صورتَه مِنْ أقبحِ الصورِ

وافهم معناه ، ثم أتبعه بقوله متمثلا .

وهبْكَ كالشمسِ فى حسنٍ ألمْ ترَنا
نَفِرُّ منها إذا مالتْ إلى الضررِ ؟

فإنك ستتبين فى جميع الأحوال التى ذكرنا . أن المعنى بعد التمثيل قد ازداد شرفا ، وصار أشد لذعا ، وأكثر إيلاما ، ثم وازن بين قول المتنبى .

ومَنْ يكُ ذا فمٍ مرٍّ مريضٍ يجِدْ مرًّا به الماءَ الزلالا(٣)

(١) الطرة : الناصية وعلم الثوب وطرف كل شىء ، وفى دلائل الإعجاز ص ٤٢٧ « وإن طرة » وما هنا أنسب وهو رواية أسرار البلاغة ص ٩٩ .

(٢) البيتان فى اليتيمة ص ٣٣٠ ج ٢

(٣) رواية الديوان بشرح العكبرى « الماء الزلالا » راجع ص ٢٢٨ ج ٣ من « التبيان »

يشبه أولئك الذين يعيبون شعره ، لفساد ذوقهم ، واختلال ملكة التمييز بين الجيد والردىء فيهم ، فهم يظنون الجيد رديئا ، والحسن قبيحا ، ـ لعيبهم هم لا لعيب الشعر ـ بحال مريض اختلت حاسة ذوقه ، فصار يحس العذب الزلال مرًّا ـ وما به من مرارة ـ ووجه الشبه : أن كلا يرى الشيء على خلاف حقيقته ، لفساد إدراكه .

وبين ما لو سلك بالمعنى الظاهر من العبارة بأن قيل : الجاهل الفاسد الطبع يرى الصواب خطأ والحسن قبيحا ، هل تجد له هذه الروعة ؟ وهل كان يبلغ من وقم الجاهل ووقذه(١) ، والكشف عن نقصه ، مابلغه « التمثيل » فى البيت ، وينتهى إلى حيث انتهى ؟؟

ملاحظة . ظاهر كلام الشيخ أن هذا البيت استعارة تمثيلية من القسم الذى أبرز فيه المعنى باختصار فى معرض التمثيل ، وأنه بعد التشبيه السابق ، استعيرت الألفاظ الدالة على المشبه به المشبه ، والدليل على ذلك ، أنه يقول « لو سلك بالمعنى الظاهر من العبارة » أى . لو أدى المعنى بعبارة تدل عليه بظاهرها حقيقة ، لا بعبارة تدل عليه على خلاف ظاهرها .

وقد يقال . إنه ليس استعارة ، بل هو تشبيه وقع فيه التمثيل عقب المعنى لأن المشبه مذكور فى البيت السابق لهذا البيت وهو :ـ

أرى المتشاعرين غروا بذمّى ومن ذا يحمد الداءَ العضالا(٢)

وجوابه أحد أمرين :

١ ـ أن هذا البيت أصبح مثلا سائراً لكل من يعيب الحسن لعيبٍ فيه ، فلذلك لم ينظر الشيخ إلى سابقه .

---

(١) وقمه ـ كوعده ـ قهره وأذله ، أورده أقبح الرد وحزنه أشد الحزن ، والوقذ : شدة الضرب ، وقذه : صرعه وسكنه وغلبه وتركه عليلا ، كأوقذه .

(٢) العضال الذى لا دواء له ، وغرى به ، مبنية للفاعل والمفعول ـ أولع .

٢ - أن البيت السابق قد اشتمل على تمثيل حال المتشاعرين معه بحال المريض يصيبه الداء العضال، ووجه الشبه: إصابة كل بما يبعث ألمه وشكواه ولا يرضى عنه بحال، ثم جاء بالبيت الثانى كأنه تمثيل مستقل، غير منظور فيه إلى ما سبق، و «غروا» - بفتح أوله وضمه - معناه. أولعوا.

وإن كان المعنى الممثل وعظا، كان أشفى للصدر، وأدعى إلى الفكر، وأبلغ فى التنبيه والزجر، وهذا هو الفن الذى هو أشرف وأكرم فى عبارة الشيخ، وازن بين قولك: إن الذى يعظ ولا يتعظ يضر نفسه من حيث ينفع غيره، وبين أن تضم الى ذلك قوله. عليه الصلاة والسلام: «مثلُ الذى يعلِّمُ الخيْرَ ولا يعملُ به مثلُ السِّراجِ يضيءُ للنَّاسِ ويحرِقُ نفسه».

ووازن بين قولك لمن تعظه: لا تعمل شراً وأنت ترجو من ورائه خيراً إنما تجزى بما عملت، وبين أن تقول فى أثره: «إنك لا تجنى من الشوك العنب، وإنما تحصد ما تزرع» (١)، وهذه استعارة تمثيلية، شبهت حال هذا الرجل بحال من يزرع شوكا ويرجو أن يجنى منه عنبا، بجامع أن كلا يطلب ما لا يكون، ثم استعيرت ألفاظ المشبه به للمشبه.

ومن ذلك قوله.

إذا وَتَرْتَ امرأً فاحذرْ عداوته … منْ يزرعِ الشوكَ لا يحصُدْ به عنبا

وقابل بين أن تقول: لا تكلم الجاهل بما لا يعرفه، وبين أن تقول:

---

(١) نسب لأكثم بن صيفى التميمى الخطيب والحكيم العربى المشهور، عاش ١٩٠ سنة وأوصى قومه بالإسلام ولم يسلم ومات بعد البعثة بقليل، وقد قرأت فى «إنجيل متى» الأصحاح السابع ص ١٢ هذه العبارة: «احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان ولكنهم من الداخل ذئاب خاطفة، من ثمارهم تعرفونهم، هل يجتنون من الشوك عنبا»؟ فلعل أكثم أخذها من كلام السيد المسيح عليه السلام...

لا تنثر الدرّ أمام الخنازير(١) ، أو تنشد قول الشافعي(٢) رضى الله عنه .

أأنثر درًّا بين سارحة الغَنم وأنشِدُ منظوما لراعية النَّعَم(٣)

وهذان الأخيران استعارتان تمثيليتان ، شبهت فيهما حال من يكلم الجاهل بما لا يفهمه من الحكم البليغة ، بمن ينثر الدرّ أمام الخنازير ، أو بين النعم السارحة ، فى أن كلا وضع الشىء فى غير موضعه ، وأعطاه لغير أهله ، ثم استعير لفظ المشبه به للمشبه .

وكذلك بين أن تقول : الدنيا لا تدوم ولا تبقى ، وبين أن تقول . هى ظل زائل ، وعارية مستردة ، أو تقول . من فى الدنيا ضيف ، وما فى يده عارية ، والضيف مرتحل ، والعارية مؤداه ، أو تنشد قول لبيد(٤) .

وما المالُ والأهلون إلا ودائعٌ ولا بدَّ يوما أن تُرَدَّ الودائعُ

أو قول الأفوه : الأودى(٥) .

إنما نِعْمة قومٍ متعةٌ وحياةُ المرءِ ثوبٌ مستعارْ

---

(١) لعلها مأخوذة أيضاً مما فى الانجيل « الصفحة السابقة » من قول المسيح أيضاً : « لا تطرحوا دررکم قدام الخنازير » وراجع أيضاً رسالتنا الباب الاول — الفصل الثالث

(٢) هو الامام محمد بن إدريس الشافعي القرشي يجتمع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عبد مناف ، توفى سنة ٢٠٤ هـ .

(٣) فى رواية « وأنثر منظوما » وما هنا أدق .

(٤) هو أبو عقيل لبيد بن ربيعة العامرى ، وكان شاعراً شريفاً وقائداً محنكاً وجواداً كريماً عمر ١٢٠ أو ١٣٠ سنة ، وقد أسلم ونسك وغنى بتلاوة القرآن عن الشعر حتى لم يرو له فى الاسلام إلا بيت واحد هو قوله :

ما عاتب الحر الكريم كنفسه والمرء يصلحه الجليس الصالح

توفى سنة ٤١ هـ .

(٥) هو صلاءة بن عمرو بن مالك ، والافوه لقبه وكنيته أبو ربيعة ، كان سيداً فى قومه وشاعراً فحلا وفارسا ذا رأى وعزم توفى سنة ٥٧٠ م أى قبل ولادة الرسول بسنة

كل هذه تشبيهات تمثيلية ، وجه الشبه فيها سرعة الزوال ، ووشك الارتحال ، وكل ماتقدم : ، من تشبيه(١) ما تقع الغفلة فيه ؛الا غفلة عنه ، و « المتعة » ـ هنا ـ . الزاد القليل . والبلغة التى يتبلغ بها إلى غيرها .

ستجد بعد هذه الموازنات أن المعنى الممثل أبلغ أثراً ، وأعظم وقعا .

ومن أمثلة الاحتجاج ، قول أبى ذؤيب يحتج على استحالة اجتماعهوابن أخته على عشق امرأة واحدة(٢) .

تريدينَ كَيما تجمعِيني وَخالدَاً

وهلْ يجمع السَّيفانِ ويحكِ فى غمدِ

ومن أمثلة الافتخار قول المتنبى .

كمْ تطلبونَ لنا عيباً فيُعجزَكمْ ويكره الله ما تأتونَ والكرَمَ

ما أبعدَ العيبَ والنقصانَ عنْ شِيَمى

أنا الثريَّا ، وذَانِ . الشيب والهرَمَ

يشبه حاله مع العيب والنقصان ، بحال « الثريا » مع الشيب والهرم ، فكما يستحيل قيام هذين بالثريا ، كذلك يستحيل قيام العيب والنقصان به ، فالتشبيه مركب لامتعدد ، إذ لا معنى لتشبيه العيب والنقصان بالشيبوالهرم استقلالا ، وإذا صح أن يشبه نفسه بالثريا فى العلو ، فليس ذلك مقصود البيت .

ومن الحكمة . قول أبى تمام فى مدح أحمدبن أبى دؤاد ، وكان قد وشِى به إليه فظهر كذب الواشى .

---

(١) من تشبيه : خبر « كل ما تقدم » .
(٢) تقدم البيت وقصته ص ٥٢

وَإِذَا أرادَ اللهُ نشر فضيلةٍ طويتْ، أتاحَ لها لِسانَ حسودِ
لولا اشتعال النار فيما جاورَتْ ما كان يعرَف طِيب عرف العودِ

قال الجرجانى(١) فى « الوساطة »(٢) . « صدق ـ والله ـ وأحسن . كم فضيلة لولم تستثرها المحاسدة ، لم تبرح فى الصدر كامنة ، ومنقبة لو لم تزعجها المنافسة . لبقيت على حالها ساكنة ، لكنها برزت حين تناولتها ألسن الحسد تجلوها وهى تظن أنها تمحوها ، وتشهرها وهى تحاول أن تسترها . حتى عثر بها من يعرف حقها ، فعادت بعد الخمول نابهة ، وبعد الذبول ناضرة » .

يشبه أبو تمام فضائله التى جلتها الوشاية وشهرتها — مع ما فى الوشاية من ضرر وسوء — برائحة « العود » يظهر طيبها بالنار — مع ما فى النار من قسوة وأذى — ووجه الشبه : ظهور فضيلة كلٍّ بأمر شديد الضرر .

ومن الشكوى قول ابن الرومى :

طلبتُ إليكمْ بالعتابِ مودَّةً وعطفا فأعتبتم بإحدى البوائق
فكنت كمستسقٍ سماءَ مخيلةٍ حيا فأصابته بإحدى الصواعق

---

(١) هو القاضى الجليل أبو الحسن على بن عبد العزيز الجرجانى أحد الكملة فى أدبهم وعلمهم وخلقهم ، توفى بالرى قبيل نهاية سنة ٣٩٢ بستة أيام ، ومن شعره الذى يجب أن يضعه كل مشتغل بالعلم نصب عينيه قوله :

ولم أقض حق العلم إن كان كلما بدا طمع صيرته لى سلما
ولم أبتذل فى خدمة العلم مهجتى لأخدم من لاقيت لكن لأخدما
أأشقى به غرسا وأجنيه ذلة إذن فابتياع الجهل قد كان أحزما
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ولو عظموه فى النفوس تعظما
ولكن أذلوه جهارا ودنسوا محياه بالأطماع حتى تجهما

وترجمته فى ص١٤ ج١٤ « معجم الأدباء » ، ص ١٧٣ طبقات المفسرين .

(٢) ص ١١ الطبعة القديمة ، ص١ طبعة سنة ١٩٤٩

ومن الوصف : قول البحترى يصف أخلاق ممدوحه بأنها قد ازدادت حسنا ، وعظمت قدرا بمجاورتها لأخلاق قوم لئام ، خالين من المجد :

وَقَدْ زَادَها إِفْرَاطَ حُسْنٍ جِوارُها
خَلائِقَ أَصْفارٍ مِنْ المجدِ خُيَّبِ (١)
وَحُسْنُ دَرارِىِّ الكَوَاكِبِ أَنْ تُرَى
طَوالِعَ فى داجٍ مِنْ اللَّيْلِ غَيْهَبِ (٢)

لا مراء فى أن التمثيل للمعانى المتقدمة قد زاد من أقدارها ، وكسبها فضلا ونباهة شأن .

أسباب تأثير التمثيل

بعد أن ضرب الشيخ الأمثلة ، وأتى بالشواهد الناطقة بما للتمثيل من أثر فى النفوس ، شرع يبين سرّ هذا التأثير ومأتاه ، وقد جاء بثلاثة أسباب :

أولها : نقله النفس من العقلى إلى الحسى ، ومن النظرىّ إلى الضرورى .

ثانيها : جمعه بين الأمور المتنافرة المختلفة .

ثالثها : حاجته إلى الفكر .

وكل واحد من هذه يؤثر فى النفس ، ويقع منها أحسن موقع ، فإذا اجتمعت كلها ، أو اثنان منها - وكثيراً ما يحصل ذلك - كانت أعظم أثراً ،

---

(١) أصفار : جمع صفر - بسكون العين مثلث الفاء ، وبضمهما وبفتح الفاء وكسر العين - وهو الخالى ، وخيب : جمع خائب أى محروم أو خاسر .

(٢) الكوكب الدرى : المتلألىء المشرق ، نسبة إلى الدرة وهى اللؤلؤة العظيمة ، والداجى : المظلم ، دجا - كأدجى وتدجى وادجوجى - أظلم والغيهب : الظلمة - كالغيهبان - والليل :

وأجمل وقعا ، وقد عرض لشرح كل واحد من هذه الأسباب بالتفصيل ، ونبادر فنقول :

إن تأثير السبب الأول آت من ناحية تقوية المعنى وتوكيده . وأما تأثير الثانى فمن ناحية الطرافة والغرابة ، وأما الثالث فمن ناحية اللذة العقلية ، والمتاع الروحىّ .

السبب الأول من أسباب تأثير التمثيل :

أظهر الأسباب أن فى كثير من التمثيل انتقالا بالنفس من المعقول إلى المحسوس ، ومما يدرَك بالفكر والنظر ، إلى ما يعلم بالاضطرار والطبع ، وذلك يوجب لها أنسا بالمعنى ، وثقة به واطمئنانا إليه ، وسر ذلك أمران :

أحدهما : أن العلم الثانى ـ وهو الحسى والضرورى ـ أقوى من العقلى والنظرى ، وأشد استحكاما ، ولذلك يقولون : « ليس الخبر كالعيان ، ولا الظن كاليقين » . فإذا جئت بالمثل عقب المعنى ، أو أبرزت المعنى فى معرِضه أنست إليه النفس ، ووثقت به ، وقبلته مطمئنة ، إذْ رددتها إلى ما هى به أعلم ، وثقتها به أحكم .

ثانيهما : أن العلم الحسى والضرورى أسبق حصولا للنفس من العقلى والنظرى ، لأن العلمين الأوّلين وسيلتها إلى العلمين الأخيرين ، وطريق حصولهما لها ، فهى آلف لهما ، وهما أقدم لها صحبة ، وآكد عندها حرمة ، كما قال أبو تمام :

نقلْ فؤادك حيث شئتَ من الهوَى
ما الحُبُّ إلا للحَبيبِ الأوّلِ

كمْ منزلٍ فى الأرض يألفه الفتَى
وحنينُــــه أبداً لأولِ منزلِ

فإذا نقلت النفس فى الشيء تمثلهُ - أى تضرب له مثلا - من المعقول إلى المحسوس ، أو من النظرىّ إلى الضرورى ، كنت كمن يتوسل إليها للغريب بالحميم ، وللجديد الصحبة بالحبيب القديم ، وذلك أدعى إلى قبولها ، وأجلب لرضاها.

وقد ضرب الشيخ مثلا للتمثيل ، فقال : « مثلك مع الشاعر أو الناثر إذا أوقع المعنى فى نفسك غير ممثل ثم مثّله ، كمثلك مع من يصف لك شيئا من وراء حجاب ، ثم يكشف عنه الحجاب ، ويقول : ها هو ذا فأبصره تجده على ما وصفت ، فإنك تزداد فى الحالين ثقة بالمعنى ، واطمئنانا إليه » .

سؤال : قد يقول قائل : إنما يكون كشف الحجاب عن الشيء بعد علمه سماعا ، سببا فى زيادة الثقة ، إذا كان ذلك الكشف يزيل شكاً كان لا يزال عالقا بالنفس ، أما إذا لم يكن هناك شك فسيان عندها : كُشِفَ الحجاب أم لم يكشف ، فهل كل تمثيل ثمرته إزالة الشك ؟

جوابه : أن المعانى التى يأتى التمثيل عقبها ضربان :

أحدهما : بديع غريب يمكن أن يشك فيه ، ويدّعى امتناعه ، كقول المتنبى فى قصيدة يرثى بها أمّ سيف الدولة(١) :

فإنْ تفق الأنام وأنت منهمْ فإنَّ المسك بعض دم الغزال

أراد أن يقول : إن سيف الدولة فاق الأنام بأوصافه الفاضلة ، حتى صار كأنه جنس آخر فوقهم ، وهذا أمر غريب ، يفتقر من يدعيه إلى أن يثبت وجوده فى الجملة ، ليتسنى له ادعاء وجوده فى الممدوح ، فلما قال : « فإن المسك بعض دم الغزال » فقد احتجَّ لدعواه ، وأبان أن لها أصلا فى الوجود ، فإن المسك أصله دم ، ولكنه خرج بأوصافه الشريفة عن جنس الدم ، وصار جنسا آخر ، إذْ لا يوجد فى الدم شيء من أوصافه ، ولا فيه شيء من أوصاف الدم ألبتة .

(١) راجع « التبيان » ص ٨ — ٢٠ ج ٣ . وستأتى ترجمة سيف الدولة .

الثاني : غير بديع ، ولا غريب ، ولا نادر ، كقول مجنون ليلى(١) :

فأصبحت من ليلى الغداة كقابض   على الماء خانته فروج الأصابع(٢)

يريد أن يقول : إنه خاب فى ظنه أنه سيتمتع بها ، ويسعد بوصلها ، وهذا المعنى ليس منكراً فى الوجود ولا عجيباً ، حتى يحتاج إلى إقامة دليل على إمكانه وصحته .

إذا علم هذا ، فالضرب الأول . فائدة التمثيل فيه ، وسبب الأنس به : أنه أفاد صحة المعنى وإمكانه ، ونفى الرّيب والشك عنه ، وبرّأ صاحبه من تهمة الكذب ، وانطباقُ كشف الحجاب عليه واضح .

أما الضرب الثانى ، فإن التمثيل ، وإن لم يفد فيه إزالة الشك ، فإنه يفيد فائدة أخرى ، تجرى مجرى إزالة الشك فى اجتلاب الأنس ، وذلك أن هذا المعنى – وإن كان لا يعتوره ريب – يحتاج إلى بيان مقداره ، والكشف عن مبلغه فى القوّة والضعف ، والزيادة والنقص ، فإن الأمور العقلية قد تختلف مقاديرها ، فإذا مثلت بالمحسوس ، عرفت مرتبتها وحقيقتها ، فمجنون ليلى حين قال : « كقابض على الماء » أراك أنه بلغ فى بوار سعيه إلى أقصى

---

(١) هو قيس بن معاذ ، ويقال ابن الملوح ، من بنى جعدة ، من عامر بن صعصعة وقيل : هو من بنى عقيل بن كعب بن سعد ، وقيل اسمه مهدى بن الملوح ، والخلاف فى شأنه – بل فى وجوده – كبير ، والصحيح أنه كان موجودا ، قال ابن قتيبة : «وهو من أشعر الناس ، على أنهم قد نحلوه شعرا كثيرا رقيقا يشبه شعره» وهو من شعراء العصر الأموى ، وترجمته فى الاغانى ، وفى الشعر والشعراء ص١٣٥ ، المؤتلف ص١٨٨ معجم الشعراء ص ٤٧٦ وغيرها . وديوانه مطبوع ، توفى سنة ٨٠ هـ ، سنة ٧٠٠ م .

(٢) تقدم هذا البيت ص٥٠ ومن نوع بيتنا هذا قوله – ص١٨٩ مؤتلف – أيضا :

فأصبحت من ليلى الغداة كناظر   مع الصبح فى أعقاب نجم مغرب

وليلى : هى بنت سعد بن مهدى بن ربيعة بن الحريش بن كعب بن ربيعة الجعدى «ص٥٤٣ أديان العرب» .

المبالغ ، وانتهى إلى أبعد الغايات، فتأثير التمثيل : هو هذا البيان الذى كانت النفس مشوقة إليه .

تعقيب : عقّب الشيخ على هذا الجواب بأنه : مبنى على التسامح ، فقد وافقنا السائل على أن الأنس الحاصل بالمشاهدة ، وكشف الحجاب عن الشيء بعد علمه سماعا ، لا سبب له إلا دفع الشك ، ثم التمسنا سبباً آخر يجرى مجراه إذا لم يكن شك ، وهو بيان المقدار .

التحقيق : أما التحقيق فهو أن المشاهدة لها أثر خاص فى النفس ، وإن لم يكن هناك شك ولا ارتياب ، ولا شوق إلى بيان مقدار ، لذلك لما طلب إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ من الله أن يريه : كيف يحيى الموتى ، «قال : أولَمْ تُؤمنْ ؟! قال : بَلى ، ولكن ليطمئن قلبي(١) ، فلم يكن هناك شك منه، ولكنه طلب ذلك لأن للمشاهدة وقعاً فى النفس ، وأثراً لاينكر ، وهذا دليل على أن فائدة التمثيل بالأمور المشاهدة لا تنحصر فى هذين الأمرين: دفع الشك، وبيان المقدار ، إذ لو انحصرت فيهما ، لما كان لكثير من التمثيل بها معنى ، فما أكثر التمثيل الذى لايفيد دفع شك ولا بيان مقدار !! أنظر إلى قول أبى تمام :

وطولُ مُقام المرْء فى الحىّ مخلق لديباجتَيه ، فاغترب تتجدَّدِ
فإنى رأيت الشَّمس زِيدتْ محبَّةً إلى النَّاس، أنْ ليست عليهمْ بسرْمد

يقول : إن الرجل الفاضل إذا استمرت إقامته بين أهله وعشيرته ملّوه وربما كرهوه وحقروه ، فأما اذا أقام حينا واغترب حينا ، فإنهم يزدادون

---

(١) من شعر بن حزم الظاهرى المتوفى سنة ٤٥٦ هـ فى معنى الآية : ـ

لئن أصبحت مرتحلا بجسمى فروحي عندكم أبدا مقيم
ولكن للعيان لطيف معنى له سأل المعاينة الكليم

به تعلقاً ، وله محبة وإعظاماً ، إذ يعرفون حاجتهم إليه ومكانته بينهم ، مدة بعده عنهم ، ويشبَّه حاله حينئذ بحال الشمس تطلع نهاراً ، وتغيب ليلا ، فيعرف الناس فضلها وفائدتها ، ويزدادون لها محبة وقدراً ، ووجه الشبه : أن كلاًّ عُرف فضله ومكانه ، لظهوره وقتا ، وغيبته آخر ، وفى هذا المعنى يقول بعض الشعراء(١) :

تغيَّبت كيْلا تجْتوينى ديار كمْ
ولوْ لمْ تغِبْ شمْس السَّماء لملَّت(٢)

ديباجتا الوجه : صفحتاه ، كأنما سميتا بذلك لأنهما مظهر حسن المرء ، فاستعير لها اسم الديباج ، و « مُخلق » ترشيح ، وإن كانت الديباجة اسما لصفحة الوجه حقيقة ، فى « مخلق » و « تتجدّد » استعارتان بالكناية . شبهت صفحتا الوجه فى الأولى ، والمخاطب فى الثانية بالثوب يبلى ويتجدّد والوجه : لازم البلى والتجدد ، وهو الإهمال والإعزاز ، ودُلّ على هذا التشبيه بإثبات الإخلاق والتجدّد .

فالمعنى الممثل ليس موضعاً للشك ، ولا هو فى حاجة إلى بيان مقدار ، ولا مراء فى حسن التمثيل وروعته ، وما ذلك إلا لأن المشاهدة والرؤية لها أثر فى النفس متجدد ، وإن كان المعنى مما لا شك فيه ، والمراد رؤية المعنى ممثَّلا فى المرئى . ألا ترى أنك إذا قلت لصاحبك بعد أن بينت له أنه خائب فى مسعاه : أنت كالقابض على الماء ، أفاد التمثيل بالمحسوس — بعد قطع النظر عن بيان مقدار خيبته — شيئاً آخر ، هو ما توجبه رؤية الشىء على

(١) نسبه فى كتاب « الموازنة بين أبى تمام والبحترى » ص ٣٢ لبعض شعراء بنى أسد
(٢) تجتوينى : تكرهنى ، وفى رواية : تحتوينى ، وفى هذا المعنى أيضا يقول الشافعى :
والشمس لو وقفت فى الفلك دائمة لملها الناس من عجم ومن عرب

ما وصف عليه، بعد وصفه، من الحالة المتجددة فى النفس، وزيادة تمكن المعنى من القلب.

ومصداق ذلك: أنك لو كنت على شاطىء نهر وأنت تقول لصاحبك: أنت كالقابض على الماء(١)، فأدخلت يدك فى النهر، وقلت له: أنظر، هل حصل فى كفى شىء؟ كان لاقتران الفعل بالقول ضرب من التأثير زائد على القول وحده، وذلك لما تفعله المشاهدة من التحريك للنفس، وتمكين المعنى فى القلب.

وجملة القول: أن تمثيل المعقول بالمحسوس يفيد غرضاً عامّا، هو إحداث أثر فى النفس يوجب لها أنساً بالمعنى، وتمكّن له فيها؛ وقد ينضم إلى ذلك غرض آخر: هو إزالة الشك، وتصحيح الدعوى، وقد يقصد معه بيان المقدار، وقد تقدمت الأمثلة مشروحة.

ومن الأدلة على أن التمثيل بالمشاهد المحسوس يزيد النفس أنساً بالمعنى — وإن لم يكن بحاجة إلى إزالة شك، ولا بيان مقدار —: أنك ترى له فضلا ومزية على غيره، وإن كان غيره أكثر منه مبالغة فى المعنى.

وازن بين قولك: يومٌ كأطول ما يكون أوْ لا آخر له، وقول حندج المرّىّ(٢):

---

(١) من هذا المعنى — غير ما تقدم ص ٥٠ وهامشها —

إذا أنا عاتبت الملوك فأنما أخط بأقلامى

(٢) هو حندج بن حندج المرى من شعراء الحماسة ثمانية أبيات فى الحماسة ص ٣٢٥ — ٣٢٧ ج ٤، والاما

فى لَيلِ «صولٍ» (١) تناهى العرضُ والطولُ

كأنما ليلُهُ بالحشرِ موصولُ (٢)

وبين قول شبرمة بن الطُّفَيل (٣) : —

ويومٍ كظلِّ الرمحِ (٤) قصَّرَ طوله

دم الزِّقِّ عنَّا واصطفاق المزاهرِ (٥)

فإنك ستجد لقوله «كظل الرمح» من الروعة والتأثير . ما لا تجده لما سبقه — وإن كان أشد منه مبالغة فى وصف الطول — لأن «ظل الرمح» على كل حال متناه ، وما ذاك إلا من تمثيل المعقول بالمحسوس (٦) .

---

(١) صول : مدينة فى بلاد الخزر فى نواحى باب الابواب المعروف بالدربند «معجم البلدان لياقوت» وليس منها أبو بكر الصولى وابن عمه إبراهيم ، بل نسبتهما إلى رجل اسمه «صول» ، راجع القاموس .

(٢) الرواية الصحيحة «كأنما ليله بالليل الخ» كما فى الحماسة والامالى .

(٣) من شعراء الحماسة ، وقد ضبط فى شرحها ص ٢٣٦ ج ٣ بصيغة المصغر ، وفى تعليق الشيخ رشيد «ص ١٠٧ أسرار البلاغة» كمنبر ، وماق القاموس يرجحه ، وقد نسب فى الشعر والشعراء طبعة «المعارف» ص ٢٤٢ ج ١ لبعض الضبيين ، وفى الطبعة الاولى ص ٥٤ ليزيد بن الطثرية .

(٤) رواية الحماسة «ويوم شديد الحر» .

(٥) ظل الرمح : مثل فى الطول عند العرب ، ودم الزق : الخمر ، والمزهر — كمنبر — : العود واصطفاقها : تحرك أوتارها ، قال التبريزى فى شرح الحماسة : «ويروى» : «واصطكاك» وهى رواية ديوان المعانى ص ٣١١ ، ٣٥٢ ج ١ .

(٦) فى الامالى ص ٩٩ — ص ١٠١ ج ١ ، وديوان المعانى ص ٣٤٥ — ص ٣٥١ ج ١ ، زهر الاداب ص ١٢ ، ١٣ ج ٢ مثل كثيرة فى طول الليالى والايام فراجعها إن شئت ، ومن مبالغات أبى تمام قوله :

يوم كطول الدهر فى عرض مثله ... ...

موازنة أخرى : تدل على نفس الغرض السابق :

تقول : يوم كأقصر ما يكون ، وكأنه ساعة ، وكلمح البصر ، ويوم كلاَ ولا(١) تريد وصف اليوم بسرعة الانقضاء ، وأنك لم تشعر بسير وقته ، قال جرير(٢) :—

يكون نزولُ القومِ فيها كلا ولا
غشاشاً(٣) ولا يُدنون رجلا إلى رجل(٤)

وقال أبو نواس(٥) :—

---

(١) من هذا التشبيه أيضا قول على رضى الله عنه : « فافتتلوا شيئا كلا ولا » وقول ابن العميد : « وأنا ممنو بأيام تحاكى ظل الرمح طولا ، وليال كأبهام القطاة قصرا ، ونوم كلا ولا قلة » وقول أبي برهان المغربي :—

وأسرع فى العين من لحظة … وأقصر فى السمع من لا ولا

وقول البديع الهمذانى :

وأروع أهداه لى الليل والفلا … وخمس تمس الارض لكن كلاولا

وقول الراعى النميرى :—

فلبثها الراعى قليلا كلا ولا … بلوذان أو ما حلت بالكراكر

ومن التشبيه بلا أو بذا قول الكميت الاسدى :—

كلا ، وكذا ، تغميضهم ثم هجتم … لدى حين أن كانوا إلى النوم أفقرا

راجع شرح الشريشى لمقامات الحريرى ص٢٣٤ ج ٢ ، اللسان ص ٤٥ ج ٦ ، ومعاهد التنصيص ص ١٧٦ ج ١ .

(٢) هو جرير بن عطية الخطفى اليربوعى التميمى ، وهو أشهر من أن يذكر ، توفى سنة ١١٠ هـ .

(٣) يقال : لقيته غشاشا — بكسر المعجمة وفتحها — أى على عجلة ، أو عند غروب الشمس ، أو ليلا ، وبالكسر فقط أول الظلمة وآخرها ، وشرب — كبئر — غشاش : قليل أو عجل ، وفى الشريشى : بالمهلة ، ولعلها تحريف .

(٤) فى بعض الروايات « رحلا إلى رحل » بالحاء ، والمعنى صحيح .

(٥) هو الشاعر العباسى الماجن الخليع ، الحسن بن هانىء صاحب المذاهب الخمرية المعروفة توفى سنة ١٩٨ هـ .

يا عاقد القلب منّى هلاً تذكرت حلاً؟
تركت منّى قليلا من القليل أقلاً
يكاد لا يتجزّا أقل فى اللفظ من « لا »

وهذا التشبيه - على ما يقول الشيخ - « تمثيلى » ، وفيه مبالغة فى وصف اليوم بالقصر ، ولكنه لا يؤنسك إيناس قولهم : يوم كإبهام القطاة ، أو كسالفة الذباب - أى صفحة عنقه - لأن المشبه به فيه مرئى بالعين ، فهو أقوى أثراً من المدرك بالسمع ، وفيه أيضا غرابة وطرافة ، وإتيان بمشبه به لا يخطر على البال .

وقد جاء التمثيل بإبهام القطاة ، وسالفة الذباب فيما حكاه « الزّجاج »(١) فى أماليه عن ثعلب(٢) قال : كنا عند ابن الأعرابى ، فأنشد قول جرير :

وَيوْمٍ كإبْهام القطاة مُحَبَّبٍ(٣) إلىَّ صِباهُ(٤) ، غالبٍ لى باطلُه
رزقنا به الصيد الغريرَ(٥) ولم نكنْ كمَنْ نبلُه محرُومةٌ وحبائله

---

(١) أبو إسحاق إبراهيم بن السرى ، من مشهورى نحاة البصرة ، وكان من قبل يخرط الزجاج توفى سنة ٣١٠ على الراجح ، وإليه ينسب أبو القاسم عبد الرحمن الزجاجى المتوفى سنة ٣٣٧ ، لملازمته له ، وترجمته فى معجم الادباء ص١٣٠ - ص١٥١ ج١ ، بغية الوعاة ص ١٧٩ ، ووفيات الاعيان ص ١٠٢ - ١٠٦ ج ١ « دار المأمون » .

(٢) أبو العباس أحمد بن يحيى بن يسار الشيبانى ولاء ، أشهر مشاهير الادباء من النحاة ، والثقة الأول فى الشعر القديم توفى سنة ٢٩١هـ ، وترجمته فى معجم الادباء ص ١٠٢ - ص ١٤٦ ج ٥ ، ونزهة الالباء ص ٢٩٣ ، وطبقات المفسرين ص ٤١ وبغية الوعاة ص ١٧٢ وغيرها .

(٣) هكذا فى ديوان المعانى ص ٣٥٢ ج١ ، الموشح ص ١٢٥ ، زهر الاداب ص ١٣ ج٢ ورواية العمدة ص ٢٣٥ ج٢ : « وليل كإبهام الحبارى » .

(٤) هكذا فى زهر الاداب ، وفى بقية المراجع « إلى هواه » :

(٥) هذه رواية الموشح ، وفى زهر الاداب وديوان المعانى « العزيز » وفى العمدة والشريشى « الغزير » .

فيالكَ يوماً خيره دُون(١) شره   تغيبَ واشيه ، وأقصرَ عاذله !

فعجبنا من تشبيه قصر اليوم بإبهام القطاة(٢) ، فقال : أحسن منه قول الآخر(٣) :

ويوم ٍ عندَ بابِ أبى نعيمٍ   قصيرٍ مثلِ سالفةِ الذبابِ

قال الزجاج : « وهذا نهاية الأفراط ، والخروج عن حدود التشبيه المصيب » . فانظر حكم الزجاج ، وحكم الشيخ ؛ فالشيخ نظر إلى طرافة التشبيه فاستحسنه ، والزجاج نظر إلى غلوه فلم يستصوبه .

ومن هذا القبيل قول ابن المعتز فى مطلع قصيدة :

بدلت من يومٍ كظلّ حصاةٍ   ليلا كظلّ الرُمح غير مواتِ

موازنة ثالثة : تقول : فلان إذا همّ بالشيء لم يزل عن ذكره ، ولم يشغله عنه شيء ، وقصر همه على إمضاء ما عزم عليه ، وتحتاط لهذا المعنى بأبلغ ما يمكن ، ولكنك لا تجد له فى نفسك هزة ولا أريحية ، فإذا قلت كما قال سعد بن ناشب :

---

(١) الصحيح أن هذه الكلمة من وضع خلف الأحمر ، والأصل فى جميع المراجع « قبل شره » وقد زعم خلف أن المعنى فاسد معها ، ولكن فهمه سقيم ، إقرأ الرد عليه فى العمدة « باب أغاليط الرواة ج ٢ » وفى رسالتى ص ٧٣ ، ص ٧٤ « الباب الثانى » .

(٢) من هذا الضرب قول أبى هلال العسكرى « ص ٣٥١ ج ١ ديوان المعانى » :

فى ليال كأباهيم القطا   لست تدرى كيف تأتى وتمر ؟!

(٣) هو عون بن محمد بن إسحاق الموصلى كما فى ديوان المعانى ص ٣٥٢ ج ١ ، ونص البيت هناك .

ظلنا فى جوار أبى الجناب   بيوم مثل سالفة الذباب

والسالفة : مقدم العنق ، ورواية أسرار البلاغة ص ١٠٨ : —

ظللنا عند باب أبى نعيم   بيوم مثل سالفة الذباب

إذَا هَمَّ ألقى بينَ عينيهِ عزمهُ ونكّبَ عن ذكر العواقب جانباً
ولم يستشر فى رأيهِ غيرَ نفسه ولم يرض إلا قائم السيف صاحبا

امتلأت نفسك سرورا ، وأدركتك هزّة طرب لا تملك دفعها عنك ؛ ولا تظن أن سبب ذلك . الاستعارة المكنية ـ حيث شبه «العزم» بأمر يهتم به ، ويوضع لذلك أمام العينين بجامع العناية بكلّ ، ثم دل على التشبيه بإثبات لازم المشبه به — وهو الألقاء بين العينين — للمشبه ، وما يلزم الاستعارة من تأكيد إثبات الصفة ، ومن الإيجاز ـ ؛ فإن هذا ، وإن أوجب مزية وفضلا ، فليس هو الأصل ، بل : أن مَثّل المعقول بالمحسوس ، فأراك العزم واقفا بين العينين .

السبب الثانى من أسباب تأثير التمثيل :

أنه كثيراً ما يجمع بين أمرين متنافرين مختلفين .

وسر تأثير ذلك : أنّ تصيّد الشبه للشيء من غير جنسه ، واجتلابه من غير مظنته ، والتقاطه من المكان القصيّ ـ حتى ترى به الأمرين مثلين متباينين ، ومؤتلفين مختلفين ـ باب آخر من الظرف واللطف ، ومذهب من مذاهب الإبداع والافتنان ، وفيه من الطرافة والغرابة ما لا يخفى موضعه من العقل ، وما يدعو لا محالة للاستحسان ، ويثير كامن الارتياح ، ويتألف نافر المسرة . .

تحقيق ذلك : فى التشبيه الصريح غير التمثيلى :

كان السبب الأول من أسباب التأثير خاصا بالتمثيل ، لأن المشبه عقلى ، فلا يمكن أن يكون الوجه فيه حسيا ، أما هـذا السبب فإنه يتأتى فى التشبيه غير التمثيلى . فإنه يجوز أن يكون الأمران المختلفان محسوسين ، ووجه الشبه

بينهما حسيا ، ولذلك ترى الشيخ يبدأ هنا بالتشبيه الحسى ، فيقول : وأقرب شاهد لك أن تنظر إلى تشبيه المشاهدات بعضها ببعض ، فإنك تراه لا يروق ، ولا يهز السامع ، ولا يقع منه موقعا إلا إذا كان معقودا بين أمرين مختلفين جنسا ، وإنه كلما كان التباعد والتباين أشد ، كان أبعث على الإعجاب ، فتشبيه « الذئب » بالكلب فى الحجم والشكل ، وتشبيه « فاكهة » بأخرى فى اللون والطعم لا يعتد به ، ولا يحدث فى النفس أثرا ، لقرب ما بين الطرفين. أما تشبيه « العين » بالنرجس — وإن كان عاميا مشهورا — وتشبيه « الثريا » بعنقود الكرم المنور ، أو اللجام المفضض ، أو الوشاح المفصل - وهو من التشبيهات الخاصية التى لا يهتدى لمثلها إلا الأفراد - فما استحسنه البلغاء ، وما ذاك إلا لما بين المشبه والمشبه به من تباعد فى الجنس لا يخفى ، فإن الأول يريك الصورة الواحدة — شكل « العين » — فى خلقة الانسان وخلال الروض ، والثانى يريك الصورة - شكل « الثريا » - فى السماء ، وفى الأرض .

واذا تقصيت ما عدوه من التشبيهات الغريبة وجدت ذلك بيِّناً ، أنظر الى قول على بن إسحاق الزاهى(١) - وينسب لغيره(٢) - فى وصف بنفسج :

ولازَوَرْدِيَّة تزهو(٣) بزرقتها   بين الرِّياض على حمر اليواقيت
كأنها فوق قامات ضعفن بها   أوائل النَّار فى أطراف كبريت

---

(١) أبو القاسم ، مدح سيف الدولة والوزير المهلبى وأهل البيت ، واشتهر بالوصف والذى نسبهما إليه هو ابن خلكان ، وتوفى الزاهى سنة ٣٥٢ ، وله ترجمة فى اليتيمة ص ١٩٨ ج ١ .

(٢) نسبا فى معاهد التنصيص ص١٥٣ ج ١ لابن الرومى ، وفى المطول ص ٣٣٤ أنهما لأبى العتاهية .

(٣) المشهور فى هذا الفعل بناؤه للمفعول والوصف منه مزهو ، وهناك لغة حكاها ابن دريد وهى : زها يزهو زهوا - كضرب - ، وزهوا - كقعود - ، وعليها البيت .

ووازن بينه وبين قول ابن المعتز :

كأنعيون النرّجس الغض حولنا مداهن درٍّ حشوهن عقيق

اللازوردية ، بكسر الزاى : صفة لمحذوف ، أى : ربَّ أزهار بنفسج لازوردية نسبة إلى اللازورد ، وهو حجر أزرق . تزهو : تتيه ، وحمر اليواقيت : إما أن يرادبها حقيقة الياقوت الأحمر ، وإما أن يراد بها الأزهار الحمر ، على طريق الاستعارة الأصلية . والقامات : سوق النبات ، وعيدانه ، شبه نوْرَ البنفسج الأزرق على تلك القامات الضعيفة ، بأوائل اشتعال النار فى أطراف الكبريت ، ووجه الشبه : صورة اللون المخصوص فى الشكل المخصوص متصلا بالساق الدقيقة المخالفة للونه .

ومنشأ طرافة هذا التشبيه : ما بين الطرفين من تباعد شديد ، فالبنفسج نبات غض يرفّ ، والمشبه به لهب نار فى جسم يابس صلب .

وأما ابن المعتز : فإنه شبه أزهار النرجس الغض بمداهن در حشوها عقيق ، وهو تشبيه غريب أيضاً من ناحية أن المشبه به خيالى لا وجود له ، ولا مزيد فى بعد الشيء على أن يكون معدوما لا يتصور إلا فى الخيال ، ولو أنه شبهه ببعض النبات لم تكن له هذه الغرابة ، ولم ينل من الحسن هذا الحظ .

كلا التشبيهين بديع غريب ، مثير للعجب ، إذ يستوى فى إثارة عجبك وجودُك الشيءَ فى مكان ليس من أمكنته ، كما وجدت صورة البنفسج فى اللهب ، ووجودك شيئاً لم يوجد ولم يعرف من أصله ، كما وجدت صورة « النرجس فى مداهن درٍّ حشوها عقيق » .

لكنك إذا تأملت وجدت تشبيه « البنفسج » أروع وأعجب ، لشدة

بعدما بين الطرفين ، وحاجة الشاعر فى الجمع بينها إلى كثير من التأمل ، ودقة الملاحظة ؛ وسيرد لذلك نظائر ، كقصة عدى بن الرقاع مع جرير ، وغيرها.

تحقيق هذا السبب فى «التمثيل» : للتمثيل القِدْح المعلى ، والباع الذى لا يطاوَل فى الجمع بين المختلفات ، فهو صناعته التى هو الإمام فيها ، والهادى إليها ، واذا أردت ذكر طرائفه ، وعد محاسنه ، والبدع التى يخترعها فى ذلك ، ازدحمت عليك حتى لا تدرى أيها تذكر ؟ وعن أيها تعبر ؟ وهل هناك شك فى أنه يعمل عمل السحر فى تأليف المتباينات ، والجمع بين المشئم والمعرق ، والمشرّق والمغرّب ؟.

وهاك أنواعا من طرائف التمثيل فى هذا الجمع :

١ — أنه يريك للمعانى الممثَّلة بالأوهام شَبها فى الأشخاص الماثلة ، والأشباح القائمة ، ومعنى هذا : أن يكون المشبه أمراً معقولا ، والمشبه به محسوسا ، ولذلك أمثلة كثيرة ، نحو : العزيمة الصادقة كالسيف القاطع ؛ أخلاق كزهر الرياض ، «فمنْ يكفُر بالطاغوتِ ويؤمنْ بالله فقدِ استمسك بالعُروةِ الوثقى» ، شبه اعتناق الأيمان بالاستمساك بالحبل الوثيق المتين ، فى أمن الهلاك ، وتيقن النجاة ، وقول البوصيرى(١) :

والنفس كالطِفل إن تهمله شَبَّ على
حبّ الرّضاع ، وإن تفطمه ينفطم

وقولهم : العدل أساس الملك ، والنحو ميزان الكلام .

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن سعيد بن حماد بن عبد الله بن حيان بن صنهاج ابن ملاك ، ويقال فيه : البوصيرى ، والأبوصيرى والدلاصى ، ولد سنة ٦٠٨ ، وتوفى سنة ٦٩٥ ، وترجمته فى أول ديوانه المخطوط بدار الكتب وفى فوات الوفيات .

٢ — أنه ينطق الأخرس، ويريك البيان من الأعجم، ومعنى ذلك: أن يثبت الحديث والنطق لغير الناطق، تشبيها له بالناطق، ومن ذلك قوله(١):

أشارت بطرف العين خيفة أهلها
إشارةَ محزونٍ ولم تتكلَّمِ
فأيقنت أنَّ الطَّرفَ قدْ قال: مرحباً
وأهلاً وسهلاً بالحبيبِ المتيَّمِ(٢)

وقولهم: كلمتني عيناه، وأخبرتني أسارير وجهه، شبهت العين وأسارير الوجه بالمتكلم فى الدلالة على المقصود، ودلّ على هذا التشبيه بإثبات لازم المشبه به - وهو القول، والكلام، والإخبار - للمشبه على طريق الاستعارة بالكناية، والإثبات: استعارة تخيلية، وقول نصيب(٣):

فعاجوا فأثنوا بالذى أنت أهله ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب(٤)

---

(١) أى عمر بن عبد الله بن أبى ربيعة. حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر المخزومى المكنى بأبى الخطاب، وقد اشتهر بالغزل وجاد شعره حتى انتزع لقريش الاعتراف بالشاعرية والتبريز فى الشعر، ولد سنة ٢٣ هـ ليلة قتل عمر بن الخطاب وتوفى سنة ٩٣ هـ.

(٢) على الرغم من شهرة هذين البيتين وكونهما من شواهد كتاب الشذور لابن هشام المتوفى سنة ٧٦١ هـ خفى أمر قائلهما، وعز على العلماء التعرف إليه، حتى لقد قال الشيخ محيى الدين فى تعليقه على الكتاب السابق «ص ٢١ طبعة أولى، ص ٢٤ طبعة ثانية»: «هذان بيتان يدوران على كل لسان وقلما رأيت من لا يحفظهما» وزاد فى الثانية، «ولم أقف على نسبتها لقائل معين»، وها نذا أدل أهل العلم على قائلهما وموطنهما وهو ص ٤٧٣ من ديوان عمر بشرح محمد أفندى العنانى؛ وما توفيقى إلا بالله.

(٣) هو نصيب بن رباح من فحول الشعراء الاسلاميين المقدمين عند الملوك والأمراء الأمويين، كان عبداً لرجل من كنانة من أهل «ودان» ثم انتهى أمره إلى عبد العزيز بن مروان فاشتراه وأعتقه إعجابا بشعره، ولما احتضر أوصى به سليمان بن عبد الملك فقربه وأدناه، توفى سنة ١٠٨ هـ.

(٤) رواية معجم الأدباء «ص ٢٣١ ج ١٩» «وأثنوا»، وعاج عوجا - كضرب - ومعاجا: أقام، لازم ومتعد، ومن معانيه: وقف ورجع وعطف رأس البعير، وكلها صالحة هنا.

شبه الحقائب الممتلئة بمواهب الممدوح بالرجل المثنى ، بجامع الدلالة على كرم الممدوح ، وإثبات الثناء للحقائب : دليل التشبيه ، فهنا استعارتان : مكنية ، وتخييلية ، ومنه البيت المشهور :

ولئنْ نطقتُ بشُكر برك مفصحاً
فلسان حالى بالشكايةِ أنطق(١)

٣ — أنه يريك الحياة فى الجماد ، ومعنى ذلك : أن تثبت للجماد حياة تشبيها له بالحى ، قال تعالى : « فأحيينا به الأرض بعدَ مَوتها » شبهت الأرض المجدبة بالميت فى عدم النفع ، والأرض الخصبة بالحى فى النفع ، وإثبات الحياة والموت للدلالة على هذا التشبيه الذى هو استعارة بالكناية ، والإثبات : استعارة تخييلية ، قال الشاعر (٢) :

وتحيي لهُ المال الصَّوارمُ والقنا ويقتُل ما تحيي التَّبسُّم والجدا(٣)

شبه المال يجمع بعد تفرقه ، وينمى بعد قلته بميت أحيي ، وشبهه يفرق بعد جمع بالحى يقتل ، وأثبت له الإحياء والقتل للدلالة على ذلك ، على طريق الاستعارة بالكناية ، والاثبات المذكور : تخييلية .

ولا يخفى أنه يمكن جعل الاستعارة تصريحية تبعية فيما تقدم ، بأن تشبه

(١) قال صاحب معاهد التنصيص — ص ١٩٥ ج ١ — : لم أعرف قائله ، وقبله كما فى حاشية الدسوقى «ص ١٥٥ ج ٤ شروح» نقلا عن الأطول قوله :

لا تحسبن بشاشتى لك عن رضا فوحق جودك إننى أتملق

(٢) هو المتنبي ، راجع التبيان ص ٢٨٢ ج ١ ، والرواية هناك : « ما يحيى »

(٣) الصوارم : السيوف ، والجدا : كالجدوى ، العطاء ، يقال : جدا عليه يجدوه وأجدى أيضا وجداه جدوا واجتداه : سأله حاجة ، والبيت مأخوذ من قول أبى تمام :

إذا ما أغاروا فاحتووا مال معشر أغارت عليه واحتوته الصنائع

دلالة الأمور المذكورة بالقول والكلام والثناء، وإخصاب الأرض، وجمع المال بالإحياء، وتفريقه بالقتل، ثم يستعار المصدر المشبه به للمشبه، ويشتق منه الفعل.

٤ — أنه يريك التئام الأضداد، وذلك يحصل بأمرين:

أحدهما: أن يشبه الشئ بأمرين متضادين ـ لوجود شبه بينه وبين كل منهما ـ تشبيها بليغا؛ وذلك ما أشار إليه بقوله(١): «فيأتيك بالحياة والموت مجتمعين كما يقال: هو حياة لأوليائه، موت لأعدائه، فيشبه بالحياة لكونه سببَ المنافع التى لهم لاغنى عنها، وبالموت فى إذهاب المنافع، وإخمال الذكر؛ ويأتيك بالماء والنار مجموعين، كقول أبى الحسن بن مُقلة(٢):

لستُ ذا ذلة إذا عضَّنى الدَّهـ ـرُ ولا شامخاً إذا وَاتانى
أنا نارٌ فى مُرْتقى نظرِ(٣) الحا سدِ ماءٌ جارٍ معَ الإخوانِ

شبَّه بالنار فى الإيلام، وبالماء فى اللطف.

ويجعل الشيء حلواً مراً، وصابا عسلا، كما قال الشاعر:

أمرٌّ على الجانى ويغلُظ جانبى وذو الودِّ أحلولى له وألين(٤)

وكما تقول: هو عسل إذا ياسرته، وصاب إذا عاسرته.

الأمر الثانى: أن يكون الشيء متصفاً بصفة على الحقيقة فتثبت له

---

(١) ص ١١١ أسرار البلاغة.

(٢) هكذا كنى فى «اليتيمة ص ١٠٠ ج ٣» وبقية الكتب تكنيه أبا على، وهو إمام الخطاطين الوزير محمد بن على بن الحسن بن مقلة، إحدى عجائب الزمان فى الخط، وزر للمقتدر العباسى ثم للراضى بعده، وكان سيىء الحظ فى حياته السياسية فعزل مرات ثم قطعت يمينه ثم لسانه فمات فى سنه ٣٢٨ هـ.

(٣) رواية اليتيمة «نفس الحاسد» وهى أدق.

(٤) تقدم مع شرحه ص ٤١.

ضدها بالتمثيل ، وهو ما أشار إليه بقوله : « ويجعل الشيء حسناً قبيحاً كقول المتنبي(١) :

حسنٌ فى عيون أعدائه أقـ بح من ضيفهِ رأته السَّوام(٢)

حسن : خبر مبتدأ محذوف . وأقبح : خبر ثان . وفى عيون أعدائه : متعلق بأقبح . ومن ضيفه : كذلك . وجملة رأته السوام : حال من ضيفه ؛ والمعنى : أن الممدوح حسن فى نفس الأمر ، ولكن أعداءه لا يطيقون رؤيته لكراهتهم له ، بل هم أشد له كراهة من كراهة إبله لضيفه إذا رأته ؛ والتمثيل فى البيت فى قوله : « أقبح » فإن الممدوح ليس قبيحا ، ولكنه شبه بالشيء القبيح فى كراهيته ، وعدم إطاقة رؤيته ، ودلَّ على هذا التشبيه بإثبات لازم المشبه به ـ وهو القبح ـ على سبيل المكنية ، والإثبات : تخييلية .

وقد أبدع المتنبي فى الاحتيال لمواجهة الممدوح بوصفه بالوصف المكروه ـ وهو القبح ـ فقد بدأ بجعله حسنا على الاطلاق ، لكى يبرىء نفسه من توهم أنه قصد الذم ، ثم عقب صفة القبح بصفة من المدح ، هى كراهة سوامه لضيفه الدالة على جوده وكرمه ، فوقعت اللفظة المكروهة بين أمرين محبوبين ، فزال أثر كراهتها ، هذا قول عبدالقاهر ، ولكنك ترى بعد هذا كله أن النفس لا تزال مشمئزة من هذا الوصف ، وما حمله عليه إلا رغبته فى المطابقة بين الحسن والقبح .

ويجعل الشيء أبيض أسود ، كقول أبى تمام فى الشيب :

له منظرٌ فى العينِ أبيضُ ناصعٌ ولكنه فى القلبِ أسودُ أسفعُ

---

(١) راجع التبيان ص ٩٦ ج ٤ .

(٢) السوام ، كسحاب ، المال الراعى ، كالسائم والسائمة وفى القاموس : السوام ، بتشديد الميم ، ولا شك أنه خطأ من المصحح.

الأسفع -هنا-: الأسود، أى أسود شديد السواد، قال فى القاموس:

الأسفع من الثياب: الأسود، وهذا المعنى متعين هنا، والشيب موصوف بالبياض حقيقة، ووصفه بالسواد تمثيل على سبيل الاستعارة بالكناية، شبه بالشىء الأسود فى الكراهية، وإثبات السواد دليل ذلك، وهو استعارة تخييلية.

ويجعل الشىء كالمقلوب إلى حقيقة ضده، كقول أبى تمام فى الشيب أيضاً:

شعلةٌ فى المفارقِ استودَ عتنى ... فى صميم الفؤادِ ثكلاً صميماً
غرَّةٌ، بهمة ألا إنَّما كنـ ... ـت أغرًّا أيام كنتُ بهيما
دقة فى الحياةِ تدْعى جلالاً ... مِثْلما سمّىَ اللديغ سليما

شبه الشيب بالشعلة فى البياض والانتشار، واستعار له اسمها استعارة تصريحية أصلية، ويريد فى البيت الثانى أن يقول: إن الناس يسمون الشيب: غرة، تزيينا له، وتسلية لمن نزل به، والغرة فى الأصل بياض فى جبهة الفرس يخالف لونه، وهى ممدوحة، حتى صارت عنوانا للشهرة والنباهة، لكن الشيب عند الشاعر: غرة بهمة، والبهمة: ضد الغرة، لأنها عدم البياض، ومنها: البهيم: للأسود الذى لا شية فيه، فكأنه قال: هو غرة غير غرة، فوصفها بنقيضها على التشبيه، ووجه الشبه بينها وبين عدمها: عدم إفادة الشهرة والنباهة، ولذلك قال: «إنما كنت أغر» أى مشهوراً نابها، «أيام كنت بهيما» أى لا بياض برأسى، وقد شبه نفسه هنا بالأغر وبالبهيم.

وقد وضح الفرق بين التمثيل هنا، والتمثيل فى البيت السابق، فإنه جعل الشيب هناك أبيضَ أسودَ فى حالين، وهنا جعله بياضا ليس ببياض.

ويجعل الشيء قريباً بعيداً ، كقول البحترى :

دَانٍ على أيدِى العفاةِ وشاسع   عنْ كلّ ندّ فى العلا وضريب (١)

أما « دنوّه » فحقيقة ، وأما « بعده » فعلى التمثيل كما مر .

وحاضراً غائبا ، كقوله :

أيا غائباً حاضراً فى الفؤاد   سَلامٌ على الغائبِ الحاضرِ

أما « غيبته » فحقيقة ، لأنه مسافر ، وأما « حضوره » فعلى التمثيل بالحاضر ، فى أنه ماثل فى الذهن غير منسى .

ومشرّقا مغرّبا ، كقوله :

له إليكم نفس مشرّقة   إن غابَ عنكم مغرباً بدنه

« فتغريبه » حقيقة ، لأنه سائر إلى جهة الغرب ، و « تشريقه » على التمثيل بالمشرّق إليهم ، لأن نفسه توّاقه اليهم ، وهواه معهم ، وقلبه متجه إليهم .

وسائرا مقيما ، كما قال القاضى أبو الحسن الجرجانى فى وصف قصيدة :

وجوّابة الأفقِ موقوفةٍ   تسير ولم تبرحِ الحضرَة

أما أنها « موقوفة » محبوسة ، فلأن الرقعة التى كتبت فيها لم تنتقل من مكانها ، وأما أنها « جوابة سائرة » فعلى التمثيل بالسائر ، لأن الرواة حفظوها ونقلوها وتداولوها ، فتناقلتها الألسن ، وانتشرت فى الآفاق .

ولا يخفى ما فى « مشرّقة وجوّابة » من الاستعارة بالكناية .

وفى أمثلة هـذا الأمر الثانى : إبهام التضاد ، وهو « الجمع بين معنيين غير

---

(١) تقدم مع شرحه ص ٦٨ ، ٧٢

متضادين بلفظين يتضاد معنياهما الحقيقيان» «وهو ملحق بالطباق» ؛ ولنطبق ذلك على أول الأمثلة ، فقد جعل المتنبي ممدوحه حسنا مكروها من أعدائه ، ولا تضاد بين الحسن والكراهة ، لكن عبر عنها بلفظ ـ هو القبح ـ يضاد معناه الحقيقى معنى الحسن ، وقس على هذا .

وهاك مثالا لما يصنعه « التمثيل » من الجمع بين المتنافرات ، قولهم للرجل يصيب الحجة ، ويحسن العبارة عن معناه : أصاب المحز ، وطبق المفصل ، ووضع الهناء مواضع النُّقَب (١)، وهذه استعارات تمثيلية ، شبه هذا الرجل بالقصّاب الذى يضرب السكين فيصيب بها « المحز » أى المفصل الذى يسهل فيه الحز فيفصل الأعضاء بغير عناء ، وشبه مرة ثانية بالرجل يعالج الأبل الجربى فيضع القطران فى مواضع قرح الجرب ، فيصيب مكمن الداء ، ويكون ذلك أسرع للشفاء ، ووجه الشبه فى التشبيهين : أن كلا وضع الأمر فى موضعه ، وأصاب الغرض الذى يرمى اليه فى يسر ودون عناء . ثم استعيرت ألفاظ المشبه به للمشبه .

طبّق : أصاب . الهناء ، بكسر أوله : القطران . النقب ، ـ كصرد ـ جمع نُقْبَة ، وهى : قرحة الجرب .

وهذا من تمثيل الأمر المعقول بالمحسوس ، فانظر هل ترى مزيدا

---

(١) من ذلك قول دريد بن الصمة ، يصف الخنساء بعد أن عالجت إبلها بالهناء :

حيوا تماضر واربعوا صحبي ... وقفوا فان وقوفكم حسبي
ما إن رأيت ، ولاسمعت به ... كاليوم ، طالى أينق جرب
متبذلا تبدو محاسنه ... يضع الهناء مواضع النقب

راجع القصيدة فى البيان والتبيين ص ١٠١ ج ١ وهامشها ، وقد كان دريد من الشجعان المشهورين والشعراء المجيدين وتوفى يوم حنين كافرا ، أما الخنساء بنت عمرو بن الشريد السلمى الشاعرة المشهورة فقد أسلمت وجاهدت حق الجهاد وتوفيت سنة ٥٤ هـ

فى التنافر والتناكر على ما بين طلاء القطران ، وحسن القول والبيان .

٥ ـ أنه يريك العدم وجودا ، والوجود عدما ، والميت حيا ، والحى ميتاً وذلك : جعلهم الرجل إذا بقى له ذكر جميل ، وثناء حسن كأنه لم يمت ، وجعل ذكره حياة له ، قال المتنبي :

ذِكر الفتى عمره الثانى وحاجته   ما فاته وفضول العَيْش أشغال

وحكمهم على الخامل الساقط القدر ، الدنىء بالموت ، ونحن نورد أمثلة ، تقول : فلان حى وإن غيّبه القبر ، موجود وإن كان معدوما ، غنىّ وإن لم يقتن ذهبا ولا فضة ، عالم وإن لم يضِعْ عمره فى تحصيل العلوم .

تشبّهه . ب « الحى ، والموجود » فى بقاء ذكره ، وخلود اثره ، ودوام نفعه ، و ب « الغنى » فى عفته ، وتجمله ، ومروءته ، و ب « العالم » فى اتصافه بما هو جدير بالعلماء .

وتقول : فلان ميت وإن كان يمشى على رجلين ، ومعدوم وإن كنت تراه بالعين ، وجاهل وإن حفظ علوم الأولين ، وفقير وإن ملأ المال خزائنه . تشبّهه لخمول ذكره ، وسقوط قدره ، وعدم نفعه بالميت والمعدوم وفى فعله فعل الجاهل ، وعدم عمله بعلمه : بالجاهل ، وفى حرصه على جمع المال ، وعدم استمتاعه به ، وأنه يظهر بمظهر غير لائق : ب « الفقير » الذى لا مال له .

وفى كل ذلك دُلّ على التشبيه بإثبات لازم المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة بالكناية ، والاثبات المذكور تخييلية .

٦ ـ وهذه لطيفة أخرى للتمثيل أدعى الى العجب ، وهى : جعله الموت حياة مستأنفة ، نحو قولهم : كان موته حياة له ، إنه عاش حين مات ؛

يريدون وصف رجل مات موتة شريفة فى موطن مشهور إيثاراً على نفسه أو دفاعاً عن وطنه أو عرضه ، فيشبه موته هذا بالحياة فى إحياء ذكره ، وشهرة أمره . وظاهر أنّ « كان موته حياة » تشبيه بليغ ، و « عاش » استعارة تبعية ، شبهت الشهرة بالعيش فى إفادة الذكر ، ثم استعير العيش للشهرة ، ثم اشتق منه عاش بمعنى اشتهر ، وبقى ذكره .

هذا « كعب بن مامة(١) » الذى يضرب به المثل فى الإيثار والكرم لم يُعرف عنه إلا أنه كان فى سفر مع رفيق له نمرى فقلّ الماء معهما ، فاتفقا على أن يشرب كل منهما مقداراً معيناً فى اليوم ليكفهما إلى أن يصلا إلى

---

(١) هو كعب بن مامة الإيادى ، أحد أجواد العرب المشهورين ، قيل إنه كان مسافرا مع رفيق له من النمر ابن قاسط اسمه شمر بن مالك ، فقل ماؤهما فآثر رفيقه بالماء على نفسه على ما شرح الأستاذ المؤلف ، وقيل إن الرفيق كان من بنى سعد وروى غير المبرد : أنه كان فى رفقة فقل عليهم الماء ، ولما مات كعب رثاه أبوه مامة بن عمرو بقوله:

أوفى على الماء كعب ثم قيل له ... رد كعب إنك وراد فما وردا

ما كان من سوقة أسقى على ظمأ ... خمرا بماء إذا ناجودها بردا

من ابن مامة كعب ثم دعى به ... زو المنية إلا حرة وقدى

ومن شعر جرير يخاطب عمر ابن عبد العزيز:

فما كعب بن مامة وابن سعدى ... بأجود منك يا عمر الجوادا

وفى حادثته يقول أبو تمام :

يجود بالنفس إذ ضن البخيل بها ... والجود بالنفس أقصى غاية الجود

وفيه وفى حاتم الطائى يقول :

كعب وحاتم اللذان تقسما ... خطط العلا من طارف وتليد

وقد أخطأ المبرد فى نسبة الأبيات الأولى إلى أبى دواد الإيادى وتابعه فى هذا الخطأ الشيخان رشيد رضا « ص ١١٤ » ، وأحمد المراغى « ص ١٥٣ » من طبعتيهما ، والصحيح ما هنا نقلا عن الشيخ المرصفى والميدانى ، راجع تفاصيل القصة وما قيل فيها وشرح أبياتها فى ص ٥٢ ج ٣ رغبة الآمل ، ص ٢٢٠ — ٢٢٤ ج ١ من العقد الفريد طبع العريان ، أمثال الميدانى ص ١٦٧ ج ١ طبعة عبد الرحمن محمد.

ماء ، فكان النمرى يشرب نصيبه ، ثم يصيح من شدة العطش : اسق أخاك النمرى ، فيعطيه « كعب » نصيبه حتى وصلا إلى ماء ، وكان كعب قد أشرف على الهلاك ، فصاح به النمرى : رِد كعب ، ومابه من ورود ، فإنه قد مات. هذه رواية « الكامل »(١).

ومن ذلك قول ابن نباتة ـ وهو أبو نصر عبد العزيز بن عمر السعدى(٢) ـ :

بأبى وأمى كلُّ ذِى نفْس تعاف الضيم مرَّه
يرضى بأن يردَ الردَى فيميتَها ويعيش ذِكرَه

مرة ، بالضم ، ولا يجوز كسرها ، والمراد بمرارتها : شدتها ، وصعوبتها وإباؤها ، تشبيها لها بالشىء المر ، الصعب التناول ، الذى لا يطاق . والشاهد قوله : « ويعيش ذكره » جعل إخلاد الذكر وإبقاءه إعاشة له وإحياء ، على التمثيل ، وهو استعارة تبعية كعاش .

٧ ـ ومن إبداع التمثيل وافتنانه : أنه يمكن به تشبيه أشياء مختلفة بأمر واحد ، يؤخذ منه لكل مشبه معنى خاص يشاركه فيه ، وهذا ما عناه الشيخ بقوله : « وإنه ليأتيك من الشىء الواحد بأشباه عدة ، ويشتق من الأصل

(١) ورواها أيضا مع الخطأ السابق مؤلف « هبة الأيام » ص ٢٤٩

(٢) التميمى ، بغدادى النشأة وشاعر من مداح سيف الدولة وابن العميد والمهلبى وعضد الدولة وسواهم توفى سنة ٤٠٥ هـ ، وهو غير ابن نباتة الحذاقى الفارقى الخطيب العظيم المتوفى سنة ٣٧٤ هـ وغير ابن نباتة المصرى جمال الدين محمد بن محمد الشاعر المشهور المتوفى سنة ٧٦٨ هـ والنون فى المصرى مفتوحة بخلافها فى زميليه فإنها مضمومة كما نص على ذلك ابن خلكان فى ترجمتيهما .

الواحد أغصاناً فى كل غصن ثمر على حدة ، وقد جاء لذلك بمثالين :

المثال الأول : « الزَّنْد » إذا قدحته ، وحككت بعضه ببعض ، فتارة يرِى ، ويأتى بما تريد من النار ، وتارة يصلد ، فلا يخرج منه شرر ، فقد ضربوا الزند الوارى : مثلا للجواد الكريم ، وللذكى الفطن ، وللناجح فى أموره ، الظافر بمراده ، كما ضربوا الزند المصلِد : مثلاً للبخيل الذى لا يعطى ، وللبليد الذى لا يفهم ، وللخائب فى سعيه ، فهذه ستة أمور قد شبهت بمشبه به واحد ، وهو الزند .

أمثلة : تقول : قدحت فلانا فأورى ، أو فلان إذا قدح لا يصلد ، تريد وصفه بالكرم ، وأنه يعطى من قصده كالزناد الذى يقدح فيورى ، ووجه الشبه : الحصول من كلٍّ على المرام ، ثم دل على هذا التشبيه بإثبات القدح والإيراء للمشبه ، استعارة بالكناية ، والإثبات تخييلية .

قال الحريرى (١) ـ فى المقامة الثامنة والأربعين ـ :

لاَ ، وَلاَ رَامَ قابس ... قَدْحَ زَنْدِى فَأَصْلَدَا

أى لم يطلب منى أحد شيئا فبخلت به .

وهذه الأمثلة نفسها تقال للرجل الذكى ، تشبّهه فى خصب الفكر ، وسرعة الإجابة بالزند الوارى، قال الحريرى ـ فى المقامة ٣٨ ـ : وأَحَبُّ

---

(١) هو أبو محمد القاسم بن على الحريرى البصرى إمام اللغة والأدب وصاحب المقامات المشهورة وكتاب « درة الغواص فى أوهام الخواص » و« ملحة الاعراب » فى النحو وغيرها وقد كناه العباسى بأبى عبد الله ، ولد ٤٤٦ وتوفى ما بين سنة ٥١٠ هـ ، سنة ٥١٦ هـ على اختلاف فى الروايات . وله ترجمة فى معاهد التنصيص ص ٩٣ – ٩٥ ج ٢ ، معجم الأدباء ص ٢٦١ – ٢٩٣ ج ١٦ .

الوَالِى أنْ يعْلم هَل نطفَته ثمد(١) ، أم لقريحته مَدد ؟ فأطرق يرَوِّى فى استيراءِ زَندِه ، أى فى اختبار قدرته على البيان ، ومضائه فيه .

وتقول : فلان إذا قدح أورى ، أى أنه مجدود ، حالفه النجح . ومن كلام أحد خطباء العرب(٢) عند كسرى(٣) : « وَرَى زَندك ، وعَلت يدك(٤) » يدعو له بالنجح الدائم . وقال بعض الشعراء(٥) :

مبارَكُ الوَجهِ ميمون نقيبته   يورى الزِّنادَ بكفَّيهِ إذا قدَحا

يريد : أنه موفق ، كلما طلب أمرا حصل عليه كما يحصل القادح للزناد على مراده .

قال الحريرى ـ فى المقامة ١٧ ـ . «فإن سمحَتْ خواطركم مدحنا ، وإن صَلدَتْ زِنادكم قدَحْنا » .

يريد . وإن عجزتم عن الجواب لبلادتكم ذممنا ، فجعل صلود الزند مثلا للبلادة .

وقال ـ فى المقامة ٤٧ ـ : « فعادَ عودَ المخفِق فى مسعاهْ ، الكلِّ على مولاه ، فقلت له : وَيلك ، أبطءٌ فِنْد ، وصلود زَند ؟! » فجعل صلود زنده

---

(١) الثمد : بالتحريك أو بسكون الميم وككتاب : الماء القليل.

(٢) هو حاجب بن زرارة التميمى أحد الخطباء المصاقع والفرسان المعدودين وهو صاحب القوس التى استرهنها كسرى ، وفيها يقول أبو تمام:

فأنتم بذى قار أمالت سيوفكم   عروش الذين استرهنوا قوس حاجب

(٣) هو كسرى أنوشروان بن قباذ المعروف بالملك العادل وفى زمنه ولد النبي صلى الله عليه وسلم .

(٤) راجع ص ٢٦٠ ج ١ من العقد الفريد طبع العريان .

(٥) هو ابن الرومى ، من قصيدة فى مدح أبى دلف العجلى « ص ٣٣١ ج ١ مختارات البارودى » .

مثلا لخيبة مسعاه ، وأما « فند » ، بكسر أوله فهو : مولى(١) لعائشة بنت سعد بن أبي وقاص(٢) ، أرسلته ليقبس لها نارا فوجد قافلة متجهة إلى مصر فسافر معها ، وأقام سنة ثم عاد ، فتذكر ما كانت سيدته أرسلته إليه ، فأخذ جمراً ، وذهب يعدو ، فزلت قدمه ، وتبدد الجمر فقال : تعست العجلة ، فصار مضرب المثل في البطء .

المثال الثانى ، « القمر » ، وله أحوال كثيرة يمكن أن يشبه به فى كل منها :

ا — يشبه به من ناحية الشهرة والنباهة ، نحو : كيف أعرّفك بفلان ، وهل يخفى القمر ؟ .

ب — ويشبه به من جهة الكمال بعد النقصان ، كما يقال فى الطفل ينمو حتى يبلغ مبلغ الرجال : هلال نما فعاد بدراً . وفى هذا المعنى يقول أبو تمام (٣) :

لهفى على تِلك الشَّواهدِ منهما ... لو أمهِلت حتّى تصيرَ شمائلا
لغدا سكونهما حِجاً ، وصباهما ... كرماً ، وتلك الأريحيّة نائلا
ولأعقب النَّجم المرِذُّ بديمةٍ ... ولعادَ ذاكَ الطلُّ جوداً وابلا
إنَّ الهِلالَ إذا رأيتَ نموَّه ... أيقنْتَ أنْ سيَصير بدراً كاملا

اللهف : الحسرة . ويا لهفى . كلمة يتحسر بها على فائت ، ولهفى هنا مبتدأ وعلى تلك : متعلق به ، والخبر محذوف ، أى شديد . ولو هنا : للتمنى ؛

---

(١) اسمه أبو زيد ، وراجع قصته فى القاموس .

(٢) الزهرى الصحابى العظيم والقائد المحنك وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، وله فى الفتوح الإسلامية صفحات مشرقة ، توفى سنة ٥٥ هـ .

(٣) يرثى ولدى عبد الله بن طاهر قائد المأمون .

ليستقل البيت عن لاحقه(١) . والشواهد : مخايل النجابة فيهما ، وأماراتها . والشمائل ، جمع شمال ككتاب : الأخلاق . والحجا : العقل ، والمراد بالصبا مرح الصبيان . والأريحية : الاهتزاز للجميل . والنائل : العطاء . والمرذ : الآتى بالرذاذ ، وهو المطر القليل . والديمة . المطر يدوم فى سكون . والطل : المطر الضعيف . والجود : المطر الغزير .

ومن ذلك قول البحترى يمدح إسحاق بن كنداج القائد (٢) :

شرف تزيد بالعراق إلى الذى عهدوه بالبيضاء أو بلنجرا
مثل الهلال بدا فلم يبرح به صوغ الليالى فيه حتى أقمرا

شرف : خبر لمحذوف . وإلى : متعلق بمحذوف حال من فاعل « تزيد » أى منتهياً إلى الكمال الذى عهدوه ، وعرفوه . بالبيضاء أو بلنجرا : وهما بلدان(٣) . يشبه ممدوحه ، وقد تدرج فى مدارج الشرف والكمال حتى وصل إلى ما وصل إليه ، بالهلال يتدرج حتى يصير قمرا ، والوجه . ظاهر ، والمراد بصوغ الليالى للهلال : تنميته وتكميله فهو استعارة ، وإسناده إلى الليالى مجاز عقلى من الإسناد للزمان ، فإن الليالى زمن تكميله ، والله الفاعل .

ج — ويشبه بالقمر فى كماله بعد النقص ، ثم نقصه بعد الكمال ، كما قال أبو الحسن — أحمد بن أبى البغل من شعراء القرن الرابع — :

---

(١) هذه دقة فى التخريج تدل على طول باع وحسن فطنة ، وإن كان كثير من العلماء يرى جعل « لهفى » منادى ، و « لفدا » جواب لو لأن لأبى تمام زلات لاتحصى فى الصناعة اللفظية ، وهو من شعراء المعانى .

(٢) الخزرى وهو من ألمع قواد ذلك العصر .

(٣) على شاطىء بحر « الخزر » المعروف ببحر « قزوين » .

المرءُ مثل هلالٍ حين تبصره يبدو ضئيلا ضعيفاً ثم يتَّسق
يزداد حتى إذا ما تمَّ أعقبَه كرُّ الجديدين نقصاً ثم ينمحق

د — وهذه ناحية أخرى للقمر تراها فى قول ابن بابك(١) يمدح الأستاذ أبا على أحمد بن حمولة، وزير فخر الدولة(٢):

ورآك للتَّشريفِ أهلا فاجتبى بوفائه، مـلكٌ، يقول ويفعلُ
فأعرْتَ شطر الملك ثوب كمالِهِ والبدر فى شطرِ المسافةِ يكمل

ليفهم البيتان نقول: إنه لما مات «الصاحب بن عباد(٣)» وزير فخر الدولة كان المرشح للوزارة بعده أحد الرجلين: أبى على بن حمولة، وأبى العباس الضبي(٤)، فأخذ كل منهما يبذل لفخر الدولة الأموال الطائلة ليستوزره فرأى أن يأخذ ما بذلاه، ويوليهما معاً معتلا بأن مكان «الصاحب» لا يملؤه أحدهما وحده، فاشتركا فى الوزارة(٥)، فكان كل واحد منهما كأنه وزير

---

(١) هو عبد الصمد بن منصور ابن الحسن بن بابك، من الشعراء المجيدين المكثيرين، قال فيه الثعالبي: «شعاره إحسان السبك وإحكام الرصف، وإبداع الوصف» وله ترجمة فى «اليتيمة» ص ٣٤٣ — ٣٥٠ ج ٣، وتوفى سنة ٤١٠ هـ، سنة ١٠٢٠م

(٢) هو: أبو الحسن على بن حسن ركن الدولة بن بويه الديلمى أحد ملوك الدولة البويهية، ولد سنة ٣٤١، وتوفى سنة ٣٨٧هـ.

(٣) هو أبو القاسم إسماعيل بن أبى الحسن عباد بن العباس الطالقانى، من مفاخر التاريخ الأدبى والعلمى والسياسى، وزر لمؤيد الدولة بن بويه ثم لأخيه فخر الدولة المتقدم ذكره، وكانت ولادته سنة ٣٢٦ م، ووفاته سنة ٣٨٥ هـ، وله ترجمة فى وفيات الأعيان ص ٢١٦ — ٢٣٠ ج ٢ «دار المأمون»، ومعجم الأدباء ص ١٦٨ — ٣١٧ ج ٦، واليتيمة ص ١٦٩ — ٢٦٠ ج ٣.

(٤) أحمد بن ابراهيم، كان أديبا شاعرا، وطالما اغترف من ورد الصاحب، وتوفى سنة ٣٩٨ هـ، سنة ١٠٠٨م.

(٥) ولقب الأول بالجليل والثانى بالرئيس، فقال بعض الشعراء — راجع اليتيمة ص ٢٥٩ ج ٣ —:

لشطر الملك ، فأراد ابن بابك أن يدفع توهم أن ذلك ينقص من قدر « أبى على » ، يقول : إنك ألبست شطر الملك الذى وليته ثوب الكمال لأنك كامل ولابدع فى أن تكون كاملا فى نصف الملك ، فإنك شبيه بالبدر الذى يكون كاملا فى نصف الشهر ، ووجه الشبه : كمال كل فى النصف ، ونظير هذا قول ابن الرومى ـ وهو أسبق زمناً ـ :

تمّت معاليه منه فى امرىءٍ نصف ... زوْل أطال على الأحوالِ توقافا
كذا الأهلة تستوْفى محاسنها ... إذا نضت مِن شهور الحوْلِ أنصافا

النّصَف : الذى بين الحداثة والهرَم . والزّوْل : الشجاع . والتوقاف : بمعنى الوقوف ، يريد : أنه مجرب لكثرة ما عانى من أحوال الزمان وأهله . ويقال نضا الثوبَ : إذا خلعه ، ونضا البلاد إذا قطعها ، وهذا المعنى مناسب هنا ، يشبهه وقد تمت معاليه حين قطع نصف مرحلة العمر بالبدر يكتمل حسنه إذا قطع نصف مرحلة الشهر . والوجه : كمال كلٍّ فى نصف مرحلته .

وهذا أروع وأفخم من قول ابن بابك .

هـ ـ وترى البدر إذا كان قليل النور قل ظهوره ليلا أول الشهر وآخره ، فإذا امتلأ طال مكثه ، وقد لاحظ هذه الجهة أبو بكر الخوارزمى (١) ـ حين قال :

= والله والله لا أفلحتم أبدا ... بعد الوزير بن عباد بن عباس
إن جاء منكم جليل فاجلبوا أجلى ... أو جاء منكم رئيس فاقطعوا راسى

(١) هو محمد بن العباس الخوارزمى الكاتب الشاعر والأديب الناثر ، نبغ فى العلوم والمعارف خاصة اللغة والانساب ، ورسائله وأشعاره مشهورة ، وهو ابن أخت المؤرخ الثقة محمد بن جرير الطبرى ، وله مع البديع الهمذانى مناظرات مشهورة ، توفى سنة ٣٨٣ هـ ، سنة ٩٩٣ م .

أرَاكَ إذا أيسرت خيَّمْتَ عندنا مقيماً وإن أعسرْتَ زرْتَ لِماما
فما أنت إلا البدر، إن قلَّ ضوْؤه أغبَّ، وإن زَاد الضِّياء أقاما

خيَّم: أصله: نصَب خيمته، ولما كان ذلك يستلزم الإقامة استعمل فيها. وزاره لماما: غبا أى وقتا بعد وقت، وأغب: جاء يوماً وترك يوماً، ووجه الشبه: إطالة المكث عند كثرة النفع، وإقلاله عند قلته.

انتقد الشيخ هذا التمثيل، بأن اللفظ لا يساعده ـ وإن كان لطيفاً ـ وذلك أن معنى الإغباب: أن يزور يوما، ويترك يوما، وليس الهلال كذلك، بل هو يوالى الطلوع كل ليلة مهما قل ضوؤه حتى آخر الشهر، وهو نقد هين وجوابه: أن الهلال لما كان يظهر قليلا، ويغيب طويلا عند نقص نوره جعل طول غيبته بمنزلة ترك الطلوع فى وقته، وقد يتسامحون فى أكثر من هذا.

وفى هذا المعنى يقول ان ابن بابك ـ:

إذَا هوَ أثْرى بَدَا وَاصِلاً وَإنْ قَلَ فارَقنا وَاحْتجبْ
كَذَا البَدر يُسفِر فى تِمِّهِ فإنْ خاف نَقص المحاق انتَقب (١)

لكن يلاحظ أن الممدوح هنا إذا قل ماله احتجب كالبدر إذا ذهب ضوؤه احتجب أيضا، كما هو ظاهر من وصف المشبه.

و ـ معلوم أن البدر يستمد ضوءه من الشمس، ويرجع اختلاف ضوئه كثرة وقلة الى أوضاعه منها، فيمتلىء بالنور ويصير بدرا عند الاستقبال(٢)، وينمحى ضوؤه عند الاجتماع وقد تخيل ابن نباتة السعدى

---

(١) انتقب: وضع النقاب عليه، أسفر: رفعه.

(٢) أى استقباله للشمس بوجهه كله، وذلك فى منتصف الشهر.

الاستقبال بعدا عن الشمس ، والاجتماع قربا منها فقال يمدح عضد الدولة (١) :

قد سمعنا بالغر من آل ساسا … ن ويونان فى العصور الخوالى
والملوك الألى إذا ضاع ذكر … وجدوا فى سوائر الأمثال
مكرمات إذا البليغ تعاطى … وصفها لم يجده فى الأقوال
وإذا نحن لم نضفها إلى مج … دك كانت نهاية فى الكمال
إن جمعنا هما أضر بها الجم … ع وضاعت فيه ضياع المحال
فهو كالشمس بعدها يملأ البد … ر وفى قربها محاق الهلال (٢)

يقول : قد سمعنا بملوك الفرس الأكاسرة آل ساسان ، وبملوك اليونان، وغيرهم من الملوك ، وعرفنا ما لهم من مآثر ومكرمات لا تزال تسير بها الأمثال ، لكن شهرتها وكمالها لا يتحققان إلا إذا ذكرت وحدها ، ولم تقس بمجدك ، فاذا قيست به ونسبت إليه بدت ضئيلة هزيلة تكاد تضيع وتنعدم انعدام المحال الباطل ، فما مثل مكارمهم مع مجدك إلا مثل القمر الشمس ، إذا بعد عنها امتلأ نورا ، وإذا قرب منها كان محاقه ، وزوال نوره .

ز ـ ومن أحوال البدر : ما ترى من بعده وارتفاعه ، وقرب ضوئه

---

(١) هو أمير الأمراء عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه ، أشهر الملوك البويهيين وأول من تسمى فى الأسلام بملك ، توفى سنة ٣٧٢ .

(٢) من الخطأ الفاحش إعادة الضمير « فهو » إلى المدح ، كما فعل الشيخان رشيد رضا والمراغى ـ ص ١١٧ ، ص١٥٧ من طبعتيهما لأسرار البلاغة ـ ، بل إن ذلك يودى بالمعنى الذى أراده الشاعر ، والصحيح أنه يعود إلى كلمة « مجدك » فى البيت الرابع كما قرر الأستاذ المؤلف ، وهذا البيت يدل على أن المسلمين فى القرن الرابع كانوا على علم بنظريات جغرافية يتشدق كثير من جهالنا بأنها غربية الوجه واليد واللسان

وشعاعه ، وقد شبه به البحترى فى ذلك فيما مضى من قوله :

دان على أيدى العفاة .. .. .. البيتين

ح ـ وهذه ناحية أخرى ـ وليست أخيرة ـ وهى : ظهوره فى كل مكان ، قال المتنبي :

كالبدْرِ منْ حيث التفتَّ رأيتَه يهْدى إلى عينيْكَ نوراً ثاقِباً

فانظر كيف جاء التمثيل بهذه الأشباه الكثيرة المتباينة من شىء واحد ، والتى لم يستقصها الشيخ لكثرتها ، فهو لم يذكر الشبه الذى لاحظه القائل : (١)

كأنَّه بين أحوالٍ تداوَله بدر تهاداه شتَّى من منازِلِهِ(٢)

ولا الذى لاحظه القائل : (٣)

رغِب عن بلادك وارج حسن مغبَّة إن كنت حقاً تشتكى الإقلالا
فالبَدر لم يَقعدْ به إدْبارهُ ألاَّ يسافِرَ يطلبُ الإقبالاَ

على أن الشيخ لم يعرض لما يشبه بالبدر من حيث الأمر المحسوس كتشبيه الشىء بتقويس الهلال ودقته ، والوجه بنوره وبهجته ، لأنه الآن فى ذكر ما كان تمثيلا ، وكان الشبه فيه معنويا ، وهذا ـ كما أشرنا ـ دليل على أن مدار التمثيل عنده : على كون الوجه عقليا مركبا أو مفردا ، وقد أشرنا أيضا إلى أنه فى « الدلائل » اقتصر على المركب .

وهاك مثالا ثالثا « البحر » : فإن له أحوالا كثيرة ، فقد يشبه به فى

---

(١) هو ابن الرومى ، راجع ص ٣٨١ ج ١ من مختارات البارودى

(٢) شتى : أى فرق ، وتداوله : أصلها تتداوله

(٣) هو ابن رشيق راجع ص ١٤٩ ج ١ من شرح الشريشى لمقامات الحريرى .

غزواته ، وسعته ، وأنه لا ينضب ، كما تقول : «هو بحر» للجواد أو للعالم ؛ وفى انتفاع القريب منه والبعيد ، كما قال المتنبي :

كالبحر يقذف للقريب جواهراً   جوداً ويبعث للبعيدِ سحَائباً

ويشبه به الرجل العظيم لا تنال منه سفاهة السفهاء كما قال : (١)

وإنا وما تلقى لنا إن هجوتنا   لكالبحر مهما يلقَ فى البحر يغرَقِ(٢)

وتراه يرسب فيه اللؤلؤ ، وتطفو فوقه الجيف ، وفى ذلك شبه به ابن الرومى الزمان فقال :

دَهر عَلا قدر الوضيع بهِ   وغدا الشَّريف يحطُّه شرفهْ
كالبحر يرْسب فيه لؤْلؤه   سفلا(٣) وتطفو فوْقه جيفهْ

وقد يشبه به فى أنه يستخرج منه الدر ، ولكنه لا يؤمن إن هاج واضطرب ، قال الغزّى(٤) مادحا :

---

(١) هو زياد بن سلمى أو سليمان أو جابر بن عمرو بن عامر ، وكنيته أبو أمامه مولى عبد القيس ، ويعرف بالأعجم لمكنة فى لسانه ، توفى سنة ٨٥ هـ ، سنة ٧٠٤ م كما فى الأعلام ، أوفى حدود المائة كما فى معجم الأدباء ، وله تراجم فى الأعلام ص ٣٤١ ج ١ ومعجم ياقوت ١٦٨ ج ١١ والأغانى ص ٩٨ ج ١٤ ، خزانة الادب ص ١٩٢ ج ٤ والشعر والشعراء ص ٣٩٥ ج ١ « بتحقيق شاكر » والمؤتلف ص ١٣١ وغيرها ، وإنما ذكرت هذه لأن المرحوم الشيخ عبد الخالق عمر كتب فى تعليقه على ترجمته فى ياقوت : « لم نعثر له على ترجمة سوى ترجمته فى ياقوت » وفق الله الجميع ،

(٢) البيت من قصيدة أرسل بها إلى الفرزدق لما هم بهجاء عبد القيس ففزع منها وسكت عما هم به ، وهى فى أكثر المصادر السابقة .

(٣) السفل ـ بالضم ـ كالسفول والسفالة ، والسفل ـ بالكسر ـ كالسفلة ، والسفال ـ بالفتح ـ : نقيض العلو .

(٤) هو أبو إسحاق ابراهيم بن عثمان بن محمد الكلبى ، من أهل غزة بفلسطين ـ وشاعر مجيد ، مدح البويهيين وسواهم ، ولد سنة ٤٤١ وتوفى سنة ٥٢٤ هـ .

هوَ البحر لا يأسَ مِن درّه ولا أمنَ مِنْ موْجه إنْ طما(١)

ومثال رابع : (السيف) فقد شبهوا به من جهات شتى ، شبهت به العزيمة في المضاء ، كقول الشاعر(٢) :

فتى عزْمه سيف حسام ، وَسيْفه قضاء إذا لاقى الضَّريبة مُبرَم

وقال البحترى فى معنى آخر - وسيأتى - :

ضحوك إلى الأبطال وَهو يروعهم وللسَّيف حدٌّ حين يسطو ورونق

وقال ابن الرومى فى معنى ثالث :

فبذات نفسك ما يكون بهاؤها وبمائهِ كانَ الحسام صَقيلا

يقول : إن النفس لا يمكن إفادتها البهاء إلا إذا كانت فيها قابلية واستعداد كما أن السيف لا يمكن جلاؤه وصقله إلا إذا كان فيه بقية ماء ، أما إذا فسد معدن السيف فلن يعود صقيلا . قال الشاعر(٣) :

والسيف مالم يُلفَ فيه صيْقَل من نفسِه لم ينتفعْ بصقالِ(٤)

وهذ أيضاً يضرب مثلا لمن لا يكون عنده استعداد لأمر ، فلا تجدى محاولة إفادته إياه .

ويقول الشاعر(٥) فى معنى آخر :

---

(١) البيت فى مختارات البارودى ص ٤٨ ج ٣

(٢) هو ابن الرومى : المصدر السابق ص ٣٨٨ ج ١

(٣) هو أبو تمام .

(٤) الصيقل : شحاذ السيوف وجلاؤها ، والصقال : اسم الصقل .

(٥) هو أبو الشيص الخزاعى كما فى الوساطة ص ٢٣٣ وقد ذكر مع بيت قبله فى الامالى ص ٢٣٧ ، ٢٣٨ ج ١ غير منسوب وكذلك فى الحماسة ص ١٦٠ ، ١٦١ ج ٤ =

وكالسَّيفِ إنْ لاينته نَ لامتْـنه ... وحدّاه إنْ خاشنتَـه خشِـنانِ

وأنت تستطيع أن تعثر على غير ذلك مما شبهوا به من جهات عدة ، لا من حيث ما يدرك بالحس ، بل من حيث ما يدرك بالعقل والروية .

السبب الثالث من أسباب تأثير التمثيل

أنه يحتاج إلى إعمال الفكر ، وتحريك الخاطر ، وبذل الهمة من كلّ من منشئه وسامعه ، فالأول محتاج إلى ذلك فى الغوص عليه ، والاهتداء إليه ، ثم فى صوغه ، والإبانة عنه ، والثانى يحتاج إلى ذلك فى فهمه، وإدراك سره ، واجتلاء حسنه ، وذلك ما يجعله فى النفس أحلى ، وبالمزية أولى .

وسر ذلك : ما هو مركوز فى الطباع من أن الشىء إذا نيل بعد طلبه ، والشوق إليه ، والحنين له ، كان موقعه فى النفس أعظم مما لو حصل عفواً بلا عناء ولا طلب ، ولذلك يضرب المثل لكل ما لطف موقعه فى النفس ، ببرد الماء على الظمأ ، أو الوصل بعد الصد ، أو الغنى بعد الفقر ، أو الرخاء بعد الشدة ، وأشباه ذلك مما يحصل بعد مكابدة الحاجة إليه ، ومطالبة النفس به .

وهذا السبب مرتبط بالسبب السابق ، ومرتب عليه ، فان التمثيل إنما يدق ويلطف وتكون حاجته إلى الفكر أمسّ ، إذا كان تقريراً للشبه بين الأشياء المتباعدة المتباينة ، فان الأشياء المتقاربة فى الجنس مستغنية عن

= وأبو الشيص : هو محمد بن رزين بن سليمان بن تميم ، من أطبع الشعراء على الشعر ، عمى فى آخر حياته ثم قتله خادم ممدوحه عقبة بن جعفر سنة ١٩٦ هـ وله ترجمة فى معاهد التنصيص ص ١٤٢ ج ثانى والبيت الذى قبله هو :

كريم يغض الطرف فضل حيائه ... ويدنو وأطراف الرماح دوانِ

التعمل والتأمل ، لظهور الشبه بينها وقرب مأخذه .

أما الجمع بين أعناق المتنافرات فى رِبقة(١) وعقد النسب بين الأجنبيات فهو عنوان جودة القريحة ، ودليل الحذق والأستاذية ، وهو الذى يحتاج إلى دقة الفكر ، ولطف النظر ، ونفاذ الخاطر . وهو الذى أوجب للتمثيل الفضيلة ، وأحظاه عند السامعين .

تنبيه : من هذا يتضح قول الشيخ فى مطلع هذا السبب : « فصل ، وإن كان مما مضى ، إلا أن الأسلوب غيره » ، فانه يريد أن يقول : إن الحاجة إلى الفكر ، من مقتضى الجمع بين المتنافرات ، وإن لبيان تأثير هذا الجمع أسلوبين وطريقين :

الأول : بيان ما يؤدى إليه من البدع والطرائف ، وقد تقدم .

الثانى : بيان ما يستدعيه من إعمال الفكر والروية ، وهذا موضوع كلامنا الآن .

اعتراضان : الأول : أن ما زعمت من أن الحاجة إلى الفكر من أسباب حسن التمثيل : يستلزم أن يكون التعقيد والتعمية ، وتعمد الالتواء ، مما يكسب المعنى المعقد شرفا ، ويعطيه فضلا ، لحاجته الشديدة إلى الفكر ، بل حاجته إليه أشد من حاجة « التمثيل » مع الإجماع على ذم المعقد لما يوجبه من التعب الفكرى .

الثانى : أن هذا الزعم أيضاً مخالف لقول عامة البلغاء : إن خير الكلام : ما كان معناه إلى قلبك أسرع من لفظه إلى سمعك ، فإن ذلك يدل على أن ما أحوج فهمه إلى الفكر والتأمل ، لا يكون من خير الكلام ، ولا يستحق ما أوليته من فضل .

---

(١) الربقة : بكسر الراء وفتحها حبل فيه عرى تشد فيه البهم والجمع كعنب وأقفال وجبال .

الجواب : عن الاعتراض الأول :ـ لنا عنه جوابان :

الجواب الأول : أن هنا فروقا بين الفكر فى « التمثيل » والفكر فى « التعقيد » ، من أجلها كان الأول سببا للمدح ، والثانى سببا فى الذم ، وهى ثلاثة :

الفرق الأول : من ناحيه المجهود الفكرى نفسه ، وحاجة المعنى إليه ، ومناسبته له ، فالتعقيد يحتاج إلى مجهود فكرى ، وتعب عقلى بالغ يزيد عن حاجة المعنى ، وأما التمثيل ، فالمجهود الفكرى فيه ملائم للمعنى غير زائد عليه.

وازن بين التمثيل فى قول المتنبي فى رثاء أم سيف الدولة(١) :

فإن تفق الأنامَ وأنتَ منهم ... فإن المِسك بعض دم الغزال

***

وما التأنيث لاسم الشمس عيب ... ولا التذكير فخرٌ للهلال

***

رأيتك فى الذين أرى ملوكا ... كأنك مستقيم فى مُحال

وقول النابغة الذُّبيانى(٢) يعتذر للنعمان(٣) :

---

(١) هو الامير أبو الحسن على بن عبد الله بن حمدان صاحب حلب وممدوح المتنبى كان مشغوفا بالعلم والادب ، مكرما أهلهما ، فاتحا بابه للشعراء مجزلا لهم العطاء كما كان فارساً مقداماً ، وبطلا مغوارا ، وبعد قصره كعبة الشعر فى عصره توفى سنة ٣٦٦ هـ ، سنة ٩٧٦ م .

(٢) هو زياد بن معاوية بن ضباب الذبيانى الشاعر الجاهلى المشهور ، توفى سنة ١٨ ق هـ ، سنة ٦٠٤ م .

(٣) ابن المنذر أبى قابوس أشهر من ملك الحيرة فى الجاهلية ، وكان على صلة قوية بالبلاط الكسروى ، وذهب اليه مع وفود العرب « راجع قصتها فى العقد الفريد ج ١ ص ٢٥٣ ـ ٢٦٦ طبع العريان » ، ثم كانت نهايته الموت فى سجن كسرى أبرويز سنة ٧ ق هـ ، سنة ٦١٣ م .

فإنك كالليل الذى هو مدركى وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

فإنك شمس ، والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب (١)

وقول البحترى يمدح محمد بن على (٢) القُمِّى :

ضحوك إلى الأبطال وهو يروعهم وللسيف حدٌّ حين يسطو ورونق (٣)

وقول امرىء القيس :

وقد أغتدى والطَّير فى وكُناتها بمنجردٍ قيد الأوابد هيكل (٤)

وقول قطرى بن الفجاءة (٥) :

ثم انصرفت وقد أصبْتُ ولم أصبْ جذعَ البصَيرة قارحَ الإقدامِ (٦)

وما أشبه ذلك . وبين التعقيد (٧) فى قول أبى تمام :

---

(١) على الرغم من شهرة هذا البيت ومعرفة قائله ، نفاه الشيخ رشيد رحمه الله عن النابغة ونسبه إلى الشاعر المجهول !!! « راجع هامش ص ١١٩ أسرار »

(٢) ابن الحسين بن موسى المشهور ببابويه ، والقمى : نسبه إلى « قم » وهى مدينة ذكرها ياقوت بتفصيل « ص ١٥٩ — ١٦١ ج ٧ معجم البلدان » متوفى القمى سنة ٣٨١ هـ ، سنة ٩٩١ م .

(٣) رونق السيف : ماؤه وحسنه .

(٤) الوكنة — مثلثة الواو — كالوكنة — بضمتين — والوكن — كضرب — والموكن والموكنة — بكسر الكاف — : عش الطائر ، والمنجرد : قصير الشعر ، والاوابد : الوحوش ، والهيكل : الضخم .

(٥) الفجاءة : لقب أبيه ، واسمه جعونة — كحشرجة — بن يزيد بن زياد بن جبر بن كافية بن حرقوص بن مازن بن مالك التميمى ، رأس الازارقة من الخوارج ودعى له بالخلافة عشرين سنة وكان شاعرا مجيداً وخطيبا مصقعا وفى سنة وفاته خلاف ، ويتراوح بين ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٧ هـ « راجع فى نسبه « جمهرة أنساب العرب » لابن حزم ص ٢٠١ »

(٦) يعنى أنه فتى — كفتى — البصيرة ، متناهى الاقدام .

(٧) سيأتى شرح أبياته كلها ص ١٢٨ وما بعدها

يدى لمن شاء رهن ، لم يذق جرعاً ‏ ‏ من راحتيك درى ما الصاب والعسل

وقول المتنبي :

ولذا اسم أغطية العيون جفونها ‏ ‏ ومن أنها عمل السيوف عوامل

وقول أبي تمام يمدح المعتصم (١) :

ثانيه فى كبد السماء ولم يكن ‏ ‏ لاثنين ثان إذ هما فى الغار

إلى غير ذلك مما عابوه بالتعقيد ، فستجد أن أبيات التمثيل فيها شيء من الدقة واللطف لا يصل إليه كل أحد ، ولا يكشف عن مغزاه إلا من أوتى حظا من حسن الذوق وصفاء القريحة ، فهى كالجوهر فى الصدف ، لا تناله إلا بعد شقه ، وكالعزيز المحتجب ، لا تراه حتى تستأذن عليه .

وستجد أبيات التعقيد فيها غموض وإغلاق ، وبها حاجة أيضاً إلى فكر وتأمل ، لكن هل يبلغ المجهود فى الأولى ما يبلغه فى الثانية ؟ وهل العناء فى تلك كالعناء فى هذه ؟ لا شك أن الكلام المعقد قد أحوج إلى فكر زائد عن المقدار الذى ينبغى فى مثله ، وتعب أكثر مما يستوجبه معنـــاه .

الفرق الثانى : من ناحية منشأ الحاجة إلى الفكر وسببها ، فمنشؤها فى « التمثيل » : دقة المعنى ولطفه ، وارتباط بين بعض أجزاء الكلام وبعضه ، وبناء تال منه على أول ، وثالث على ثان ، ونحو ذلك .

أما فى « التعقيد » فمنشؤها : سوء ترتيب الألفاظ وتعمد إغلاقها ، وأن المتكلم لم يسلك بها المسلك الذى بمثله يسهل الحصول على المعنى ، فقدم أو أخر ، وحذف أو أضمر ، أو أتى باستعارة خفية من غير أن يقيم دليلا على

---

(١) هو محمد بن هارون الرشيد ، والخليفة العباسى المتوفى سنة ٢٢٧ هـ ، سنة ٨٤١ م .

ما أراد ، فأحوج السامع إلى فكر زائد على ما ينبغى ، ولو أنه رتب اللفظ كما يحسن أن يرتب ، وأقام الأدلة على مغزاه لما كانت هناك حاجة إلى كل هذا العناء .

الفرق الثالث : من جهة الفائدة الحاصلة بالفكر ، فالفائدة فى التمثيل . الوصول إلى المعانى الدقيقة ، والأغراض النفيسة ، واجتلاء محاسن أقوال البلغاء ، واجتناء ثمار عقول الفضلاء ، وذلك مما يزيد الفكر فرحا وأنسا ، إذ يحصل على ما هو أهل لما بذل ، وكفء لما أعطى .

أما التعقيد فإن المفكر فيه يسعى فى غير فائدة جليلة ، أو غرض نبيل ، يسعى فى تقديم مؤخر ، أو تأخير مقدم ، أو تقدير محذوف ، أو الكشف عن استعارة خفية ، أو نحو ذلك ، وما مثله إلا مثل الغائص يحتمل المشقة ، ويخاطر بالروح ، ثم لا يجد إلا الحصى والخرز ، فيأسى على الجهد الضائع ، والعمل فى غير جدوى .

وخلاصة القول . أن المجهود الفكرى فى التعقيد زائد على ما ينبغى للمعنى ومنشؤه من عمل المتكلم ، وسوء عبارته ، وثمرته تافهة ، وأن المجهود الفكرى فى التمثيل مناسب للمعنى ، ومنشؤه لطفه ودقته ، وفائدته جليلة ، ولذلك كان الأول باعثا على الذم ، والثانى موجبا للمدح .

الجواب الثانى : أن التعقيد فى الحقيقة لم يذم من جهة حاجته إلى الفكر والتأمل ، فما كان الفكر فى المعانى ، واجتلاء غوامض الأمور موضعا للذم ولا محلا للنقد ، وهل نميز الإنسان على سائر الحيوان إلا بالفكر والاعتبار؟ وهل شىء أحلى من الفكرة إذا صادفت نهجاً مستقيما ، وطريقاً قويماً ؟

إنما ذُم التعقيد لان صاحبه أساء التعبير عن المعنى ، ولم يرتب الالفاظ

الترتيب الملائم له ، فشاك طريق السامع إليه ، ووعّر مذهبه ، وقسم فكره ووزع ظنه ، وتركه حائراً لا يدرى من أين يتوصل إليه ، ولا كيف يطلبه .

أما التمثيل ، وسائر الاساليب البليغة ، والكلام المخلص من شوائب التعقيد فإن صاحبه يتحرى فيه حسن البيان ، ويخلصه من سوء الدلالة ، فيرتب الالفاظ الترتيب الذى يهدى إلى المعنى ، ويفتح الطريق للفكر ويمهده « وإن كان فيه تعاطف أقام عليه المنار ، وأوقد فيه الانوار » أى إن كان فيه غموض كالحذف والاضمار ، والتقديم والتأخير ، والاستعارة الغامضة ، أقام القرائن التى توضح المقصود ، فيهتدى الفكر الى الغرض من طريق لا التواء فيه ولا عقبات .

الجواب عن الاعتراض الثانى : أنه لامنافاة بين قول البلغاء : «إن خير الكلام ما كان معناه إلى قلبك أسرع من لفظه الى سمعك » ، وبين ما تقرر من أن حاجه التمثيل إلى الفكر والروية من أسباب حسنه وروعته ؛ وذلك أنه من الخطأ أن يفهم أنهم أرادوا ظاهر هذه العبارة ، وأن الكلام الذى يحوج إلى فكر لا خير فيه ، ولا يعد بليغا ، اذ لو أرادوا ذلك للزمت أمور كلها واضح البطلان ، إذ يلزم :

أولا . ألا يكون هناك فرق بين الأقوال المبتذلة العامية والأقوال المعدودة من وسائط القلائد ، وعيون الكلام ، وأبيات المعانى ، التى اشتمل كل منها على معنى بديع ، أو تصوير رائع ، أو محسن بديعى عجيب جعل العلماء يتداولونه ويخصونه بعنايتهم « هذا هو بيت المعنى »

ثانياً : ألا يكون تفاضل بين السامعين فى تفهم الكلام البليغ ، وتصور معناه .

ثالثاً : أن يكون كل من روى شعراً أو حفظه ، عالما به مميزاً جيده من رديئه ، وكان القول بجهل بعض الرواة بالجيد والردىء منه قولا غير مسموع ولا مؤهلا للقبول . وهذه اللوازم كلها باطلة ، فليست الاقوال مستوية ، ولا السامعون متساوين فى الفهم ، ولم يزل الشعراء والأدباء يعيبون من يتصدى لنقد الشعر من غير أن يكون له أهلا ، وقد تقدم قول مروان بن أبى حفصة فى بعضهم :

زوامل للأشعار ... ... البيتين .

وقال بن الرومى :

قلت لمن قال لى: عرضت على الأخـفش ما قلتـه فما حمـده(١)
ما قال شـعراً ولا رواه فلا ثعلبـه كان لا ولا أسـده(٢)
فإن يقل بأننى رويت ، فكالد دفتر جهلا بكلّ ما اعتقده(٣)

وإذا تقرر بطلان هذه الأمور ، فالفهم الخاطىء الذى استلزمها باطل مثلها والصواب : أن مراد البلغاء بقولهم هذا : أن يجتهد المتكلم فى ترتيب الألفاظ وتهذيبها ، وصيانتها من التعقيد ، ومن كل ما يخل بالدلالة ، ويحول دون بلوغ المقصود . ولم يريدوا : أن خير الكلام ما كان غفلا ساذجاً

---

(١) الاخافشة ثلاثة : الأكبر ، أبو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد مولى بنى قيس بن ثعلبة ، وأستاذ سيبويه ، المتوفى سنة ١٧٧ هـ ، سنة ٧٩٣ م والأوسط : أبو الحسن سعيد بن مسعدة تلميذ سيبويه ومكتشف البحر ١٦ فى العروض توفى سنة ٢١٥هـ سنة ٨٣٠ م والاصغر : أبو المحاسن على بن سليمان بن الفضل المتوفى ٣١٥ ، سنة ٩٢٧م وهو مهجو بن الرومى ، وكانوا جميعا من أعاظم رجال اللغة والأدب .

(٢) ثعلبه : هو أحمد بن يحيى المتقدم ذكره ص ٩٠ ، وليس هناك شخص يسمى « أسدا » فالمراد به الحيوان ، والمقصود أنه ليس صغيرا فى هذا الفن ولا كبيراً .

(٣) اعتقده : جمعه ،

مثل الذى يتراجعه الصبيان . ويتداوله العامة .

وليس معنى كون الكلام فى غاية الوضوح : أنه لا يحتاج أبداً إلى إعمال فكر ، وتحريك خاطر ، فإن المعنى متى كان لطيفا دقيقا أحوج إلى ذلك لا محالة ، أنظر إلى قول البحترى :

دان على أيدى العفاة ... ... البيتين :

فلم يقل أحد : إن فيهما شيئا من الغموض ، ولكنك مع ذلك لكى تقف على معناهما - فى حاجة إلى تعرف البيت الأول وما فيه من مجاز فى قوله : « شاسع » على ما بينا هناك ، ثم تعود إلى البيت الثانى كذلك ، ثم تقابل بين الصورتين ، وكيف طابق بينهما كل المطابقة ، فلما قال فى الأول « شاسع » أى شديد البعد ، قابله فى البيت الثانى بقوله « أفرط فى العلو » ليحصل التشاكل ، ولما شرط الافراط هنا ، جاء بما يشاكله ، وهو قوله : « جد قريب » ليتم التقابل .

فهذا هو ما أردناه بحاجة التمثيل إلى الفكر ، وأنه لا يحصل عليه إلا تحريك الخاطر ، ولم نرد أن يكون معقداً .

اعتراض : قد يتوهم متوهم أن كثيرا من السامعين لا يجد به حاجة إلى بذل همة ، وتحريك خاطر فى فهم التمثيل إذا كان خاليا من التعقيد ، وحينئذ ينتفى سبب الأنس الذى ذكر ؟

أجاب الشيخ : بأن ذلك غير مسلم ؛ وهب جدلا أن هناك من يرتاب فى حاجة السامع إلى ذلك ، فهل من شك فى أن منشىء التمثيل قد تحمل فيه المشقة ، وأسهر الجفن حتى ظفر به فأداه إلى السامع حلو الجَنَى دانى القطوف ؟ أو ليس من حق السامع - وقد علم ذلك - أن يحرص

عليه ويعرف موضعه من الفضل ؟ وهل إذا عثر المرء على كنز عفواً من غير عناء ، يدعوه ذلك إلى إصغار أمره ، وعدم الاحتفال به ، والحرص عليه ؟ أو ليس يقول كما يقول الوارث للمال - إذا ليم على بخله به وشحه فيه - : إن لم يكن كسبي وكدي ، فهو كسب والدي وجدي ، وإن لم ألق فيه عناء ، فقد لاقى غيري فيه الشدائد ؟ ، أنظر إلى أقوال الشعراء فيما يلاقونه من عناء فى قرضهم الشعر ، فأبو حية النميري (١) يروضه كما تراض الدابة أول ما تركب حتى تذل وتنقاد :

وإذا ابتدأت عروضَ نسجَ ريضٍ　　جعلتْ تذلُّ لما أقول وتسهل
حتى تطاوعني ، ولو يرتاضها　　غيري لحاول صعبةً لا تقبل

وتميم بن مقبل (٢) يشبه نفسه بمن يمهد الحزون والجبال ويعبدها ، ليتيسر سلوكها :

إذا متُّ عن ذكر القوافي فلن ترى　　لها قائلا بعدي أطبَّ وأشعرا (٣)
وأكثرَ بيتاً سائرا ضربتْ له　　حزون جبالِ الشعرِ حتى تيسرا (٤)

ويقول البحتري :

لله يسهر فى مديحك طرفه　　متململا وتنام دونَ ثوابه (٥)

---

(١) هو الهيثم بن الربيع بن زرارة من بني نميرة بن عامر ، وأحد الشعراء المجيدين من مخضرمي الدولتين الاموية والعباسية ، توفى سنة ١٦٠ هـ ؛ سنة ٧٢٦ م .

(٢) فى بعض المراجع ابن أبي مقبل وفى بعضها ابن أبي بن مقبل ؛ وأصحها ما هنا ، وهو شاعر من بني العجلان أدرك الاسلام فأسلم ، وكان بينه وبين النجاشي الشاعر مهاجاة رفع أمرها إلى عمر رضي الله عنه ، وتوفى سنة ٢٥ هـ ، سنة ٦٤٦ م بعد أن عاش ما ينيف على مائة سنة .

(٣) أطب : أجلب للطب والعلاج .

(٤) حزون : جمع حزن - كضرب - وهو ما صعب السير فيه .

(٥) متململا أي مضطربا وثوابه : إثابته وإعطاؤه .

يقظانَ ينتخل الكلامَ كأنَّه جيشٌ لديه يريد أن يلقى به

هذا ولا جدال فى أن البحترى قد فاق الشعراء فى تسهيل المعانى الدقيقة وتقريبها إلى الأفهام ، وردَّ البعيد الغريب منها إلى المألوف القريب ، وأكثر قصائده فى غاية القوة والجزالة ، يرتفع عن عقول العامة ، ولا يجتلى محاسنه إلا الخاصة ، ومن ذلك قصيدته فى مدح المتوكل(١) التى مطلعها :

منى النَّفس فى أسماءَ لو تستطيعها بها وجدُها من غادةٍ وولُوعها(٢)

ويقال : إن المتوكل لما كان فى مستوى عقلى لا يصل إلى هذا النمط العالى لم يكن يهش له ، حتى إنه قال لبعض جلسائه : « ما زال يقول : « عها عها » حتى كدنا نقىء » ، ولذلك اضطر البحترى إلى أن ينزل ببعض شعره إلى مستواه ليحوز رضاه ، فمدحه بقصيدة أولها :

فؤادي مِنكَ مَلآن وسِرِّي فِيك إعلانُ
وأنتَ الحسن لو كان وراءَ الحسنِ إحسان

وبخارى مطلعها :

عنْ أيِّ ثغرٍ تبتسم وبأيِّ طرْفٍ تحتكم
حسنٌ يضنُّ بوصلِه والحسنُ أشبه بالكرم

وبنحو ذلك من القصائد الضعيفة الأسر ، الواصلة إلى القلوب من غير فكر .

ولم يقل أحد : إن النوع الأول من جنس المعقّد المذموم لحاجته إلى الفكر ، بل أجمع البلغاء على أنه الجيد الممتاز .

---

(١) هو جعفر بن المعتصم المتقدم ذكره ، ولى الخلافة بعد موت أخيه الواثق سنة ٢٣٢ هـ وقتل بتحريض ابنه المنتصر سنة ٢٤٧ هـ .

(٢) الغيد ـ محركة ـ لين الأعطاف ، والغيداء : المتثنية ، والغادة : المرأة اللينة الناعمة ، والفعل : كفرح .

وهذه القصة جاءت دليلا على صحة ما بيَّن به الشيخ مرادهم ، من أن : « خير الكلام ما كان معناه إلى قلبك ، أسرع من لفظه إلى سمعك » .

***

شرح أبيات التعقيد : قال المتنبي :

مِن طاعِني ثُغَرَ الرِّجال جآذرٌ ... ومِن الرِّماح دمالجٌ وخلاخل(١)

ولِذا اسمُ أغطيةِ العيونِ جفونها ... منْ أنها عملَ السُّيوف عوامِل(٢)

الثغرة : ثغرة النحر ، والجؤذر : ولد البقرة الوحشية ، والدملج : سوار يوضع فى العضد . يقول من قاتلى الرجال نساء يشبهن الجآذر ، يفعلن بدمالجهن وخلاخلهن ما يفعل الطاعن بالرمح ، وإنما سميت أغطية العيون جفونا ، لأن العيون تعمل عمل السيوف ، وهذا ادعاء منه بأن اسم الجفن خاص بقراب السيف ، والمعنى جيد ، ولكن أبرزه فى عبارة ركيكة ، وذلك لأمور .

أولا : أن المشار إليه بقوله . « لذا » فيه خفاء ، لأنه ليس فى البيت السابق تصريح بعمل العيون ، ولهـــذا اضطر إلى بيان المشار إليه بقوله . « من أنها عمل السيوف عوامل » ، فـ« من » الخ بدل من « لذا » ومبين له .

---

(١) الدملج ـ كبرثن وبفتح اللام ـ حلية تجعلها المرأة فى عضدها ، وفى معنى البيت قول مسلم بن الوليد .

بارزته وسلاحه خلخاله ... حتى فضضت بكفى الخلخالا

(٢) فى أسرار البلاغة ص ١٢٠ « وكذا » وهو خطأ من الضابطين قطعاً لا من عبد القاهر ، بدليل أنه ورد فى دلائل الأعجاز ص ٦٦ كما هنا ، وقد أورده الشيخ أحمد المراغى فى صلب الأسرار ص ١٦٢ ، كما أورده الشيخ رشيد ، ثم أصلحه فى الهامش .

ثانياً : أنه استعمل كلمة « اسم » بمعنى التسمية ، وأضافها إلى المفعول الأول ، ونصب المفعول الثانى ـ وهو جفونها(١) ـ وهذا الاستعمال غير معروف ، ولذلك نرى أن الأولى رفع « جفونها » خبر لـ « اسم » .

ثالثاً : إضافة جفون إلى الضمير ، مع أنه لاحاجة إلى هذه الإضافة .

رابعاً : تقديم معمول « عوامل » ، وهو وإن كان جائزاً فقد جعل البيت بانضمامه إلى ما سبق قبيح النظم ، سيء العبارة ، وكان يمكنه أن يأتى بعبارة جيدة كما فعل سبط بن التعاويذى(٢) فإنه عكس ، وادعى أن اسم « الجفون » خاص بأغطية العيون ، وأن أغطية السيوف سميت : جفونا ، لمشاركتها العيون فى قتل الرجال ، قال :

بين السُّيوفِ وعينيه مشارَكة ۝ من أجلها قيل للأغماد ِأجفانُ(٣)

* * *

وقال أبو تمام :

ولقد شفى الأحشاءَ من بُرَحائها ۝ أن صار « بابك » جار « مازيَّار »(٤)

(١) رواية الديوان « ص ٢٥٢ ج ٣ » بالرفع ، وكذلك ضبطت فى دلائل الأعجاز ص ٦٦ .

(٢) ابن التعاويذى : هو أبو محمد المبارك بن المبارك بن على بن نصر السراج الجوهرى الزاهد المشهور ، والتعاويذى : نسبة إلى صنع التعاويذ والرقى ، وهو عمل أبيه ، وسبطه هو أبو الفتح محمد بن عبيد الله ـ أو عبد الله ـ بن عبد الله ، وقد رباه جده ابن التعاويذى وكفله صغيراً فانتسب اليه ، وكان أبو الفتح كاتبا وشاعراً مجيداً ، قدمه ابن خلكان على مائتى شاعر قبله ولد سنة ٥١٩ وتوفى سنة ٥٨٣ أو سنة ٥٨٤ هـ ، وولد جده المبارك سنة ٤٩٦ ، وتوفى سنة ٥٥٣ هـ .

(٣) الذى أحفظه : « وعينيها » فلعلها رواية .

(٤) البرحاء ـ بضم الباء وفتح الراء ـ شدة الأذى .

ثانيه في كبِدِ السماءِ ولم يكن لاثنين ثانٍ إذ هما في الغار

بابك وما زيار : زعيمان خرجا على المعتصم، فظفر بهما، ظفر أولا ببابك فصلبه، ثم ظفر بمازيار فصلبه بجانبه(١)، ثانيه: خبر لمحذوف أو خبر ثان لصار في البيت السابق، سكنت ياؤه للضرورة، أي هو ثان لمازيار في كبد السماء، مصلوب معه في الجو، وليس ثانيا لاثنين في الغار، يريد أبا بكر(٢)، رضى الله عنه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنهما كانا في محل الكرامة والعزة .

وجه النقد : قالوا إن ذكر أبي بكر مع رسول الله في هذا المقام مما

---

(١) كان بابك الخرمي ـ نسبة إلى قرية خرمة واسمه الحسين، وهو من أتباع مزدك الذي يوجب الشيوعية في المال والنساء ـ قد خرج مع أخيه عبد الله وامتنع على الدولة عشرين عاما من سنة ٢٠١ ـ ٢٢١ ثم وقع في الأسر فقطعت أطرافه ثم قتل في صفر سنة ٢٢٣ هـ وصلب ، أما ما زيار فهو ابن مازن بن بندار هرمس صاحب جبال طبرستان، اتفق سرا مع الأفشين ـ حيدر بن كاوس أحد قواد المعتصم ـ على الخروج وإظهار بعض مذاهب الثنوية الذين يعتقدون بإلهي الخير والشر ـ فقبض عليهما وصلب مازيار مع بابك والتقت خشبتاهما فصارا جارين ، أما الأفشين فحبس ومات في السجن في شعبان سنة ٢٢٣ ثم أخرج ميتاً وصلب ثم أحرقت جثته ، والأفشين لقب أمراء أشروسنة الواقعة في أواسط آسية راجع ص ٢٧٤ ـ ٢٧٦ ج ٢ من مروج الذهب ، والمجلد الثاني من دائرة المعارف الأسلامية .

(٢) هو عبد الله عتيق بن أبي قحافة القرشي ، أول الرجال إسلاما ، وأسبقهم تصديقاً وأكثرهم ملازمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولي الخلافة بعده ، وحفظ الأسلام أن يضيع بوقفته الخالدة في حرب المرتدين ، وبعد ـ رضى الله عنه ـ من أخطب قريش وأعلمهم بالأنساب توفي سنة ١٣ هـ بعد أن عاش ٦٣ عاما ، أما أبوه أبو قحافة فاسمه عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب ابن تيم بن مرة وفيه يجتمع نسبه مع النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد أسلم يوم الفتح ـ بعد أن جاء به ابنه إلى النبي، وألم النبي لاحضاره وحسن إسلامه ، ومات أبو بكر في حياته، ورد حقه في الميراث على ولد ابنه ، وعمر ٩٧ عاما.

يأباه الذوق السليم ، ولو أنه جاء على سبيل نفى المشابهة ، فما كان هناك توهم مشابهة حتى تنفى ، هذا إلى فساد فى النظم من جهة الإتيان بـ « ثان » فى صورة المرفوع ، إذ يوهم أنه فاعل « يكن » ، أى لم يوجد ثان لاثنين ، وهذا محال ، لأن كل اثنين أحدهما ثان للآخر ، وهذا الوجه هو ما أورده صاحب « الموازنة » على البيت ، وهو تحامل ، فلا أظن أن أحداً يتوهم هذا ، والواقع أن « ثان » خبر « يكن » الناقصة ، و « لاثنين » متعلق به ، واسمها ضمير يعود على « بابك » ، فالعيب : أنه أتى بالمنصوب فى صورة المرفوع ، وقد ورد ذلك فى شعر كثير ، ومنه :

ولو أن واشٍ باليمامة دارُه
وداری بأعلى حَضْرَمَوْتَ اهتدى ليا (١)

قالوا . إنه روى « كاثنين ثان » ، وفيه تقديم المضاف إليه على المضاف إذ المراد « كثانى اثنين » ، والظاهر أن هذه ليست رواية ، وعلى كل حال قد أجمعوا على عدم استحسان هذا البيت :

وقال أبو تمام يمدح « المعتصم » :

يدى لمن شاء رهنٌ لم يذق جرعاً من راحتيك درى ماالصابُ والعسل

يريد أن يقول : إن الصاب الحقيق هو بطشك وسطوتك ، أما مايسمونه « صابا » ، فلا يستحق هذا الاسم لأن مرارته إذا قيست بمرارة بطشك لم تكن شيئا ، وإن العسل الحقيقى هو نداك وجودك ، لا ما يسميه الناس « عسلا » ، لأن حلاوته لاتذكر مع نوالك ، وإذاً فلا يعرف حقيقة « الصاب والعسل » إلا من ذاق مرارة بطشك ، وحلاوة جودك ، ومن لم يذقهما فلا

---

(١) البيت لمجنون ليلى .

علم له بهما ، فإن كان شخص لم يذقهما عرف حقيقة الصاب والعسل ، فيدى رهن لمن شاء إذا دلنى عليه .

وجه النقد : أن هذا المعنى لا يفهم إلا بتقدير محذوف هو « إن كان مَنْ » قبل « لم يذق » ، وهو حذف غير جائز ، ويوقع فى الحيرة والارتباك

قال قائل : إن رواية الشيخ(١) : « من يذق » ، وعليها فلا تعقيد ، ولا حذف ، وهو قول مردود لوجهين :

١ — أن رواية « الموازنة ، والوساطة(٢) » : لم يذق ، وما فى نسخة « أسرار البلاغة » ليس رواية ، بل تصحيح من بعض من لم يفهم البيت(٣) ، والا فما بال الشيخ يسوقه مثلا للتعقيد اذا كان الأمر على مازعم القائل ؟!

٢ — أن « مَن » لا تلائم قوله : « يدى رهن » كما يشهد الذوق ، ثم إنه يريد حصر الصاب والعسل فى بطشه وجوده ، و « مَن » لا تفيد ذلك .

شرح أبيات التمثيل : قال المتنبى .

فلو كان النساءُ كمن فقدنا ... لفُضلتِ النساءُ على الرجال

فما التأنيث لاسم الشمس عيبٌ ... ولا التذكير فخرٌ للهلال (٤)

---

(١) ص ١٢١ أسرار .

(٢) ص ٧٤ والألفاظ الناقصة هناك هى : « إن كان » ومن المؤكد أن لفظ « من » سقط فى طبعتها .

(٣) بدليل ان رواية دلائل الاعجاز ص ٦٦ « لم يذق » .

(٤) رواية الديوان ص ١٨ ج ٣ : « وما التأنيث » ، وفى بعض الروايات « كمثل هذى » ، ويشبه الأول قول على بن الجهم :

إذا ما عد مثلكم رجالا ... فما فضل الرجال على النساء

ومثل الثانى قول الشاعر :ـ

والشمس ليس بضائر تأنيثها ... وتزيد بالنور المنير على القمر

يقول : لو كان النساء مثلها فى الكمال والفضل، لكنّ أفضل من الرجال وذلك أن الصفات الشريفة شريفة بنفسها ، موجبة لشرف من قامت به ، لادخل للذكورة والأنوثة فى ذلك ، ورُبَّ أنثى يقصّر عنها الذكر ، ولا يبلغ مبلغها ، ومثّل لذلك بالشمس والقمر ، فان الفضل لها ، لا له ، لأنها مع تأنيثها أعم نوراً ، وأدوم ظهورا ، وأكثر نفعا ، والهلال مع تذكيره كثير التنقل ، يصيبه المحاق ، قيل : إن هذه حجة لم يسبق إليها المتنبي ، وفى هذه القصيدة يقول :

رأيتك فى الذين أرى ملوكاً كأنك مستقيمٌ فى مُحالِ

يشبهه بين الملوك بالمستقيم بين المعوجّات فى الامتياز بالفضل والاعتبار وقد انتقد بعض الشعراء هذا البيت أمام سيف الدولة ، فقال : إن «المحال» لايقابل «المستقيم» ، وإنما يقابله المعوج . فقال سيف الدولة : فما كنت تقول ؟ قال : كنت أقول :

كأنك مستقيمٌ فى اعوجاج

قال : فما تفعل فى البيت الذى يليه ؟ قال : كنت أقول :

فإنّ البيضَ بعضُ دَمِ الدّجاجِ (١)

فقال سيف الدولة : هذه بديهة حسنة ، ولكن مثل هذا لايمدح به الملوك ، إنما يباع فى سوق الطير .

وقال النابغة الذبيانى :

فإنك كالليلِ الذى هو مدركى وإن خلتُ أنّ المنتأى عنك واسع

---

(١) الدجاج بفتح الدال وكسرها .

أراد النابغة أن يصور سطوة « النعمان » وأنه لا يفوته هارب ، فشبهه بالليل الذى يعم الأرض ، ولا يخلو منه مكان ، وهو تمثيل بارع ، يصور مقصوده أتم تصوير ، والتشبيه بالليل واقع موقعه ، لا يقوم مقامه التشبيه بالنهار — وإن كان مثله يعم الكون — لأن المقام مقام خوف ورهبة ، وسخط وغضب ، والليل يشعر بذلك دون النهار .

ولكى تزداد بصيرة ، تأمل قول العباس بن الأحنف(١)

نعمةٌ كالشمسِ لما طلعتْ ... بثَّتِ الإشراقَ فى كلِّ بلدْ

فإنه يقصد ما يقصده النابغة من تعميم الأقطار ، والوصول إلى كل مكان لكن لما كانت النعمة تسر وتؤنس مثل لها بالشمس لدلالتها على ذلك ، ولو أنه شبهها بالليل ووصوله إلى كل مكان لكان قد أخطأ خطأ فاحشا .

وقد يقال : إن « الموت » أدل على الرهبة من الليل مع عمومه ، فهل يقوم مقام « الليل » ؟

والجواب : أنه لا يحسن مواجهة الممدوح بتشبيهه بالموت ، فإن ذلك مما تشمئز منه النفس ، وإنما حسن قولهم : « هو حياة لأوليائه ، موت لأعدائه » لاقترانه بالحياة .

وأيضا : وقت الموت غير معلوم ، وقد يبطىء ويتأخر ، فلا يدل على سرعة البطش ، ووشك الأخذ ، وهو مما قصد من التشبيه بالليل .

---

(١) هو أبو الفضل العباس بن الأحنف بن الأسود الحنفى اليمامى ، أحد الشعراء الظرفاء الذين اشتهروا بالنوادر ، ولقد كان جميلا فأحب الجمال ، وقصر شعره على تصويره فى محبوبته « فوز » فأبدع أيما إبداع ، ورق لفظه وسلست عباراته وراقت معانيه ، ولم يؤثر عنه غير الغزل توفى سنة ١٩٢ أو سنة ١٩٣ هـ .

وقال النابغة أيضاً :

فإنك شمسٌ ، والملوك كواكب إذا طلعت لم يبدُ منهن كوكبُ

يشبهه فى أنه بذّ الملوك فى القوة والسلطان حتى لا سلطان لهم مع سلطانه بالشمس فى ظهورها على الكواكب بشدة ضوئها ، فلا يبدو شىء منها عند ظهورها ، كأنها لا وجود لها ، ووجه الشبه : الامتياز الظاهر فى كلّ على غيره

وقال البحترى :

ضحوكٌ إلى الأبطالِ ، وهو يروعهم وللسيفِ حد حين يسطو ورونق

يشبهه وهو يفزع الأبطال بسطوته ضاحك السن ، متهلل الوجه ، بالسيف حين يسطو ، له حد صارم فتاك ، وله مع ذلك رونق وماء(١) وبهاء

وقال امرؤ القيس :

وقد أغتدِى الطيرُ فى وكُناتِها بمنجردٍ قيدِ الأوابدِ هيكلِ (٢)

يشبه فرسه فى أنه لا يفلت منه صيد ، بالقيد الذى يمنع من الإفلات ، وهو أول من شبه الفرس بالقيد ، وتبعه الشعراء .

وقال قطرىّ بن الفجاءة :

لا يركنَنْ أحد إلى الإحجام يوم الوغى متخوّفاً لحمامِ (٣)

فلقد أرانى للرماح دريئةً من عن يمينى مرةً وأمامى (٤)

---

(١) ماء السيف تلألؤه وصفاؤه.

(٢) تقدم شرحه ص ١٢٠.

(٣) الوغى : بالتحريك وبسكون الغين ــ الصوت والضجيج ، والمراد يوم الحرب لما فيها من أصوات ، والحمام ــ بكسر الحاء ــ قضاء الموت وقدره.

(٤) الدريئة : الحلقة ، يتعلم الطعن والرمى عليها ، وكل ما استتر به عن الصيد لئلا يفلت .

حتى خضبتُ بما تحدَّر من دمى ... أكناف سرجى أو عِنان لجامى(١)

ثم انثنيتُ وقد أصبتُ ولم أُصبْ ... جذعَ البصيرة ، قارحَ الإقدامِ

يقول : لا ينبغى لأحد أن يحجم عن منازلة الأعداء خوفا من الحمام ، فان لكل أجل كتابا ، فها أنذا خضت المعارك ، ورأيتنى فى كثير منها هدفا للرماح من كل جانب ، يسيل دمى غزيراً ، يخضب سرجى ولجامى ، ثم انصرفت حيا لم أقتل ، وقد قتلت خلقاً كثيراً . انصرفت من الحروب ذا بصيرة وفكر لم يتضعضع ، ولم يختلط من الأهوال ، وإقدام قوى ، فى صبر واحتمال .

« التمثيل » فى قوله : « جذع البصيرة قارح الإقدام »

فان الجذع ، والقارح ، من أوصاف الحيوان ، فقد شبه بصيرته فى قوتها ، وعدم اختلاطها من أهوال الحرب بالجذع ، وهو الفتى الحديث السن ، وشبه إقدامه بالقارح ، وهو الذى بلغ غاية قوته من ذى الحافر ، كالبازل من الابل . الذى يضرب به المثل فى القوة ، كما قال(٢)

وابن اللَّبونِ إذا مالُزَّ فى قرَنٍ ... لم يستطع صولة البزْلِ القناعيس(٣)

---

(١) الأكناف جمع كنف ـ كشجر ـ : وهو الجانب والناحية كالكنفة ـ محركة ـ .

(٢) البيت لجرير

(٣) ابن اللبون : ولد الناقة إذا استكمل العام الثانى أو إذا دخل فى الثالث ، وهى ابنة اللبون ، ولز : لزا ولززا ـ : شد ، والقرن ـ بالتحريك ـ الحبل الذى يقرن به البعيران ، والبزل : جمع بازل وبزول ، ـ للمذكر والمؤنث والجمع كركع وكتب وقواعد ، ولعل التسكين هنا للضرورة ، وفعله من باب قعد ـ وهو من طلع نابه ، ولا يكون ذلك إلا إذا دخل فى التاسعة من عمره ، والقناعيس : جمع قنعاس ـ كمفتاح ـ : العظيم من الابل ، والشديد المنيع من الرجال .

ودُل على كلا التشبيهين بإثبات لازم المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة بالكناية

قيل . كان من حق « قطرى » أن يعكس فيصف البصيرة بالقروح ، والإقدام بأنه جذع ، لأن الشاب أكثر إقداما ، والكبير السن أكثر تجربة ، وأقوى بصيرة ؟

ثم أخذوا يجيبون ، فمن قائل : إن فى الكلام قلبا . ومن قائل : إن معنى « لم أصب » : لم ألف ، ولم أوجد ، جذع البصيرة ، قارح الاقدام ، بل وجدت بالعكس .

وعندى : أن الاعتراض لا أصل له ، لأنه لم يرد بتشبيه بصيرته بالجذع التجربة والحنكة ، بل عدم الاختلاط والتزلزل من الهول ، وبقاءها سليمة والجذع أدل على ذلك ، ولم يرد من التشبيه بالقارح الاندفاع والتهوّر ، بل الصبر والاحتمال ، والخبرة بشؤون القتال ، والقارح أدل عليه .

وأما تفسير « لم أصب » بلم ألف ، ولم أوجد ، فهو مخالف لصريح الأبيات ، على ما شرحنا .

* * *

عودُ الى عمل « التمثيل » فى الجمع بين المختلفات ، المؤيد لحاجته إلى الفكر

قدم الشيخ أنواعاً مختلفة من طرائف التمثيل فى هذا الأمر كانت كافية بما قصد إليه ، ولكنه عاد هنا يذكر أمثلة أخرى ، أخذ الشبه فيها للشىء مما يخالفه :

١ — أن يكون المشبه به شخصا يملأ المكان ، والمشبه معنى لا يتعدى الأفهام . وهذا هو تشبيه المعقول بالمحسوس ، وقد سبقت أمثلته .

٢ — أن يكون المشبه به إنسانا يعقل ، والمشبه جماد أو موات ، مثاله

وله تعالى « فقالَ لها ولِلأرْضِ . إئتِيا طوْعاً أوْ كرْهاً قالتا: أتيْنا طائِعين » فقد شبهت السموات والارض . فى انقيادهما لأمر الله ، ونفاذ إرادته فيهما بمأمور مطيع ، مع آمر مطاع . ووجه الشبه : تحصيل المراد من غير توقف ولا اعتراض ، ثم استعيرت ألفاظ المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التمثيلية .

ومن هذا ماسبق من أمثلة إنطاق الأخرس ، وإثبات الحياة للجماد، ومن الأمثلة قول المتنبي :

وزائِرتى كأن بها حياءً فليس تزور إلا فى الظلامِ

وقول الآخر فى وصف روض :

نزلنا دوْحه فحنا علينا حنوَّ المرْضِعاتِ على الفطيم (١)

---

(١) هذا واحد من خمسة أبيات مشهورة فى كتب الأدب ، اختلف الناس فى قائلها . فالمشارقة ينسبونها لأبى نصر أحمد بن يوسف المنازى الكاتب الشاعر ، ووزير أحمد بن مروان الكردى صاحب ميارفاقين وديار بكر ، ذكر ابن خلكان : أنه مر بوادى « بزاعا » - بضم الباء - وهى قرية من حلب، فأعجبه ما فيه من عيون ومساقط مياه ومناظر خلابة - راجع ص ١٦٢ ج ٢ معجم البلدان - فقال هذه الأبيات ، وقد توفى المنازى سنة ٤٣٧ هـ ، سنة ١٠٤٥ م وذهب المغاربة إلى أنها لحمدة أو حمدونة بنت زياد بن تقى العوفى ، إحدى الأديبات الشاعرات المتعففات مع وفرة المال والجمال والاختلاط بالرجال ، كان أبوها مؤدبا فعلقت الأدب ونبغت فى الشعر حتى اشتهرت بخنساء المغرب ، وقد غالى أبو جعفر الغرناطى المعروف بالرعينى فزعم أنها كانت تروى لحمدونة قبل أن يخلق المنازى !! ونقل ياقوت والمقرى ما زعم فيما نقلاه فخدع به بعض الناس ، كمؤلف شاعرات العرب ، وكالأستاذ عبد الرزاق حميدة المدرس بدار العلوم فى كتابه « فى الأدب المقارن ص ٢ ، ٢١ » إذ رجح أنها لحمدونة لأمور منها كلام الرعينى ، وأن شخصية المرأة فيها أقوى من شخصية الرجل ، نظراً لذكر الرضاع والحنو إلخ ، والصحيح أن الأبيات للمنازى ، لأن ابن خلكان رواها له دون ترديد، أما بقية الكتب فنسبتها أولا إلى المنازى ، ثم قالت : وتنسب لحمدونة ، ولأن طباع المرأة وحنانها تذكر =

ومن عكس ذلك ، وهو تشبيه العاقل بما لا يعقل قول الحطيئة(١) في بخيل :

كدحت بأظفاري وأعملت مِعْوَلِي ... فصادفت جلمودا من الصخر أملسا(٢)

فانه يشبه حاله ، وقد بذل كل حيلة ليحصل على شيء من هذا البخيل فلم يبؤ إلا بالخيبة ، بحال رجل أعمل معوله وأظفاره باحثا عن الماء فصادف حجراً أملس ، لا يعمل فيه معول ، ولا يرجى منه ماء ؛ ووجه الشبه : خيبة الرجاء بعد مكابدة العناء :

٣ – أن يكون المشبه به : الشمس ، والمشبه : معنى كلام ، مثل حجة كالشمس .

= دائما في الشعر الوصفي كما في قطعة ابن الرومي التي أولها .

وقيان كأنها أمهات ... عاطفات على بنيها حواني

والذي يكذب كلام الرعيني أن حمدونة توفيت سنة ٦٠٠ هـ ، سنة ١٢٠٤ م أي إنها متأخرة عن المنازي في الوفاة بـ ١٦٣ عاما ، وهذا أمر لم يفطن اليه أحد من الباحثين في هذا ، ولقد ترجم المقري – بعد ترجمته لحمدونة – لعائشة بنت أحمد القرطبية المتوفاة سنة ٤٠٠ هـ ، وذكر أنها دخلت على المظفر بن المنصور بن أبي عامر ، ولهذا سبق نظر بعض الاساتذة إلى هذا الكلام فظنه في شأن حمدونة ، واعتقد أنها توفيت سنة ٤٠٠ هـ ، وسبحان من تفرد بالكمال ، راجع تفاصيل ما تقدم وترجمتي المنازي وحمدونة في : معجم الادباء ص ٢٧٤ ج ١٠ ، ووفيات الاعيان ص ٣١٢ ج ١ « دار المأمون » ، والاعلام ص ٨٦ ، ١٧١ ج ١ ، والوافي بالوفيات قسم ٢ ج ٤ ، ونفح الطيب ص ٤٩١ ، ٤٩٢ ج ٢ « الطبعة الأولى » ، وشاعرات العرب ص ٢١٤ ، وغيرها .

(١) هو الشاعر المخضرم الخبيث اللسان ، أبو مليكة جرول بن أوس بن ثابت بن مالك العبسي ، أسلم ولم يدخل الايمان شغاف قلبه ، فلم يقوم عوج لسانه ، وظل يهجو حياته حتى أدخله عمر السجن ثم أطلقه بعد رجاء ، ويعد شعره في الطبقة الاولى من الجودة ، توفي سنة ٣٠ هـ ، سنة ٦٥٠ م .

(٢) كدح : كد وسعى وعمل لنفسه ، والمعول – كمنبر – : الحديدة التي ينقر بها الجبل ونحوه والجلمود – بضم الجيم – : الصخر ، كالجلد – بوزن جعفر – .

٤ — أن يكون المشبه به : روحا ، يحيا به الجسد ، والمشبه : مكرمة تؤثر وتحمد ، كما قال عمر بن لجأ التيمى(١) ، فى مدح آل المهلب بن أبى صفرة(٢) :

آلُ المهلَّبِ قومٌ خولوا شرفاً ... ما حازه عربىٌّ ، لا ، ولا كادا
لو قيل للمجدِ : حدْ عنهم وخلِّهم ... بما احتكمت من الدُّنيا ، لما حادا
إن المكارم أرواح يكون لها ... آل المهلَّب دون الناسِ أجسادا

شبه المكارم تحل فى آل المهلب ، بالأرواح تحل فى الأجساد ، ووجه الشبه : حلول كلٍّ فيما لا غنى له عنه ، ولا قيام له إلا به ، وهو تشبيه مبنى على التركيب — وإن كان ظاهره التفريق — فإنه لا معنى لتشبيه آل المهلب بالأجساد استقلالا .

ونظير هذا فى وجوب اعتبار التركيب قول المتنبي :

كأن الهامَ فى الهيجا عيونٌ ... وقد طبِعت سيوفك من رُقاد

شبه السيوف فى حلولها بالهام ، بالرقاد فى حلوله بالعيون ، ووجه الشبه : حلول كلٍّ فيما لا يحل إلا فيه .

---

(١) هو عمر بن لجأ — محركة — بن جدير بن معاذ بن ربيعة ، وينتهى نسبه إلى تيم بن عبد مناة وتفصيل نسبه فى جمهرة الأنساب ص ١٨٧ ، ص ١٨٩ ، وفى القاموس أنه عمر بن الاشعث بن لجأ ، فقال : ووهم الجوهرى ، والواهم فى الواقع صاحب القاموس فأن جميع كتب الادب والانساب ذكرت أن لجأ أبوه ، كما أجمعت على أن اسمه « عمر » إلا الشعر والشعراء ص ١٦١ ففيه أنه « عمرو » ولعله تحريف — ، وعلى أنه تيمى ، إلا الشيخ أحمد المراغى فنسبه إلى تميم « ص ١٧٢ هامش » ، وهو سهو قطعاً ، وعمر : شاعر أموى كان بينه وبين جرير مهاجاة عنيفة .

(٢) هو ظالم بن سراق الازدى أحد الفرسان الاجواد ، والابطال القواد ، وهو الذى قهر الخوارج وقضى على ثورتهم ضد الامويين ، توفى سنة ٨٣ هـ ، سنة ٧٠٢ م .

٥ — أن يكون المشبه : رجلا يروم العدو تصغيره ، فيأبى فضله إلا ظهوراً ، وقدره إلا سموا ؛ والمشبه به : نار تصوب وهى تعلو ، وتخفض وهى ترتفع ، كقول ابن الرومى :

ثم حاولتَ بالمثيقيل تصغيـ ـرى ، فما زدْتنى سوى التعظيم
كالذى طأطأ الشِّهاب ليخفى وهو أدنى له إلى التضريم

كان المخاطب بهذا الكلام قد أغرى بابن الرومى شاعراً هجاء ، خبيث اللسان ، يسمى : « مِثقالا »(١) ليهجوه . فلم ينل ذلك من ابن الرومى ، ولا غض من شأنه ، فيقول لمخاطبه إنك فى محاولاتك هذه شبيه بمن ينكس الشعلة ليخفى ضوءها ، ووجه الشبه : أن كلا يحاول إخفاء شىء ظاهر بطريقة تؤدى إلى عكس مراده .

متى يكون الجمع بين المختلفات مقبولا ؟

لا ينبغى أن يظن ظان أن كل جمع بين المختلفات يكون مقبولا بلا شرط ولا قيد ، فإنه إنما يكون مقبولا ، مؤثراً فى النفس بشرط أن يصيب المشبه - أى الآتى بالتشبيه بين المختلفين - شبهاً صحيحاً ، وملاءمة معقولة ، وائتلافا حسناً . أما الاعتساف ، وتصوير الشبه حيث لا يمكن أن يتصور فليس بمقبول ، ولا مستحسن ، لأن ذلك يكون بمنزلة أن يضع الصائغ

(١) هو منقال الواسطى ، واسمه محمد بن يعقوب ، وكنيته أبو جعفر ، كان يقيم فى بغداد ، وكان شعره قليلا ، وكله هجاء وفحش ، وقد هاجى ابن الرومى ، وابن الجبازة الضرير ، وهو غير المثقال عبد الوهاب بن محمد الازدى الهجاء الماجن ، وترجمة الواسطى فى معجم الشعراء ص ٤٤٧ ، والازدى فى فوات الوفيات ص ٢٤ قسم ثانى ، والاعلام ص ٦١١ .

شكلا بين شكلين لا يلائمانه ، فتخرج الصورة مضطربة ، تنبو عنها العين ، ويمجها الذوق السليم .

ليس معنى التشبيه : أن تضع حرف التشبيه بين أمرين ، أو تستعير أحدهما للآخر من غير ملاءمة ، ولا اتفاق !!

إنما حقيقة التشبيه : أن ترى شيئين شبها ، فتبين هذا الشبه الموجود ، فاذا تظهر ؟ وما الذى تبين ؟

وليس معنى الحِذْق فى إيجاد الائتلاف بين المختلفات ، وطرافة الجمع بين المتنافرات . أنك تخترع مشابهة لا وجود لها ، بل معنى ذلك . أن هناك مشابهات موجودة ، لكنها كانت خفية ، يدق المسلك إليها ، فإذا تغلغل فكرك إليها فأدركها ، دل ذلك على حذقك ، وصفاء ذهنك .

إن التمثيلات الكثيرة التى ذكرت فيما مضى ، لم يكن لطفها وحسنها ، لأن قائلها قد اخترع بينها شبها لم يكن موجوداً ، بل لأن الشبه كان موجوداً ثابتاً ، ولكنه كان خفياً لا ينجلى إلا بتأمل ، فأدركه المشبه وجلاه .

وهاك مثالا جديداً من التشبيه غير التمثيلى ، قول ابن المعتز :

وكأن البرق مصحف قارٍ فانطباقاً مرَّةً وانفتاحا(١)

وجه الحذق فيه : أنه نظر إلى البرق فوجد له أوصافا كثيرة ، من اللمع والإشراق ، وسرعة الزوال ، فلم يعن بذلك وأشباهه ، وإنما عنى بالهيئة التى تراها العين من انبساط يعقبه انقباض ، وتوالى ذلك وتتابعه ، أعنى أنه عنى بهيئة الحركة مجردة عن غيرها من الشكل واللون ، وأراد أن يجد لهذه الهيئة نظيرا يشبهها به ، فأخذ يفكر فيما عرض له من هيئات الحركة وما

---

(٢) قار : اسم فاعل من قرأ ، مخفف قرأ .

شاهده منها ، فاهتدى إلى ما يفعله القارىء إذاجعل يفتح المصحف ويطبقه مرة بعد أخرى . فليس الإعجاب بهذا التشبيه لأن الشيئين مختلفان فى الجنس فقط ، بل لأنه حصل مع شدة الاختلاف شدة ائتلاف .

حكاية عدىّ بن الرّقاع (١) مع جرير : روى الأصمعى (٢) عن أبى عمرو بن العلاء (٣) ، أن جريرا قال له : أنشدنى (٤) عـــدى بن الرقاع قصيدته :

عرف الدّيارَ توهّـماً فاعتادها من بعْـد ما شمـل البلى أبْلادها(٥)

فقلت فى نفسى : ركب والله مركبا صعبا سيبدع فيه ، فما زال يتخلص من حسن إلى حسن حتى قال :

---

(١) هو عدى بن زيد بن مالك بن عدى بن الرقاع بن عصر بن شغل بن معاوية ابن عاملة قال ابن حزم : وهى امرأة من قضاعة نسب اليها معاوية والزهد ـ بالتحريك ـ ابنا الحارث بن عدى المنتهى نسبه إلى كهلان بن سبأ : وقال فى موضع آخر : « ويقال إنه من معاوية بن قاسط بن هنب ـ كرثم ـ المنتهى نسبه إلى ربيعة بن نزار » ، وسائر الكاتبين على الاول ، وقال ابن قتيبة : « إن عاملة حى من قضاعة » ولا تنافى بين الكلامين ، راجع ترجمته وهذه القصة فى المؤتلف ص ١١٦ ، معجم الشعراء ص ٢٥٣ والاغانى ص ٣٠٧ ج ٨ « طبع الدار » . والكامل مع رغبة الآمل ص ٤٨ ج ٧ . وجمهرة الانساب ص ٢٨٣ ، ٣٩٤ ، والشعر والشعراء ص ١٤٥ « الطبعة الاولى »

(٢) عبد الملك بن قريب القيسى الراوية والاديب المشهور توفى سنة ٢١٤ أو ٢١٦ هـ .

(٣) اسمه زبان بن العلاء بن عمار بن عبد الله بن الحصين التميمى المازنى . أستاذ النحاة والادباء . توفى سنة ١٥٤ أو ١٥٩ .

(٤) هكذا فى أسرار البلاغة ص ١٣٢ ، وهو خطأ ، لان عديا كان ينشد القصيدة أمام الوليد بن عبد الملك كما نص على ذلك المبرد وغيره .

(٥) أبلادها : آثارها . مفردها : بلد ـ بالتحريك ـ

* تزْجى أغنَّ كأنَّ إبرةَ روْقهِ (١) *

فرحمته ، وقلت فى نفسى : قد وقع ، ما عساه يقول وهو أعرابى جلف جاف ؟ !! فلما قال :

* قلم أصَابَ منَ الدَّواة مدادهَا *

حسدته . اهـ .

ما كانت رحمة جرير لعدى ، وإشفاقه عليه إلاَّ لأنه أتى بمشبه لا يحضر له شبيه فى أول الفكر ، فلما أتم التشبيه على أحسن وجه ، ووجده قد ظفر بمشبَّه به لم يكن يخطر على بال جرير أنه يهتدى إليه ،لأنه جلف -كما يقول- كان الحسد والغيرة ، إذ كان مع شدة مباينته للمشبه فى الجنس متفقا معه أحسن اتفاق فى الوصف ، فكلاهما أسود ، دقيق الطرف ، على شكل معين وأين قرن الظبى من القلم ؟ !!

أبيات الخليل(٢) :

كفَّاكَ لم تُخلقا للنَّدى ... ولم يكُ بُخلُهُما بدعهْ

فكفٌّ عن الخير مقبوضة ... كما نقصت مائة سبعهْ

وكف ثلاثة آلافِهَا ... وتسع مِئيهَا لها منعَهْ

يريد كفك اليمنى مقبوضة عن الخير ، كأنها قبضت لتدل على (٩٣) ،

---

(١) أزجى وزجا ، وزجى : ساق ودفع ، وظبى أغن : يخرج صوته من خياشيمه والروق . القرن ، وإبرته : طرفه .

(٢) هو أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدى الأزدى إمام النحاة وأستاذ سيبويه ومخترع العروض توفى سنة ١٦٩ أو ١٧٠ أو ١٧٥ هـ (والاوسط أشهر) و٧٨٦ م وقد رويت الابيات فى اللسان مع بعض خلاف فى الالفاظ

بأن تقبض الخنصر والبنصر والوسطى والسبابة ، وتضع الإبهام على ظهر السبابة ، وكفك اليسرى مقبوضة كذلك ، كأنها قبضت لتدل على (٣٩٠٠) وذلك بأن تقبض الخنصر والبنصر والوسطى والسبابة ، وتحلق عليها بالإبهام ، وهذا اصطلاح قد هجر ولا معنى لتحقيقه الآن (١) . ووجه الشبه . لازم هذا القبض ، وهو عدم القدرة على الإعطاء ، ولذلك كان هذا التشبيه « تمثيلا » .

ووجه الإبداع : أنه أراك شكلا واحداً فى اليدين المشبه بهما مع اختلاف العددين ، فلما وجد الاتفاق كأحسن ما يكون فى الشكل مع الاختلاف كأبلغ مايكون فى العدد كان بديعاً ، ولكلٍّ رأيه .

قال الشيخ : « ومما ينظر إلى هذا الفصل ويداخله : الجنس الذى . . . الخ »(٢) أراد بهذا الفصل : الجمع بين الأمرين المختلفين ، لما بينهما معه شبه صحيح ، وملاءمة معقولة ، وأراد بالجنس الناظر : تصوير الفعل بصورة ضده ، والتعبير عنه باسم ذلك الضد ، لأن الفعل الأول كان سببا لضده ، أى أنه ترتب لديه ما يترتب على ضده ، فاشتركا فى الأثر ، فصح استعارة ضده له ، مثال ذلك :

١ — أن يشى بك واش ، فتكون وشايته سببا فى نيلك خيراً لم تكن تتوقعه ، فتصور إساءته بصورة الإحسان ، لأنه قد ترتب عليها مايترتب عليه وتعبر عن هذه الإساءة بالاحسان ، فتقول : أحسن فلان إلى بوشايته .

---

(١) شرحه المرحوم الشيخ رشيد رضا بهامش ص ١٣٣ من أسرار البلاغة . ونقل عباراته نفسها الشيخ أحمد المراغى هامش ص ١٧٨ من طبعته .

(٢) ص ١٣٤ من أسرار البلاغة

٢ — أن تطلب من رجل معونة ، فلا يعطيك شيئاً ، ويحثك على العمل فتضطر إلى أن تعمل فتستغني ، فتقول مصورا بخله بالجود ، ـ لأنه ترتب عليه غناك ـ : جاد على حين منعني .

٣ ـ أن ينيل والد ولده كل رغباته ، فيكون ذلك سببا فى خيبته ، فيصور الولد إحسان والده إليه بصورة الإساءة ، لأنه قد ترتب عليه ما يترتب عليها ، ويعبر عنه باسمها ، فيقول : أساء إلى من حيث قصد الإحسان ، ويحضرني مثال جيد فى هذا المعنى هو قول أبي تمام :

قد ينعم الله بالبلوى ، وإن عظمتْ ويبتلى اللهُ بعض القوم بالنّعم

يشبه الابتلاء بالبلوى التي ـ تكون سبباً فى فوائد كثيرة لمن ابتلى بها ـ بالإنعام ، بجامع أن كلا يترتب عليه أمر محمود ، ثم يستعار الإنعام للابتلاء ثم يشتق منه . ينعم ، بمعنى : يبتلى ببلاء فيه خير ونفع .

ويشبه الأنعام بالنعم ـ التي تكون سبباً فى أمور مكروهة ـ بالابتلاء ، بجامع أن كلا له أثر غير محمود ، ثم يستعار الابتلاء للانعام ، ويشتق منه : يبتلى ، بمعنى : ينعم بنعم يترتب عليها أمور مكروهة .

ففى كلا الاستعارتين تصوير المعنى بصورة ضده .

تنبيه : معنى قول الشيخ : « إذا لم يقنع بالتشاغل بالعبارة الظاهرة ، والطريقة المألوفة » : أن الكلام إنما يكون من قبيل التمثيل والاستعارة إذا سلك المتكلم الطريقة التي شرحناها فيما سبق . أما إذا لم يفعل ذلك ، وأدى المعنى بعبارة تفيده بظاهرها ، من غير تصوير شيء بشيء ، كأن يقول : وشى بى فلان ، فكانت وشايته سببا فى نفعى ؛ وبخل على فلان ، فكان بخله سببا فى غناى ؛ وأحسن إلىّ والدى ، فكان إحسانه سببا فى فسادى ؛ وقد

يبتلي الله قوماً ببلاء ، فيكون فيه نفع لهم ، وقد ينعم عليهم بنعم فيكون فيها فسادهم . نقول: إذا سلك المتكلم هذه الطريقة ، لم يكن في الكلام تمثيل ولا استعارة ، وهو ظاهر جداً . ومعنى قوله : « ينظر إلى هذا الفصل ويداخله » : أنه من جنسه ، ومرتبط به .

هذا وقد مثل الشيخ لتصوير الإساءة بصورة الإحسان ، بقول أبي العتاهية(١) :

جُزِي البخيلُ عليَّ صالحةً عنِّي لِخفَّته على ظهري
أعلى وأكرمَ عن يديه يدي فعلتْ ونزَّه قدرُه قدري
ورُزِقت من جدواه عافيةً ألا يضيقُ بشكرِه صدري
وغنيتُ خلواً من تفضله أحنو عليه بأحسن العذر
ما فاتني خير امرئٍ وضعت عنّي يداه مئونة الشُّكر

وليس فيها تعبير عن فعل مذموم بضده ، وكل ما يمكن أن يقال : إنه صوَّر البخيل عليه بصورة المحسن إليه ، وشبهه به ، ودل على ذلك بالدعاء له ، لأنه لم يثقل ظهره بالإحسان إليه ، ولأنه أبقى يد الشاعر أرفع من يده ، وقدره أعلى من قدره ، وإن حرمه من جدواه ، فقد عافاه من أن يضيق بشكره صدره .. الخ

ومثل لذلك أيضاً بقول ابن الرومي :

---

(١) هو أبو إسحاق إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان العنزي ولاء ، شاعر عباسي مشهور بغزارة الشعر وسهولته ، ولد سنة ١٣٠ هـ ، ٧٤٨ م ، ونشأ خليعاً ماجناً ، ثم درس كتب الفلسفة والحكمة فتزهد وترك الشعر مدة ثم عاد إليه بعد أن سجنه الخليفة المهدي ، وأكثر شعره طائع ، توفي سنة ٢١١ هـ ، ٨٢٦ م

أعتقني سوءُ ما صنعتَ من الرّقّ فيا بَرْدَها على كبدي

فصرتُ عبداً للسُّوءِ فيك، وما أحسنَ سوءٌ قبلي إلى أحدِ

الرّقّ: كون الإنسان مملوكا لغيره، وهو حالة توجب عليه طاعته وخدمته، ولما كان المحسن يجعل من أحسن إليه فى حالة توجب شكره، وعرفان يده، شبهت هذه الحالة بالرق، فى إيجاب التعظيم، واستعير لها اسم الرق، ولذلك يقولون: فلان يسترقّ الأحرار بجوده، ويستعبدهم بإحسانه ولما ساء صنع المخاطب مع الشاعر أسقط عنه هذا الحق، فكان ذلك بمثابة إعتاقه من الرق، وهى استعارة أخرى، أو ترشيح لاستعارة الرق.

وليس فى هذين البيتين أيضا تعبير عن فعل بضده، ولكن يمكن أن يقال إنه صوّر السيء الصنع، بصورة الحسن الصنع، ودل على ذلك بأنه أعتقه من الرق، وبقوله:

* فيا بردها على كبدى *

فهو نداء تعجب، أى ما أبردها على كبدى. وهذه الأبيات غير ظاهرة فيما جيء بها مثلا له، ولعل أوضح منها قول الشاعر:

أعدْتَ يداه يدى، وشرّد جوده بخلى، فأفقرنى بما أغنانى

فقد صور «الإغناء» بصورة «الإفقار» واستعار له اسمه، لاشتراكهما فى الأثر، ولا تنس ما مثلنا به فيما مضى.

ملاحظة: قد يقال: إن الأمثلة التى ذكرتها ما عدا بيت أبى تمام، يمكن أن تكون من قبيل المجاز المرسل، من اطلاق اسم المسبب على السبب.

والجواب: أن ذلك جائز، ولكن اعتبار التمثيل أولى، وهو ما يقصد اليه الشيخ، وقد استثنيت بيت أبى تمام، لأن التمثيل فيه أشد ظهوراً: والله أعلم.

ملاحظة : يظهر بالتأمل أن الشيخ قد جعل التمثيل كله نوعا من التشبيه ممتازا ، وفنًّا بديعا ، بدليل ما أسبغه عليه من الصفات الرائعة عندما بين تأثيره ، ثم بين أسباب تأثيره وغرابته ، على ما شرحنا .

أما التشبيه غير التمثيلي ، فمنه الغريب النادر ، ومنه القريب المبتذل ، وسيبين ذلك فى الفصل التالى مع بيان سبب كل من القرب والبعد .

فأسباب تأثير التمثيل ، بمنزلة أسباب غرابة التشبيه غير التمثيلي ، بل كلٌّ من السبب الثانى والسبب الثالث من أسباب تأثير التمثيل ، هما من أسباب غرابة التشبيه غير التمثيلي أيضا ، كما أشرنا إلى ذلك فيما مضى ، وكما سيظهر فيما يأتى .

فالفصل التالى خاص بغير التمثيلي ، وما كتب فى عنوانه من أنه يجمع التشبيه والتمثيل جميعا(١) ، غير مطابق للواقع ، فإن جميع أمثلته وأمثلة الفصل الذى يتصل به ليس فيها شىء من التمثيل ، وأرجح أن العنوان من زيادة الطابع ، على أننا لو جعلناه شاملا للتمثيل ، لكان هناك تكرار يوقع فى الحيرة ، فإن بعض أسباب التأثير هو بعينه سبب الغرابة .

ولو قال قائل : ما الفرق بين أسباب التأثير وأسباب الغرابة فى التمثيل ؟ لما وجدنا لذلك جوابا شافيا إلا ما ذكرنا .

تنبيه : قد يخرج التمثيل عن سَنن الصواب ، ويُعدل به عن الجادة ، فيكون مذموما غير محمود ، ويكثر ذلك فى هزليات أبى نواس كقوله :

بُحَّ صوتُ المالِ مِمّا منكَ يشكو ويصيح

فإنك إذا وازنته بقول مسلم بن الوليد (٢) :

---

(١) ص ١٣٥ من أسرار البلاغة .

(٢) هو صريع الغوانى ، مسلم بن الوليد الأنصارى ، نشأ فى الكوفة ، وترنم بالشعر فى صغره حتى أجاد العزف على قيثارة فاتصل بالأمراء والخلفاء ، حتى طار ذكره =

تظلم المالُ والأعداءُ من يده لازال للمالِ والأعداءِ ظلاّما

وجدت الأول قبيحا مستكرها ، والثانى حسنا مقبولا ، مع أن الغرض فى كليهما واحد ، وهو الدلالة على أنه يُعمل فى ماله يد الجود حتى يفرقه فى العافين ، وتصوير المال بصورة الشاكى المتظلم ، لكن الأول جعل للمال صوتاً وصياحا ، حتى أنه بح من كثرة صراخه وذلك خروج عن الحد المقبول للاستعارة .

أما الثانى فلم يزد على أن المال يتظلم منه ، ثم ضم إلى المال الأعداء فى التظلم فسهل الأمر ، وقربت الاستعارة ، ولو اقتصر الأول على الشكوى لما عيب ، كما قال أبو العتاهية :

إنَّ المطايا تشتكيكَ لأنها قطعتْ إليك سَباسِباً ورِمالا(١)

ومن ذلك قول أبى نواس :

مالرِجلِ المالِ أضحتْ تشتكى منك الكلالا

وقول الشاعر (٢) :

عرَفناكَ أما كعبُ عِرْضكَ فى العُلا

فَعالٍ ، وأما خدُّ مالكَ أسفلُ

يريد أن يقول : إن عرضه مصون ، وماله مبذول فجعل للعرض كعبا

= واشتهر أمره ، فحصل على كثير من العطاء ، ولكنه كان متلافا ، ويعد مسلم من قادة الشعر وزعماء المدرسة البديعية - التى أفسدته بعد - فى عصره ، وشعره رقيق إلى حد بعيد ، وتوفى سنة ٢٠٧ ه .

(١) السبسب : المفازة ، أو الأرض المستوية البعيدة .

(٢) هو أبو تمام كما فى ديوانه ص ٢٤٤ .

وللمال خدا ، وهذه كلها استعارات بالكناية ، ووجه الشبه فيها عقلي ، ومثلنا بها اقتداءً بالشيخ في تمثيله ، كما بينا .

وقول الآخر :

ولولا علاهُ عشتُ دهري كُلَّه
وكيسُ كلامي لايُحَلُّ له عَقْدُ

وقول أبي تمام :

رقيقُ حواشي الحلمِ لوْ أنَّ حِلمَه
بكفّيكَ ما ماريتَ في أنه بُرْدُ

قالوا : هذا الذي أضحك الناس منذ سمعوه إلى هذا الوقت، فإن المعروف أن الحلم يوصف بالعظم والرجحان والثقل ولهم في ذلك شعر كثير ، ومنه قول الفرزدق :

أحلامنا تزنُ الجبال رَزانةً ... وتخالُنا جِنًّا إذا ما نجهلُ

فوصف الممدوح بالرقة: خارج عن العرف ، وقوله : «لو أن حلمه بكفيك» كلام في غاية السخافة ، ثم إن «البرد» لا يوصف بالرقة ، وإنما يوصف بالمتانة، وأبو تمام لا يجهل هذا ، ولكنه أراد أن يبتدع فوقع في الخطأ .

وقد يأتي في التشبيه الحسي أيضا الرديء السخيف ، فمن ذلك : أن مريضا سأل طبيبه عن مقدار ما يأخذه من الدواء ، فقال له : خذ مثل بعرة ، فأتى بلفظة قذرة ، لم يتبين بها المراد ، فإن البعر يتفاوت بين بعرة الظبي ، وبعرة الشاة ، وبعرة الجمل :

ومنه قول الشاعر (١) :

---

(١) هو كثير عزة

ألا إنما ليلى عصا خيزرانة ... إذا غمزوها بالأكف تلين

وقد جاءت الكراهة من لفظ «العصا». حكى(١) أن بشاراً حين سمع هذا، قال: قاتل الله أبا صخر، زعم أنها «عصا»، ثم اعتذر بأن جعلها «عصا خيزرانة»، ولو أنه جعلها عصا زبد، أو عصا مخ لكان قبيحا(٢). ألا قال كما قلت؟:

ودعجاء المحاجر(٣) من معدّ ... كأن حديثها قطع الجنان(٤)

إذا قامت لحاجتها(٥) تثنت ... كأن عظامها من خيزران

ومن قبيح التشبيه قول بعضهم:

أنتَ كالكلبِ في احتفاظك بالو ... د، وكالثور في احتمالِ الخطوبِ(٦)

ولا يخفف من شناعته ذكر وجه الشبه. ولنكتف بذلك فهو معروف مشهور.

---

(١) راجع القصة في «المختار من شعر بشار» ص ٣٤، زهر الآداب ص ٥٢ ج ١. والموشح ص ١٥٦، والكامل ص ١١ . ج ٧ مع رغبة الآمل

(٢) عبارة الموشح: لكان قد أساء، وفي الكامل والمختار: لكان قد هجنها بالعصا، وبذكر العصا، على الترتيب، وفي زهر الآداب: لكان قد هجن مع ذكر العصا

(٣) في رواية: وبيضاء المحاجر وفي أخرى: وبيضاء المدامع، وفي ثالثة: وحوراء المدامع، وما هنا رواية زهر الآداب، والدعج - بالتحريك - شدة سواد العين مع اتساعها، والمحجر — بفتح الجيم وكسرها — ما دار حول العين، أو ما ظهر منها، أو من النقاب.

(٤) في رواية: ثمر الجنان.

(٥) هذه رواية الحصري، وفي الكامل والموشح: لسبحتها، وفي المختار: لمشيتها وما هنا أجود، والسبحة — بضم السين — صلاة النافلة.

(٦) ينسب هذا البيت لعلي بن الجهم الشاعر العباسي المتوفى سنة ٢٤٩هـ، ٨٦٣م والرواية التي أحفظها.

أنت كالكلب في حفاظك للود ... د وكالتيس في قراع الخطوب

تنبيـــه : جريت فى تقرير الاستعارة بالـكناية فيما سبق على ماذهب إليه صاحب الإيضاح(١) ، من أنها : التشبيه المضمر فى النفس ، المدلول عليه بإثبات لازم المشبه به للمشبه ، وطريقة هذا الإجراء ـ كما تكرر كثيرا ـ : أن نقول : شبهنا كذا بكذا ، بجامع كذا ، ودللنا على هذا التشبيه بإثبات لازم المشبه به ـ وهو كذا ـ للمشبه ، على طريق الاستعارة بالـكناية ، وإثبات هذا اللازم استعارة تخييلية .

أما على ماذهب إليه الجمهور ، من أنها : لفظ المشبه به ، المستعار للمشبه المحذوف المـدلول عليه بذكر لازمه ، فطريقة إجرائها أن يقال : شبه كذا بكذا ، بجامع كذا ، ثم حذفنا المشبه به بعد استعارته للمشبه ، ودللنا عليـه بذكر لازمه ، على طريق الاستعارة بالـكناية ، وإثبات هـذا اللازم للمشبه استعارة تخييلية .

وإنما سلـكت هـذا المسلك ، لأن رأى الخطيب هو الراجح ، الموافق لما يؤخذ من كلام الشيخ ، ولما تدل عليه أمثلة الاستعارة بالـكناية .

ولم أعرض فى بعض المواضع لذكر التخييلية ، لاتفاق الطرفين على أنها إثبات لازم المشبه به للمشبه ، فظننت أن ذلك كالبدهى ، على أنى كنت معنيا فى تقريرى ببيان أن الـكلام استعارة مكنية لاتشبيه ، فليتنبه .

التشبيه القريب والغريب

عقد الشيخ هذا الفصل(٢) لبيان الفرق بين التشبيه القريب أو المبتذل أو العامى ، والتشبيه الغريب أو النادر أو الخاصى ، فبين ضابط الغريب ومنه يعلم ضابط القريب ، فبضدها تتميز الأشياء ، وقد ذكر أمثلة لـكل من الضربين ، ثم أخذ فى بيان أسباب القرب أو البعد ، وفصل ذلك تفصيلا

---

(١) راجع ص ١٣٥ ج ٣ من بغية الايضاح

(٢) ص ١٣٥ وما بعدها من أسرار البلاغة .

وافيا ، وأكثر من التمثيل ، وعقد الموازنات لإيضاح مقصوده ، وسنعرض لكل ذلك بالتفصيل ، متوخين تنسيق الموضوع ، ووضع كل شيء في موضعه

التشبيه الغريب ، هو : مالا ينتقل فيه من المشبه إلى المشبه به إلا بعد تلبث وتذكر ، وفكر للنفس في الصور التي تعرفها ، لأن وجه الشبه في المشبه به مما لا ينزع إليه الخاطر ، ولا يقع في الوهم عند بديهة النظر إلى المشبه .

والتشبيه القريب ، هو : ماينتقل فيه من المشبه إلى المشبه به من غير حاجة إلى تلبث وتذكر ، لأن وجه الشبه في المشبه به مما يسرع حضوره إلى الخاطر عند أول النظر إلى المشبه .

سبب القرب والبعد :

بنى الشيخ غرابة التشبيه على بطء حضور المشبه به ، وقربه على سرعة حضوره ، وذكر لكل منهما سببين ، وسماهما : عبرتين ، لأنهما أمران يعتبران لمعرفة السرعة والبطء . وهاك إجمال ماذكره :

سبب سرعة حضور المشبه به ، وقرب التشبيه . أمران :

١ — أن يكون وجه الشبه مُجملاً لا تفصيل فيه .

٢ — كثرة تكرار المشبه به على الحواس .

وسبب بطء حضور المشبه به ، وغرابة التشبيه . أمران :

١ ـ أن يكون في الوجه تفصيل بأحد الأوجه الثلاثة الآتية :

ا ـ ملاحظة خصوصية في الوصف .

ب ـ النظر في أكثر من وصف لأخذ ماله دخل في التشبيه ، ونفي مالا دخل له فيه .

حـ ـ النظر في أكثر من وصف لاعتباره في التشبيه .

٢ - قلة تكراره على الحواس .

وسنبين ذلك فنقول :

السبب الأول من أسباب قرب التشبيه : أن يكون القصد إلى الاشتراك فى الوصف من جهة الجملة بحيث لايشوبه شىء من التفصيل ، نحو أن كلا الأمرين أسود ، أو أحمر أو طويل ، أو ذكى الرائحة .

والسبب الأول من أسباب بعد التشبيه : وبطء حضور المشبه به : أن يكون فى الوصف الذى يراد إشراك الطرفين فيه شىء من التفصيل يحتاج إلى دقة ملاحظة ، وزيادة تأمل ، والتفصيل كما يأتى يختلف ويتفاوت كثرة وقلة ، وتتفاوت تبعا لذلك حاجته إلى الفكر والروّية ، وكلما كان التفصيل أدق وأكثر ، كان التشبيه أبعد وأغرب .

والعبرة فى ذلك وسره : أنا نعلم أن الجملة أسبق إلى النفس من التفصيل ، فإنك ترى بالنظرة الأولى الوصف مجملا ، ثم تدرك التفاصيل عند إعادة النظر وإنعامه ، ولذلك قالوا : النظرة الأولى حمقاء . لأن الحكم المبنى عليها قلما يكون صائبا ، وقالوا لمن يصف الشىء على غير حقيقته : لم ينعم النظر ، ولم يستقص التأمل ، وذلك دليل على أن تفاصيل الشىء لاتدرك إلا بعد تأمل ، وكذلك سائر الحواس ، فإنك تدرك من تفصيل الصوت والطعم والملموس فى المرة الثانية مالم تدركه فى المرة الأولى ، وبإدراك التفاصيل يقع التفاضل بين راءٍ وراءٍ ، وسامع وسامع ، أما الجمل فتستوى فيها الأقدام .

وكذلك فى المعقولات ، تجد الجملة هى التى تسبق إلى الأوهام ، وتقع فى الخواطر ، والتفاصيل مغمورة بينها ، لاتحصل إلا بعد إعمال الروية ، والاستعانة بالتذكر ، وتتفاوت الحاجة إلى الفكر بحسب مرتبة الوصف

من حد الجملة والتفصيل ، فكلما كان أوغل فى التفصيل ، كانت الحاجة إلى التوقف أمسّ .

ضروب التفصيل :

هى على ماذهب إليه الشيخ ثلاثة ـ أجملناها سابقا ـ وهذا تفصيلها :

١ ـ الضرب الأول : ملاحظة خصوصية فى الوصف الذى يراد الإشراك فيه ، توجد فى بعض أفراد جنسه دون بعض . وذلك ألا يكون معك إلا وصف واحد ، ولكنك لاتكتفى بأن تمر عليه مجملا ، بل تفصّل ، بأن تنظر إلى خاصة فيه ، تكون هى نكتة التشبيه ، والمقصود بالذات منه .

بيان ذلك : أن تشبه شيئا بآخر فى الحمرة ، فلا تكتفى بأن تمر على جملة الحمرة وجنسها ، بل تقصد إلى خاصيةفيها ، مثل كونها رقيقة ناصعة ، أو تشبه شيئا بآخر فى السواد فلا تمر عليه مجملا ، بل تفصل ، فتقصد إلى كونه براقا لامعا . أو أن تشبه صوتا بآخر ، فلا تكتفى بأن كلا منهما صوت مسموع بل تفصل ، بأن تنظر إلى أنه صوت له جرس خاص ، ونغمة معينة ، وهكذا

ولاشك أن إدراك الخواص لايحصل بداهة ، بل يحتاج إلى تأن وتمهل وكلما دقت الخصوصية ، ازداد اقتضاؤها للفكر ، وقوة الذهن ، واختص بها الزكى دون الغبىّ .

وهاك أمثلة توضح الفرق بين الجملة والتفصيل من هذه الناحيه .

قال أبو الفرج الببّغاء(١) فى أرمد(٢) :

---

(١) هو عبدالواحد بن نصر بن محمد المخزومى الشاعر المشهور ، مدح سيف‌الدولة والوزير المهلبى وسواهما ، وتوفى سنة ٣٩٨هـ ، ١٠٠٨م .وله ترجمة فى اليتيمةص ٢٠٠ج١

(٢) أى مصاب بمرض الرمد .

غدتْ عيْنهَ كالجمْرِ حتى كأنما سقى عيْنهُ منْ ماء توْريده الخدُّ

وقال الامير تميم بن المعز(١) :

ناوَلتْهـا شِبهُ خدّهـا مشَعْشَعةً
صِرْفاً كأنَّ سَناها ضَوْءُ مِقْباسِ (٢)

وقال ابن المعتز :

غِلالة خدّهِ وردٌ جنيٌّ ونونُ الصُّدغِ معجمةٌ بخالِ (٣)

* * *

وكأنهنَّ غصون بانٍ ناعِمٍ يحملنَ تفاحا علىَ الوجناتِ

وقال ذو الرُّمَّة :

وسِقْطٍ كعين الديكِ عاوَرْتُ صاحبي
أباهـا وهيّـأنا لموقعهـا وكرآ (٤)

---

(١) يعرف التاريخ الأدبي رجلين بهذا الاسم ، اولهما أبو على تميم بن المعز ابن المنصور بن القائم بن المهدى الفاطمى ، وإلى أبيه تنسب القاهرة المعزية لأنه الذى بناها ، وكان تميم — كما يقول ابن خلكان — شاعرا ماهرا لطيفا ظريفا ، ولم يل أمر مصر لأن ولاية العهد كانت لأخيه العزيز ، وقد توفى سنة ٣٧٤ هـ ، الثانى أبو يحيى تميم بن المعز ابن باديس الصنهاجى أحد ملوك الدولة الصنهاجية بافريقية ، ملك ٤٦ عاما وعشرة شهور ، ومدحه كثير من الشعراء ، وعلى رأسهم ابن رشيق القيروانى ، وكان أبو يحيى شاعرا مجيدا ، وهو الذى يقال عنه فى كتب الأدب « الأمير تميم » ، والأول صاحب بيتنا هذا ، وقد توفى الثانى سنة ٥٠١ هـ ، ١١٠٨ م وترجمتهما فى وفيات الأعيان ج ٣ من ص ٨١ — ١٢٢ والثانى ترجمة فى الأعلام ص ١٦٦ ج ١ .

(٢) المشعشعة : الخفيفة ، الصرف : الخالصة ، والسنى : الضوء ، والمقباس : شعلة تؤخذ من معظم النار كالقبس .

(٣) الغلالة — بالكسر — شعار يوضع تحت الثوب كالقمصان الرقيقة ، والمراد هنا صفحة الخد ، والصدغ : مابين العين والاذن ، والشعر المتدلى عليه . ونونه : هى هذا الشعر الملتوى إلى أعلى بعد إرسال كحرف النون . والخال : شامة تظهر على البدن

(٤) السقط — مثلثة السين — : شبه الشرر الذى يخرج من الزند حين يورى . وأبوها

قصد هؤلاء الشعراء جميعاً ـ فى تشبيه العين بالجمر ، والخمر بالخد ، والخد بالورد والتفاح ، والسقط بعين الديك ـ إلى اشتراك طرفى التشبيه فى الحمرة ، ولكن نظرهم إليها مختلف ، فالأول ـ فى تشبيه عين الأرمد بالجمر ـ ، والثانى ـ فى تشبيه الخمر بالخد ـ ، قدمرا على وصف الحمرة مجملا من غير نظر إلى خصوصية ما فلم يرد الأول أن حمرة العين متوهجة ، ولم يرد الثانى أن حمرة الخمر من نوع حمرة الخد ولذلك كان تشبيههما قريبا .

أما تشبيه الخد بالورد فى البيت الثالث ، وبالتفاح فى الرابع ، فلم يقتصر الشاعران فيهما على مجرد الحمرة ، بل نظرا إلى خصوص وتفصيل ، وهو مافى حمرة الورد والتفاح من رقة وصفاء ، ونوعية خاصة ، بها حصل التوافق التام بينهما وبين الخد ، وهذا مما يحتاج إدراكه إلى إعادة النظر ، فكان فى هذين التشبيهين شىء من الغرابة .

وأما تشبيه سقط النار بعين الديك ، فلم يقصدفيه إلى جنس الحمرة مجملا ، بل قصد إلى مافى عينه من تفصيل وخصوص ، ومن امتياز حمرتها على كل حمرة ، لاتقوى العبارة على بيانه ، بل يعرف بفضل التأمل ، وقوة الملاحظة ، ولهذا كان هذا التشبيه أدخل فى الغرابة من سابقه .

تنبيه : الخصوص والتفصيل ـ هنا ـ فى نفس حمرة « عين الديك » ولونها ، ليكون المثال من هذا الضرب . أما إذا لوحظ مع ذلك : الشكل الكرى ، والمقدار ، فإنه يكون من الضرب الثالث الآتى لملاحظة أكثر من وصف .

= هو العود الذى يحك أو يدم فى آخر لتخرج النار ، والاخر هو الام أو الانثى . والوكر ما توضع فيه النار لتتقد كالخشب والحطب ونحوهما . وفى رواية « نازعت » و « ملوضعها »

وقال ذو الرمة فى وصف ناقة :

كأنَّ على أنيابهـا كلَّ سُحْرة

صياحَ البوازى من صريف اللوائك(١)

وقال امرؤ القيس يصف ناقته :

كأنَّ صَليل المَرْوِ حين تشذُّها   صَليل زيوفٍ ينتقدْنَ بعبْقرا(٢)

كلا الشاعرين قصد إلى تشبيه صوت بصوت ، ولـكنهما لم يقصدا إليه مجملا ، بل نظر كل منهما إلى خصوصية فيه ، لاتدرك إلا بتأمل .

فالأول : نظر إلى مافى صوت البوازى من نغمة خاصة ، وجرس معين جعله موافقا لصوت الناقة .

والثانى : نظر إلى مافى صوت الدراهم الزائفة حين نقدها من خصوصية جعلته موافقا لصوت الحجارة التى تقذفها الناقة فى سيرها .

لـكن نظرة الأول أدق وأعمق من نظرة الثانى ، لتمام المشابهة بها بين الطرفين ، ولأن صوت البازى قلما يسمع .

موازنة : بين قول تميم بن مقبل يصف فرسا :

وللفؤادِ وجيبٌ تحتَ أبهره   لدْمَ الغلامِ وراء الغيبِ بالحجر(٣)

---

(١) تقدم شرحه وتصحيح روايته ص ٨ وهامشها

(٢) الصليل : الصوت . والمرو : الحجارة البيض الرقيقة وتشذها : مضارع أشذ بمعنى نحى ، والزيوف : جمع زيف وزائف وهو المغشوش من النقد . وعبقر : موضع يزعم العرب أنه كثير الجن . وبلد مشهور بانتاج الثياب الجيلة .

(٣) الوجيب : خفقان القلب واضطرابه . والأبهر : هو الشريان الرئيسى الخارج من البطن الايسر فى القلب . وهو الذى يوزع الدم النقى على الجسم كله وتتفرع منه جميع الشراين فى كل أجزاء الجسم . وليس الابهر وريدا كما قد يفهم من القاموس لان الاوردة تأتى بالدم إلى القلب والشراين توزع الدم الصادر منه إلى الجسم — راجع كتب التشريح الطبى — واللدم : الضرب بشىء ثقيل يسمع وقعه . والغيب : ماغاب عنك .

وبين قول عمرو بن أحمر الباهلى (١) يصف قِدْراً :

لها لَغَطٌ جُنْحَ الظلامِ كأنه عجارِفُ غيثٍ رائحٍ متهزِّمِ (٢)

وقول أبى العتاهية يمدح الرشيد (٣) :

وزحفٍ له تحكى البروقَ سيوفه وتحكى الرُّعودَ القاصفاتِ حوافره (٤)

تشبيه دق القلب بدق الغلام بالحجر من وراء الحائط . وتشبيه لغط القدر وأزيزها بعجارف الغيث . وتشبيه وقع حوافر الخيل بالرعود القاصفة . كلها من تشبيه الصوت بالصوت ، لكن الثانى والثالث أرادا بتشبيههما الدلالة على شدة صوت القدر ، وقوة لغطها ، وشدة وقع حوافر الخيل ، وارتفاع صوتها ، وليست ملاحظة القوة والضعف فى الصوت مما يحتاج إلى فكر وتأمل ، ولذلك لا تعد هذه الملاحظة ، تفصيلا ، يعتد به ، ولا يتجاوز بها الأمر حد الجملة كبير تجاوز ، ولذلك يكون هذان التشبيهان من القريب المبتذل ومثله قولك إذا رأيت رجلا جاوز المعتاد فى ضخامته : إنه كالفيل أو الجمل فإن ذلك يحضرك حضور ما يعرف بالبديهة .

فإذا رجعنا إلى الشاعر الأول وجدنا حين شبه وجيب قلب الفرس بدق الغلام بالحجر من وراء حائط ، لم يقتصر على جملة الصوت ، ولم ينظر إلى قوة وضعف ، بل قصد إلى تفصيل دقيق ، هو ما فى صوت دق الغلام من

---

(١) هو عمرو بن أحمر بن العمرد بن عامر بن عبدشمس . شاعر مخضرم فصيح فاق شعراء عصره . وأسلم وحسن إسلامه ومات غازيا فى بلاد الروم سنة ٣٥ هـ . ٦٥٥ م أيام عثمان رضى الله عنه

(٢) اللغط ـ بسكون الغين وفتحها ـ : الصوت والجلبة أو أصوات مبهمة لا تفهم . وجنح الليل ـ بضم الجيم وكسرها ـ : الطائفة منه . وعجارف الغيث ـ كمجاريفه ، جمع عجروف أو عجروفة بضم الاول : شدائده .

(٣) هو الخليفة العباسى المشهور . هارون بن محمد المهدى بن المنصور أبى جعفر خامس الخلفاء العباسيين ولد سنة ١٤٩ هـ . ٧٦٦ م . وتوفى سنة ١٩٣ هـ . ٨٠٩ م

(٤) الزحف : الجيش

خاصة ، ونغمة معينة ، ووقع فى السمع مخصوص ، بها حصل التشابه بين الطرفين ، وتم التوافق ؛ وذلك يحتاج ـ بلا مراء ـ إلى لطف الملاحظة ، وحسن التأمل .

ملاحظة : هذا الضرب من التفصيل أهمله صاحب « الايضاح » كأنه لا يرى فى ملاحظة خواص الأوصاف ما يقضى بغرابة التشبيه ، أو يحقق معنى التفصيل ، إذ لم يزد الوجه بذلك على أنه وصف واحد .

وإنى أرى رأيه ، وأعتقد أن مافى بعض التشبيهات السابقة من غرابة راجع إلى السبب الآتى ، وهو قلة تكرر المشبه به على الحواس ؛ أما ما يتكرر عليها كتشبيه الخد بالورد ، أو التفاح ، فلا تفصيل فيه يعتد به ، ولا غرابة .

ملاحظة ثانية : هذا الضرب أيضاً لا يجعل التشبيه من قبيل المركب ، لأن ملاحظة الخصوصية لا تؤدى إلى ذلك ، إذ لم يزد الوجه بها على أن كلا من الطرفين أسود براق ، أو أحمر رقيق ، أو صوت مخصوص إلخ .

٢ ـ الضرب الثانى من ضروب التفصيل : أن يكون معك وصفان أو أوصاف فتنظر فيها ، وتفصل بعضها عن بعض ، وغرضك من ذلك : أن تختبر بعضها ـ وهو ماله دخل فى التشبيه ـ وتنفى بعضها ، وهو مالا دخل له فيه ، وما يكون وجوده قادحا فى حقيقته . وهاك موازنة توضح ذلك ، قال عنترة(١) ـ فى ورد بن حابس ، وقد قتل نضلة الأسدى ـ :

---

(١) هو عنترة بن عمرو بن شداد بن عمرو العبسى ، وقيل إن شداداً أبوه ، وقيل عمه ، والأول أصح ، وله فى ميدان البطولة فى الحرب والفحولة فى الشعر تاريخ حافل ، وقد أفاض عليه حبه لابنة عمه « عبلة » سلاسة التركيب ورقة العبارة وسمو المعنى فكان شعره نسيج وحده ، وقد قتله جبار بن عمرو بن عميرة بن ثعلبة الطائى ـ ويقال : اسمه المسكفف ـ ، وقيل اسم قاتله ابن غرزى الطائى ، والصحيح الأول ، بدليل قول جبار: =

يتابعُ لا يبتغي غـــيرَه   بأبيضَ كالقبسِ الملتهِبْ

معناه : يتابع وردٌ نضلة لا يبتغي غيره ، بسيف كالقبس . وقال امرؤ القيس :

حملتَ رُدينيًّا كأن سِنانه   سَنا لهبٍ لم يتصِلْ بدخانِ(١)

المشبه به فيهما شيء واحد وهو « شعلة النار » ، ولكن الثانى قصد إلى تفصيل لطيف لا يقع فى الوهم إلا بعد نظر فى حال كلٍّ من الطرفين .

فإن امرأ القيس استعرض فى نفسه أوصاف « الشعلة » شكلها ، ولونها ولمعانها ، واضطرابها ، ووجد كل ذلك يحقق الشبه ، ولكنه رأى شيئاً آخر يقدح فيه ويعيبه وهو ما فى رأس الشعلة من « الدخان » فإنه ليس له مايقابله فى رأس السنان ، فنفى اتصاله باللهب ، لكى يؤدى التشبيه كما هو على التحقيق

أما الأول فإنه لم يفعل ذلك ، بل اقتصر على ملاحظة تلك الأوصاف التى تحقق الشبه ، وألقى التشبيه مطلقا عن نفى ما يخلُّ به ، اعتمادا على حسن فهم السامع ، فكان التشبيه الثانى أبدع وأغرب من الأول .

ووجه الشبه فى كل منهما : الهيئة الحاصلة من اجتماع الشكل المخصوص مع الإشراق والاضطراب واللمعان .

وقال ابن المعتز فى الخمر :

= قتلت مجاشعا وقتلت عمرا   وعنترة الفوارس قد قتلت
فأن تجزع بنو عبس عليه   فأنى — لاوجدك — ماجزعت

وكان موته سنة ٢٢ ق هـ — ٦١٠ م

(١) الردينى : نسبة إلى « ردينة » وهى امرأة كانت تثقف الرماح مع زوجها سمهر — كجعفر — فنسبت إلى كل منهما ، ورواية أسرار البلاغة . « جمعت » والصحيح ما هنا

فجاءت بها فى كأسها ذهبيـة   لها حدقٌ لم تتصل بجفونِ (١)

شبه فقاقيع الخمر بالحدق ، فى الشكل واللون ، واستعار المشبه به للمشبه استعارة تصريحية أصلية . وقد نظر الشاعر إلى أوصاف العيون فوجد فيها شيئاً لا يوجد فى المشبه وهو ما يحيط بها من الجفون ، فنفى اتصالها بها تحقيقا للشبه ، فكان غريبا .

وقال أيضاً يصف بازى(٢) الصيد :

غدوْتُ فى ثوبٍ من الليلِ خلَقْ   بطارِحِ النظرة فى كلِّ فقِ (٣)
ذى منسرٍ أقنى إذا شكَّ خرَقْ   ومقلةٍ تصدُقه إذا رَمقْ (٤)
كأنه نرجِسةٌ بلا ورَقْ   تنشَبُ فى الدِّيباج حتى ينفتِقْ (٥)

يشبه فى الشطر الأول الليل ، وقد مزقته تباشير الصباح بالثوب الخلق الممزق ، ثم لما أراد تشبيه « عين البازى » بـ « النرجسة » نظر فى أوصافها

---

(١) فاعل جاءت يعود على « خمارة » المتقدمة فى قوله :

وخمارة تعنى المسيح بربها   طرقت وضوء الصبح غير مبين

والحدق – محركة – جمع حدقة ، وهى سواد العين ، كالحندوقة والحندقية – بضم الحاء فى الأولى ، وكسرها فى الثانية – ، وتجمع أيضا على أحداق ، وحداق – بكسر الحاء – ، والجفون جمع جفن – كأجفن وأجفان – ، وهو غطاء العين من أعلى وأسفل .

(٢) البازى – كالباز – نوع من الصقور ، جمعه بواز وبزاة وأبؤز ، وبؤوز وبيزان

(٣) الخلق : بالتحريك – البالى ، المذكر والمؤنث ، والفعل كنصر وكرم وسمع ، والمصدر خلق – بالتحريك – وخلوقة ، والأفق : بضمتين وكقفل ، الناحية .

(٤) المنسر – كمجلس ومنبر – : المنقار ، والأقنى : المرتفع الأعلى المحدودب الوسط ، وشك : دخل ، والمقلة : شحمة العين التى تجمع السواد والبياض ، أو هى السواد والبياض أو الحدقة ، ورمق : لحظ لحظاً خفيفا .

(٥) النرجسة : واحدة النرجس ونشب – كفرح – نشباً ونشوبا ونشبة – بضم النون فى الأخيرين – : لم ينفذ ، والديباج : غليظ الحرير .

فوجد فيها شكل العين دائرة بيضاء تحيط بدائرة أخرى مخالفة للونها ، ووجد شيئاً آخر لا نظير له فى العين وهو « الورق الأخضر » المحيط بها فنفاه تحقيقا للتشبيه ، ثم وجد عين البازى يحيط بها ريش ناعم منقوش ، فأراد أن يحقق ذلك فى المشبه به ، فوصف النرجسة بأنها نشبت فى الديباج حتى انخرق فبقيت هى فى وسطه وهو محيط بها .

وتقرير التشبيه هكذا : شبه عين البازى يحيط بها الريش المنقوش نقشا جميلا بنرجسة لا ورق لها ، يحيط بها ديباج منقوش كذلك ؛ ووجه الشبه : هو الهيئة الحاصـــله من اجتماع هذه الأوصاف . الشكل المستدير ، بين النقش الجميل .

وقال ابن المعتز :

تـكـتُـب أيدى المِزَاج فيه لنـا   مِيمات سطر بغيرِ تعريقِ(١)

الضمير فى « فيه » عائد إلى القدح فى البيت السابق(٢) ، شبّه الماء الذى تمزج به الخمر فى القدح بكاتب ، بجامع أن كلا يؤثّر نقشا ، ثم دل على هذا

---

(١) مزاج الشراب : ما يمزج به والميمات جمع ميم وهى الحرف المعروف ، والتعريق . إما من العرق ـ بالتحريك ـ وهو الصف من اللبن أو الآجر فى الحائط ، والمراد : فقاقيع مستديرة تشبه رؤوس الميمات دون امتدادها الذى يشبه الصف المذكور ، لان الامتداد خط مكون من نقط مرصوف بعضها بجانب البعض كما هو مقرر فى علم الهندسة ، وإما مصدر عرق الشراب كاعرقه ، بمعنى جعل فيه عرقا ـ بكسر العين ـ من الماء ، أى قليلا ، أومصدر عرق فى الدلو بمعنى جعل الماء فيها دون الملء .

والذى فى أسرار البلاغة ص ١٤٥ « فيه ايدى المزاج » والوزن صحيح هنا وهناك

(٢) هو قوله .

لاشىء يسلى همى سوى قدح   تدمى عليه أوداج إبريق

وفى تعليق الشيخ المراغى هامش ص ١٩٢ « الاباريق » وعليها ينكسر الوزن .

التشبيه بإثبات لازم المشبه به، وهو «تكتب» على طريق الاستعارة بالكناية، و «الأيدي» ترشيح، وشبه الفقاقيع التى تطفو بعد المزج بالميمات فى أن كلا دائرة، فيها بعض انتفاخ ورطوبة. ولكنه لم يرسل التشبيه مطلقا، بل فصل أوصاف الميم، فرأى فيها شيئا لامقابل له فى المشبه، وهو تعريقها - أى مدتها المتصله برأسها - فنفى اتصال التعريق برأس الميم، تحقيقا للأمر، فجاء تشبيها غريبا.

٣ — الضرب الثالث من ضروب التفصيل: أن تنظر فى وصفين أو أكثر، وتفصل فى نفسك بعضها عن بعض، لكى تعدها كلها فيما تقصد من التشبيه. فالشاعر حين شبه «الثريا» بعنقود ملاَّحية حين نور، لاحظ فى الثريا: الأنجم نفسها وشكلها، ولونها، وانتظامها على شكل مثلث، ثم طلب لذلك نظيراً فأصابه فى عنقود العنب حين يظهر نوره، فإن فيه أجراما صغاراً بيضاً مستديرة، مؤلفة على شكل مثلث أيضاً، ليست متلاصقة ولا متباعدة.

فقد نظر إلى هذه الأوصاف كلها، وفصلها واحداً واحداً، فى كل من المشبه والمشبه به، ولاحظها جميعاً، حتى لو فرضنا أن المشبه أو المشبه به لم يكن بهذه الصفات لم يكن التشبيه على ماوصفنا من الدقة.

وقد عد هذه الأوصاف نفسها من شبه «الثريا» باللجام المفضض فى البيت الآتى، أو بالوشاح المفصل فى قول امرىء القيس:

إذا ما الثُّرَيا فى السماء تعرضت
تعرُّضَ أثناء الوِشاحِ المفصلِ (١)

(١) الوشاح - بضم أوله وكسره - : كرسان - أى شريطان - من لؤلؤ وجوهر منظومان نظما متخالفا، ومعطوف أحدهما على الآخر، وأديم عريض مرصع بالجوهر تشده المرأة بين عاتقها وكشحيها، ويجمع على وشح - بضمتين - وأوشحة ووشائح.

تعرضت : مالت . وأثناء الوشاح : جوانبه ، جمع ثنى . والمفصّل : الذى فصل ما بين كل خرزتين فيه بلؤلؤة أو حبة فضة ، ولعلهم كانوا يحلون الوشاح واللجام بأجرام مستديرة بيض على شكل مثلث ، ليست متصلة ولا متباعدة ليتحقق التشبيه ، إذ لو فرض أنها كانت على سنن واحد طولا أو كانت متلاصقة بطل التشبيه .

وهذا التفصيل الكثير يحتاج إلى زيادة تأمل ، فيكون أغرب مما تفصيله أقل ، كتشبيه « الثريا » بالنور المفتح فى قول ابن المعتز .

كأن الثريا فى أواخر ليلها مفتح نور أو لجام مفضض(١)

فإنك إذا وازنته بتشبيهاتها السابقة تبين لك فضلها عليه بكثرة التفصيل ، فإن هذا الأخير لم يلاحظ أكثر من أنها أجرام صغار بيض مستديرة ، فلم يعتبر الشكل ، ولا الاجتماع .

هذا . وقد جاء البيت فى الكتاب غير تام ، لأنه اقتصر على محل الشاهد وليس ذلك من سهو المؤلف أو الناسخ ، فإن الشيخ قد عد التشبيه باللجام المفضض مما استقصى فيه أوصاف الثريا قبل ذلك بقليل .

السبب الثانى من أسباب سرعة حضور المشبه به ، وقرب التشبيه .

أن يقصد إشراك الطرفين فى وصف . أو صورة ، أو هيئة من شأنها أن يكثر مرورها على الحواس .

السبب الثانى من أسباب بطء حضور المشبه به ، وبعد التشبيه .

أن يكون الغرض الأشراك فيما يندر مروره على الحواس . فالتشبيه الذى يرجع إلى وصف لايرى أبداً : غريب ، نادر ، والذى يرجع إلى ما من

(١) رواية الاسرار وزهر الآداب ص٢٥ ج٢ « تفتح » ، والمناسب ماهنا ، كما فى معاهد التنصيص ص١٤١ ج١ ويكون من إضافة الصفة للموصوف ، وقبله :

ألا فاسقنيها والظلام مقوض ونجم الدجى فى لجة الليل يركض

شأنه أن يرى أبداً: قريب مبتذل، وتتفاضل التشبيهات التى تجىء وسطا بينهما فما كان أقرب إلى الأول فهو أعلى وأفضل، وما كان أقرب إلى الثانى كان أدنى وأنزل.

والعبرة فى ذلك وسره: أن كثرة دوران الشىء على العيون، وتردده على الحواس يقتضى حضوره فى الذهن، وثبوت صورته فى النفس، وأن قلة رؤيته، وكونه مما يُحَسُّ الفَيْنَةَ بعد الفينة، والحين بعد الحين، مما يجعله بعيداً عن الذهن، عرضة للنسيان، لأن الحواس هى التى تحفظ صورة الشىء على النفوس. وتجدد عهدها بها. ولذلك يقال: من غاب عن العين فقد غاب عن القلب. وكانت مدارسة العلوم وتكرارها على الأسماع سبب سلامتها من النسيان، وهذه أمثلة توضح ذلك:

أمثلة القريب من هذا الوجه:

قال أبو بكر الخالدى(١):

ياشبيه البـدر حسنا وضيـاء ومنـالا
وشبيه الغصن لينـا وقواماً واعتـدالا

(١) هو محمد بن هاشم بن وعلة بن عرام الخالدى اشتهر هو وأخوه أبو عثمان سعيد بالشعر والادب والتأليف، وهما من بنى عبد القيس، وكانا يشاركان فى نظم القصائد وتنسب اليهما، ونسبتهما إلى «الخالدية» إحدى قرى الموصل بالعراق وكانا من خواص سيف الدوله وتوليا خزانة كتبه، وقد تركا كثيراً من الشعر والمجاميع الادبية، توفى أبو بكر سنة ٣٨٠ هـ ٩٩٠ م، وأبو عثمان سنة ٤٠٠ هـ، ١٠١٠ م، وفى معجم الادباء أن اسم أبى عثمان سعد بن هاشم بن سعيد وأنه توفى سنة ٣٧١ هـ، وفى الاعلام «وعلة ابن عثمان»، وراجع أخبارهما فى الاعلام ص ٣٧٤، ٩٩٧ ومعجم الادباء ص ٢٠٨ ج ١١، واليتيمة ص ١٦٥ — ١٨٩ ج ٢، والفهرست ص ٢٤٠، وشرح الشريشى ص ٢٧٠ ج ١ وفوات الوفيات ص ٢١٨ ج ١ طبع بولاق، الوافى بالوفيات قسم ٢ ج ٤.

وقال ابن المعتز :

فكأن الروض وشى ٌ بالغت فيه التجار(١)

نقشه آس ونسريـ ـنٌ وورد ٌ وبهار ُ(٢)

ويشبهون « الشمس » بالمرآة المجلوة .

قال الشاعر :

بكل حسام كالعقيقة صارم ٍ إذا قدَّ لم يعلق بصفحته دم(٣)

وقال سبط ابن التعاويذى :

وكأن إيماض السيوف بوارق وعَجاجَ خيلهم سُحاب مظلم(٤)

فى كل هذه الأمثلة ترى المشبه به مما يكثر دورانه على العيون ، ويغلب حضوره فى الذهن عند حضور المشبه . من غير حاجة إلى تلبث وتوقف . فإنك إذا رأيت الوجه الجميل ، والقوام الأهيف حضرك البدر المنير ، والغصن المياد ، وإذا رأيت الروض مفترًّا عن أزهاره ، مبتسما عن أنواره حضرك الوشى المنمنم البديع الصنع ، المختلف الأصباغ ، وحينما ترى الشمس واستدارتها وضوءها ، تقع فى قلبك المرآة المجلوة ، وإذا نظرت إلى السيف عند سَلِّه ، وبريق متنه لم تحتج فى تشبيه بالعقيقة ـ وهى البرق المنشق ،

---

(١) وشى الثوب : نمنمه ونقشه وحسنه ، والتجار : ـ كرجال وعمال وصحب وكتب ـ جمع تاجر .

(٢) الآس : شجر ، واحدته آسة ، والنسرين ـ بكسر أوله ـ نوع من الورد ، والبهار ـ بفتح الباء ـ نبت طيب الرائحة .

(٣) العقيقة : ما يبقى فى السحاب من أشعة البرق ، ومثلها العقق بوزن صرد ، وتشبه بها السيوف فتسمى عقائق .

(٤) أومض البرق : لمع خفيفا كومض ، والبوارق : جمع بارق وهو السحاب الذى فيه برق والعجاج : الغبار

أى المنشق ـ الى كثير فكر ، وكذلك اذا رأيت العجاج والغبار المنعقد من حوافر الخيل فى كرّها وفرّها لم تلبث أن تشبهه بالسحاب المظلم .

فكل هذه التشبيهات من القريب المبتذل ، وما تراه فى بعضها من تفصيل كالاستدارة والاستنارة فى المرآة قد عارضه كثرة دورانها على العيون ، فلم ينهض هذا التفصيل القليل لإلحاقه بالغريب .

أمثلة الغريب من هذا الوجه :

والشمسُ كالمِرْآةِ فى كفّ الأشلّ(١)

لما بدتْ من خِدْرِها فوق الجبلْ(٢)

نسب هذا إلى غير واحد ، ورجحت(٣) نسبته الى جبار(٤) بن جزْء ، ابن أخى الشماخ(٥) ، وكان هذا غريبا ، لأن المرآة فى كف الأشل مما لا يرى

---

(١) قال مؤلف معاهد التنصيص ص ١٤٤ ج ١ : « واختلف فى قائله ، فقيل : الشماخ ، وقيل . ابن أخيه وقيل . أبو النجم ، وقيل : ابن المعتز » ، ثم ذكر كثيراً من المثل الشعرية فى هذا المعنى فراجعها إن شئت ، والصحيح أن البيت لجبار وأن الذى بعده هو قوله : « مقلدات القد يقرون الدغل » راجع القصيدة كلها فى ص ١٠٩ ـ ١١١ من ديوان الشماخ بشرح أحمد بن الامين الشنقيطى .

(٢) بعض الكتب يرويه « لما رأيتها بدت الخ » وهذا البيت لا يوجد فى الارجوزة السابقة .

(٣) الذى يقطع بأنه لجبار أن الزمخشرى نسب له أول هذه الارجوزة فى ص ١٢٢ ج ٢ من أساس البلاغة وإن كان الاسم قد حرف فذكر « حيان بن جزء بن ضرار »

(٤) راجع ترجمته فى ص ٩٨ من المؤتلف .

(٥) هو الشماخ بن ضرار بن حرملة بن صيفى بن أصرم الثعلبى الغطفانى المنتهى نسبه إلى ذبيان وفى سرد آبائه خلاف ، وقد سمى فى الشعر والشعراء والاعلام « معقلا » ، وهو شاعر ذو قدم راسخة فى الشعر خاصة وصف الحمر والقوس ، وكان يرجز على البديهة رجزاً مثاليا ، وقد أسلم وكانت له صحبة ، ثم شهد القادسية وتوفى فى غزوة موقان سنة ٢٢ هـ سنة ٦٤٣ م ، وأخباره فى كتب الصحابة والاغانى فى ص ١٠١ ج ٨ ، ومعجم البلدان ص ١٩٩ =

إلا نادرا، وقد يقضي المرء عمره ولا يراها كذلك. وفيه أيضاً تفصيل كثير يضاعف حاجته إلى الفكر، وسيبين في الفصل التالي.

وقال كشاجم (١):

أرِقت؟ أم نمت لضوءِ بارِقِ (٢) مؤتلقٍ مثل فؤادِ العاشِقِ
كأنه أصبَعُ كفِّ السّارقِ (٣)

هنا تشبيهان، الأول: تشبيه البرق بفؤاد العاشق في الائتلاق، وهذا تشبيه تمثيل، لأن الوصف المشترك ليس متحققا في الطرفين، بل هو في المشبه به على طريق التخيل والتأول، وذلك أن الغزلين يدّعون القسوة على من لم يعشق، ويقول شاعرهم – الأحوص – (٤):

= ج ٨، المؤتلف ٩٨، ١٣٨، خزانة الادب ص ٥٢٦ ج ١، والجمهرة ٣٢٠، الشعر والشعراء ص ٦٣ «أولى»، ٢٧٤ ج ١ بتحقيق شاكر وغيرها.

(١) هو أبو الفتح محمود بن الحسين بن شاهك أو شاهق السندي، أصله من الهند، وأقام في الرملة بفلسطين وقد برز في الكتابة والشعر والادب والتنجيم، وكان جوادا متلافا، وله من التأليف «أدب النديم» طبع في مصر سنة ١٢٩٨ هـ و «ديوان شعر» طبع في بيروت سنة ١٣١٣ هـ، وكتاب «البيزرة» في علم الصيد ومنه نسخة خطية في مكتبة غوطا، وتوفي سنة ٣٥٠ هـ.

(٢) سبق شرح البارق قريبا، هامش ص ١٦٨

(٣) في الاصبع عشر لغات ناشئة من أن الهمزة مثلثة الحركة، ومع كل حركة لها ثلاث حركات للباء والعاشرة أصبوع بضمهما، وهي مؤنثة وقد تذكر.

(٤) هو عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عاصم الانصاري الاوسي، شاعر هجاء ماجن قوي الشعر حسن الديباجة، وله نسيب رائق قدمه به حماد على الغزلين من شعراء عصره. توفي سنة ١٠٥ هـ، ٧٢٣ م وترجمته في الاغاني ص ٤٥ ج ٤، والشعر والشعراء ص ١٢٤ «أولى» والمؤتلف ٤٨ وخزانة الادب ٢٣٢ ج ١ وفي سائر كتب الادب كثير من اخباره.

إذا أنت لم تعشَقْ ، ولم تدْرِ ما الهوى

فكنْ حجراً من يابس الصخرِ جلمدَا(١)

ويتخيلون تلازما بين القسوة والسواد ، كما يتخيلون التلازم بين الأمور المكروهة والسواد ، فيصفون القلب القاسى ، واليوم المكروه ، بالسواد، قال أبو طالب الرَّقى :

ولقد ذكرْتُكِ والظلامُ كأنه يومُ النَّوى وفؤادُ منْ لم يعشَقِ

وبعكس ذلك يتخيلون قلب العاشق مؤتلقا مضيئاً لرقته ـ كما هنا ـ وليس هذا محل الشاهد .

الثانى : تشبيه البرق باصبع كف السارق ، فى سرعة الاختفاء .

وقد عده الشيخ غريبا ، لندرة رؤية المشبه به ، وهو موضع الشاهد .

قال ابن بابك :

ونضْنَضَ فى حِضْنَى « سَحائِلُ » بارقٍ

له جَـذْوةٌ فى زِبْرِجِ اللاذِ لامِعهْ

تبوَجَ فى أعلى السَّحابِ كأنه بنانُ يدٍ من كِلَّةِ اللاذِ ضارِعهْ(٢)

النضنضة : التحرك . والسحائل ، جمع سحيل وهو : الحبل على قوة واحدة ، وشبه بها خيوط ضوء البرق . والجذوة : القبسة من النار ، وأراد بها خفقة البرق . والزبرج : السحاب الرقيق الأحمر . وتبوج البرق : تكشف

(١) عشق : من باب علم . والمصدر كبِر ، وشجر ، والجلمد ـ بفتح أوله وثالثه ـ الصخر ، كالجلمود . بضم الأول والثالث

(٢) فى طبعتى أسرار البلاغة للشيخين رشيد والمراغى ص ١٣٦ ، ١٨٣ على الترتيب « تموج » والصحيح مافعل الأستاذ المؤلف ، أماما أثبتاه فتحريف ، وقد ذكر الشيخ المراغى أن « سحائل » بلد بالعراق ، ولم أر مايؤيد ذلك فى المعاجم .

وظهر . والكلة : (الناموسية) . واللاذ ، جمع لاذة وهى : ثوب من حرير أحمر .

لعل هذا الشاعر يصف يوما غائما من الأيام التى كانوا يستحبون فيها الشراب ، فذكر أن هذا اليوم كان ذا برق ، وأنه كان يحرك خيوطه وشعاعه فى حضنه أو حصنه ، وأن هذا البرق كانت له التهابة وخفقة لامعة فى السحاب الأحمر ، وأن البرق تبوّج فى السحاب كأنه يد بيضاء برزت من كلة حمراء مرفوعة الى السماء ، تضرع الى الله تعالى ، ووجه الشبه : صورة شىء أبيض منبسط من خلال شىء أحمر أكثر منه انبساطا .

وقال ابن المعتز :

وكأن البرقَ مُصحفُ قارٍ فانطباقاً مَرّةً وانفتاحا

شبه البرق فى انبساطه وانقباضه ، وتوالى ذلك ، وتتابعه ، وما يبدو عند انبساطه من بياض وائتلاق ، يزول عند انقباضه ، بالمصحف فى يد قارئ يوالى فتحه وإطباقه ، ووجه الشبه : صورة توالى انبساط يصحبه التماع وبياض ، ويعقبه انقباض واظلام .

وجاءت غرابة هذا التشبيه من أن هيئة المصحف هذه لا توجد إلا فى النادر ، وبعد عمدٍ من الإنسان ، وخروج عن العادة ، ومقصد خاص ، أو عيب غالب على النفس ، غير معتاد كمرض عصبى ، أو انفعال نفسى . ثم فيه من التفصيل ماذكرنا ، من تحرك إلى جهتين مختلفتين ، وانقباض وانبساط وضوء وإظلام ، فهو غريب من ناحيتين .

ملاحظة : اعتبرنا مع هيئة الحركة : اللون ، جريا وراء قول الشيخ هنا : « فى انبساطه وانقباضه ، والتماعه وائتلاقه » .

ولكنه فيما مضى ، وفيما يأتى نفى اعتبار الائتلاق ، وقصر التشبيه على

هيئة الحركة وحدها ، مجردة عن غيرها من أوصاف الجسم ، وما هنا أولى .

وقال ابن المعتز أيضاً فى وصف خط مُحَـَلًّى بالشكل(١) :

فدونكهُ موشًّى نمنمَتْه وحاكتْهُ الأناملُ أىَّ حوْكْ
بِشكلٍ يدفعُ الإشكالَ عنه كأنَّ سُطورَه أغصانُ شوْكِ

يشبه هذا الخط بالثوب الموشى المنقوش ، ويدل على هذا التشبيه بإثبات لازم المشبه به ـ وهو « التوشية » ـ للمشبه على طريق الاستعارة بالكناية، والإثبات المذكور تخييلية .

ولك أن تشبه تحليته بالشكل ، بالتوشية ، بجامع ما فى كلٍّ من نقش بديع ، ثم تستعير التوشية للتحلية ، ثم تشتق منها « موشى » بمعنى محلى بالشكل استعارة تبعية تصريحية . ومعنى « نمنمته » : نقشته . وحاكته : نسجته . كل ذلك ترشيح للاستعارة يزيدها قوة .

والشاهد : تشبيه سطور الكتاب بأغصان الشوك ؛ ووجه الشبه: الاتحاد فى الهيئة ، فإن صورة الشكل حول السطور ، وما فى بعض الحروف من امتداد إلى أعلى أو إلى أسفل ، يشبه صورة الشوك حول الغُصْنِ .

وهذا التشبيه غريب ، لأن أغصان الشوك ، وإن كانت مما يُرى كثيراً فإن حضورها فى الذهن عند حضور الخط نادر لتباعدهما فى الجنس ، فهو فى حاجة إلى تأمل كثير ، هذا إلى ما فيه من التفصيل الذى بيَّنَّا .

وقد عاب بعضهم هذا التشبيه ، لأنه لا يرفع من شأن الخط .

---

(١) يروى البيتان هكذا .

وذى نُكت موشى نمنمته وحاكته الأنامل أى حوك
بلفظ يأخذ الحرف المحلى كأن سطوره أغصان شوك

وقد ذكر الثانى بهذه الرواية فى أسرار البلاغة ص ١٣٦ ، ويروى « بشكل يرفع الخ »

وقال أبو بكر الصَّنَوْبرى(١) :

وكأنَّ محمرَّ الشَّقِـ ... ـقِ إذا تصوَّبَ أو تصعَّدْ(٢)

أعلامُ ياقوتٍ نشِرْ ... نَ على رماحٍ مِن زَبَرْجَدْ(٣)

شبه زهر الشقيق الأحمر، على سوقه الخضر، تصوبه الريح، وتميله تارة، وتصعده وترفعه أخرى، بأعلام من الياقوت، منشورة على رماح من الزبرجد الأخضر، ووجه الشبه: صورة شيء أحمر، منبسط على شيء أخضر، والمشبه به مما لا يرى أبدا، لأنه لا تحقق له فى الوجود، وإنما هو أمر متخيل، ولذلك يكون أشد غرابة.

وفيه أيضاً تفصيل، ونظر إلى أكثر من وصف.

وقال أبو طالب الرقى :

وكأنَّ أجرامَ النُّجومِ لوامعاً ... دُرَرٌ نُثِرْنَ على بساطٍ أزرقِ(٤)

شبه النجوم مؤتلقات، مفترقات فى أديم السماء، بدُرَرٍ منثور على بساط أزرق، ووجه الشبه: هيئة أجرام صغار، بيض متلألئة، على صفحة شيء منبسط أزرق.

---

(١) هو الشاعر الرقيق أحمد بن محمد الطيبى الحلبى المتوفى سنة ٣٣٤ هـ، سنة ٩٤٥ م وله ترجمة فى فوات الوفيات ص ٦١ ج ١

(٢) الشقيق : هو النبت الأحمر المعروف بشقائق النعمان، وأفرد فى الشعر للضرورة لأنه لاواحد له بل يستعمل للمفرد والجمع بلفظ « شقائق » وقيل واحده شقيقه، ويعرف أيضاً فى اللغة : بالشقر ـ ككتف ـ والواحدة : شقرة ـ كفرحة ـ راجع المصباح والقاموس والتصوب : الانحدار من أعلى إلى أسفل كالصوب والاصابة، والتصعد : الانحدار إلى أعلى كالأصعاد، وتصوب النبات وتصعده : تمايله بفعل الريح .

(٣) الياقوت نوع من الجواهر معروف، أجوده الأحمر الرمانى، وهو معرب، والزبرجد، من الجواهر المعروفة أيضا .

(٤) تقدم البيت والتعريف بقائله ص ٤٠

وجاءت الغرابة هنا من أن المشبه به يقل وجوده ، ولما فيه أيضا من تفصيل .

ملاحظة : قد يجتمع فى التشبيه الواحد سبب القرب ، وسبب البعد ، فمن أى النوعين يعدّ حينئذ ؟

الجواب : أن قلة التكرار على الحواس ، وندرةَ (١) حضور المشبه به - مطلقا ، أو عند حضور المشبه - تقضى بغرابة التشبيه مطلقا ، سواء أكان الوجه مجملا ، أم فيه تفصيل ، للحاجة إلى الفكر .

أما التفصيل ، فإن كان كثيراً ، اقتضى غرابة التشبيه مطلقا أيضاً ، سواء كثر مرور المشبه به على الحواس أم قل ، لحاجة كثرة التفصيل إلى زيادة .

أما التفصيل القليل فلا يقتضى غرابة التشبيه إلا إذا لم يعارضه كثرة التكرار على الحواس ، فإن عارضته فالحكم لها ، والتشبيه قريب ، لأداء كثرة التكرار إلى سرعة الحضور فى الذهن .

تنبيه : ظهر مما سبق أن التفصيل لا يقتضى تركب الوجه ، ولا الطرفين ، فإن ملاحظة خصوصيته فى الجنس لا تقتضى تركب الوجه ، كتشبيه سقط النار بعين الديك .

وتركُّبُ الوجه لا يقتضى تركب الطرفين ، كتشبيه الثريا بالعنقود - فيما مر - والسيف بالقبس ، فى الهيئة الحاصلة من : الشكل ، والإشراق ، والاضطراب .

لكن تركب الطرفين أو أحدهما يقتضى تركب الوجه ، ولذلك يقول الشيخ : إن التفصيل يكون أكثر وأظهر وأقوى ، إذا كان كل من الطرفين

---

(١) يقال : لقيته ندرة وفى الندرة ، بفتح النون وسكون الدال ، وندرى وفى ندرى وفى الندرى بالتحريك فيها - أى بين الأيام .

مركبا من أمرين أو أكثر ، وذلك ضربان :

أحدهما . أن يكون المشبه به صورة مؤلفة من أمرين أو أكثر ، لكنها مما اخترعه الخيال على مثال المشبه ، ولا وجود لها فى الأعيان ، مثال ذلك قول أبى بكر الصنوبرى :

وكأنَّ مُحمرَّ الشَّقيق ... ... البيتين

وتشبيه ابن المعتز « النرجس » بمداهن در حشوهن عقيق ، فإن المشبه به فيهما أمرٌ متخيل ، لا يتعدى الذهن ، إذ لم تجر العادة باتخاذ هيئة العَلَم من الياقوت والزبرجد ، ولا بصنع المداهن من الدر ، وحشوها بالعقيق ، وهو فى كليهما مركب ، والتفصيل واضح جداً ، فقد اعتبر فى الأول هيئة الأعلام ، وأن تكون من الياقوت ، وأن تنشر على رماح من زبرجد ، وفى الثانى أن يؤلف الدر على شكل المداهن ، وأن يكون معه عقيق ، وأن يكون العقيق فى الحشو ، وقول بعضهم(١) :

كأنَّما باسِطُ اليدِ نحوَ نيلوفَرٍ ند(٢)
كدَبابيس عسْجَدٍ قضْبها مِنْ زبرْجَدِ

النيلوفر ، بفتح النون(٣) : نبات مائى ، له زهر يطفو على سطح الماء ،

---

(١) هو : أبو بكر الصنوبرى أو ابن المعتز .

(٢) فى رواية « نينوفر » وهما متحدان وزنا ومعنى وضبطا .

(٣) الأولى ، وبفتح اللام أو النون الثانية ، وضمهما ، ومن أجود الشعر فى وصفه ، قول أبى بكر الصولى :

ونيلوفر يحكى لنا المسك طيبه تراه على اللذات أفضل مسعد
قداحتى خوف الحادثات بجنة تروق كثوب الراهب المتعبد
تركب كالكاسات فى ذهبية على قضب مخضرة كالزبرجد

راجع بقية القصيدة فى زهر الاداب ص ٢٢٦ ج ٢

وسيقانه خضر مستطيلة كالأنابيب ، شبه أزهاره الصفر على سوقها الخضر بدبابيس ـ ذات رأس كُرِّى ، من العسجد ـ أى الذهب ـ وقضبها من الزبرجد الأخضر ، والمشبه به متخيل ، إذ لا تصنع الدبابيس هكذا ، وفيه التفصيل الذى ذكرنا : رأس مستدير أصفر ، على قصب مستطيل أخضر .

الثانى : أن يكون المشبه به هيئة مؤلفة من أمرين أو أكثر ، لكنها تكون موجودة فى الأعيان كقول ابن المعتز :

غدا والصبح تحت الليل بادٍ ... كطِرْف أشهبٍ مُلقِ الجلال(١)

لايقصد ابن المعتز تشبيه الصبح بالفرس الأشهب ، والليل بالجُلّ ، ليكون التشبيه متعدداً ، بل أراد تشبيه الهيئة الحاصلة من مجموع الصبح والليل إذا تأملتهما ـ وهى هيئة اختلاط البياض بالسواد ، والضوء بالظلمة ـ بهيئة الفرس الأبيض قد أدار الجل عن ظهره ، وأزاله عن مكانه حتى تكشّف أكثره فاختلط بياضه بسواد الجل ، ووجه الشبه : الهيئة الحاصلة من اختلاط بياض بسواد ، وهى هيئة رائعة ، ومنظر جميل ، يدرك روعته وجماله من راقبه بعد الفجر ممن يتذوقون جمال الطبيعة ، ويدركون بدائع الصنع الإلهى وهذه الهيئة المشبه بها موجودة معهودة ، فإن صورة الفرس الأشهب وقد ألقى الجل عن معظم جسده ليست مما هو خارج عن العادة .

تنبيه : قد يتوهم من قوله : « ملق الجلال » أن الطِّرف قد ألقى الجل جملة ، وخطأ هذا الوهم ظاهر ، لأنه لو أريد ذلك لكان الغرض تشبيه الصبح وحده من غير تفكير فى الليل ، وهذا مخالف لقوله فى صدر البيت : « والصبح تحت الليل باد » فلا بد أن يراد أنه ألقاه عن معظم جسمه مع بقائه على باقيه ، ليوافق المشبه به المشبه .

(١) تقدم البيت وشرحه ص ٣٩.

وأما قول ابن المعتز :

إذا تبدى البرق فيها خلته بطن شجاع فى كثيب يضطرب(١)

وتارة تحسبه كأنه أبلق مال جله حين وثب(٢)

فقد يتوهم من قوله « مال جله » أنه لم يلقه جملة ، وأن الغرض : تشبيه بياض البرق فى سواد الغمام ببياض الأبلق فى سواد الجل ، ويكون التشبيه مركبا ، وهذا وإن كان محتملا وجائزا ، فإن الأشبه والأظهر أن الغرض تشبيه البرق وحده ببياض الأبلق ، دون أن يدخل لون الجل ، ومعنى « مال جله » ـ على هذا ـ سقط عنه ، بدليل البيت الأول ، فإن المقصود منه تشبيه بياض البرق ببطن الشجاع أى الأفعى فى البياض والاضطراب .

وقد يقال : ما فائدة قوله « حين وثب » ؟

والجواب : أنه أفاد أن البرق يلمع بغتة ، كما يظهر بياض الأبلق بغتة عند وثوبه وسقوط جله .

فإذا وازنت بين هذا وبين قول ابن بابك .

للبرق فيها لهب طائش كما يعرى الفرس الأبلق

وجدت معناهما واحدا ، وهو : تشبيه بياض البرق ببياض الأبلق ، لكن بيت ابن المعتز يمتاز بأن لقوله : « حين وثب » فائدة خلا منها بيت

---

(١) الشجاع بضم الشين وكسرها ـ : الحية أو الذكر منها أو نوع صغير من الحيات ، ويجمع على شجعان ، بالضم والكسر أيضا ، والكثيب : التل من الرمل جمعه : كافرحة وكتب ورهبان .

(٢) حسب هنا : بمعنى ظن وقد تقدم شرحها وضبطها ـ هامش ص ٣٧ ـ والابلق ماق لونه سواد وبياض ، أو ما ارتفع تحجيله إلى الفخذين ، والاسم البلق ـ محركه ـ ، والبلقة ، بضم الاول ، والفعل كفرح وكرم واشتد ، والانثى بلقاء ، والجل ، ـ بفتح الجيم وضمها ، وقد شرح فى هامش ص ٣٩

ابن بابك ، وهى الإشعار بأنه يلوح للعين فجأة .

ونظير بيت ابن المعتز فى ملاحظة هذه النكتة قول كثير عزة :

وترى البرقَ عارضاً مستطيلا   مرحَ البُلق جُلن فى الأجلال(١)

فقد اعتبر المرح والجولان ليتم الغرض من التشبيه ، وهو بيان حركة البرق ، وكيفية لمعه ، وهى أنه يظهر بغتة حينا بعد حين ، كما ينكشف الجل عن الأبلق المرح النشيط فجأة كذلك .

هذا استطراد وقع فى البين(٢) للمناسبة .

ونعود إلى حـــديث : الضرب الثانى من المركب ، فنقول : إن هذا الضرب . الذى يدخل فى الوجود يتفاوت حاله ، فنه ما يتسع وجوده ويكثر ، ومنه مايعزُّ ويندر . ومنه ماهو بين ذلك ، ويتبين ذلك بالموازنة والمقابلة بين ما يأتى :

والشمس كالمرآة فى كف الاشل   لما رأيتها بدت فوق الجبل

* * *

وكأن أجرام النجوم لوامعاً   دررٌ نثرن على بساط أزرق

* * *

غداً والصبح تحت الليل باد   كطرف أشهب ملقى الجلال

وقول ذى الرمة :

كحلاء فى برجٍ صفراءُ فى نعجٍ   كأنها فضةٌ قـد مسَّها ذهبُ(٣)

(١) العارض : السحاب المعترض فى الافق ، والجبل ، وما يستقبلك من الشىء .

(٢) أى وسط الكلام على ضروب المركب .

(٣) الكحلاء الشديدة سواد العين ، أو التى كأنها مكحولة ، والبرج بالتحريك =

إذا وازنت بين هذه التشبيهات من حيث سعة الوجود ، وجدتها تختلف وأن مراتبها على ترتيب ذكرها ، فالمرآة فى كف الأشل أعز وجودا ، والدر على البساط الأزرق عزيز نادر أيضاً ، وللك أن تقدمه على سابقه أو تؤخره عنه ، والطرف يلقى الجل ليس بهذه المثابة من العزة ، والفضة المحلاة بالذهب يكثر وجودها :

تنبيه : الغرض من تقسيم المركب إلى هذين الضربين ، وبيان حال القسم الثانى من حيث سعة الوجود وعدمها. أن نريك الطريق إلى أن تعرف كيف تفاضل بين التشبيهات ، وتقدم بعضها على بعض إذا لاحظت ماقدمنا من دواعى قرب التشبيه وبعده .

فالضرب الأول الذى لا وجود للمشبه به فيه خارج الأذهان ـ وقد تقدمت أمثلته ـ قد اجتمع فيه سببا الغرابة : التفصيل ، وقلة التكرر على الحواس وتجد السبب الثانى قد تحقق فيه على غاية القوة ، لأنه لا مزيد ـ فى بعد الشىء عن العين ـ على أن يكون ممتنع الوجود .

أما الضرب الثانى فقد يتحقق فيه السببان أيضاً ، لكن السبب الثانى ـ وهو قلة التكرر على الحواس ـ لا يقوى فيه قوته فى الأول ، لأنه متى صح وجوده أمكنت رؤيته أو وقعت ، وإن كانت تقل فى بعض أفراده ، وتكثر فى بعض .

وإذا تبينت ذلك كان للضرب الأول من الروعة والحسن ماليس للضرب الثانى ، وكان بعض أفراد الضرب الثانى أقوى من بعض فى الحسن والغرابة ، بحسب مرتبته من سعة الوجود وعدمها ، فما كان أندر وجودا كان أغرب

= إحداق بياض العين بالسواد كله ، والنعج ـ محركة ـ كالنعوج ، بضم أوله ـ : الابيضاض الخالص ، وفعله كطلب .

وما كثر وجوده كان أقل غرابة ، وربما لم يعدَّ من الغريب إذا قل تركيبه .
وقد سبق التنبيه على كل هذا

***

عرفنا مما سبق أن التفصيل يتفاوت ، وضربنا الأمثال لذلك ، وهذه موازنة من هذه الناحية . تريك كيف يفضُل بعض الشعراء بعضاً فى استقصاء تفصيل الشىء .

قال بشار :

كأنَّ مثار النَّقْع فوق رؤوسنا
وأسيافَنا ليلٌ تهاوى كواكبه(١)

وقال كلثوم بن عمرو العتابى(٢) :

تبنى سنابكُها من فوقِ أرؤُسِهم ... سقفاً كواكبه البيضُ المباتيرُ(٣)

---

(١) تقدم شرحه والتعريف ببشار ص ٣١

(٢) فى أسرار البلاغة ص ١٥١ أن البيت لعمرو بن كلثوم ، وهو خطأ ـ لعله تشأ من تحريف ـ لان قائله : أبو عمرو كلثوم بن عمرو بن أيوب بن عبيد بن حبيش بن أوس العتابى المنتهى نسبه إلى عمرو بن كلثوم الشاعر التغلبى المشهور ، ولد أبو عمرو فى قنسرين بلاد الشام ثم اتصل بالبرامكة وطاهر بن الحسين ، وعن طريقهم عرف الرشيد الذى أهدر دمه بعد ذلك لامر بلغه عنه . ثم عفا عنه بفضل جعفر البرمكى ، ولقد نبغ العتابى فى الشعر والكتابة والخطابة والتأليف ، وعدله ابن النديم كثيراً من الكتب ، وكان إلى مكانته الشعرية ذا صلاح ودين وعفة ، وتوفى سنة ٢٢٠ هـ ، ٨٣٥م ، وترجمته وأخباره فى الاغانى ص ١٢ ج ٢ ، معجم الادباء ص ٢٦ ج ١٧ ، معجم الشعراء ص ٣٥١ ، الفهرست ١٧٥ ، نزهة العيون ٢٠٥ . فوات الوفيات ص ١٣٩ ج ٢ وجمهرة أنساب العرب ٢٨٧ . الاعلام ٨٤٥

(٣) رواية الصناعتين ص ١٩٠ «مدت سنابكها . ليلا .» وهى جمع سنبك ـ كبرقع ـ : وهو طرف الحافر . والبيض المباتير : السيوف القاطعة .

وقال المتنبي :

يزور الأعادى فى سماءِ عجاجة   أسنته فى جانبيها الكواكب(١)

اشترك هؤلاء الثلاثة فى النظر إلى الغبار المنعقد فوق الرءوس ، وقد لمعت فيه السيوف ، أو الأسنة ، وشبهوه بالليل تضىء فيه الكواكب ؛ وهذا تفصيل ونظر إلى أكثر من جهة .

لكن « بشاراً » قد أربى عليهما بأن أحضر فى نفسه هيئة السيوف وقد سُلَّت من أغمادها فى الحرب ، واختلفت الأيدى بها فى الضرب ، وما يكون لها حينئذ من اضطراب ، وحركات سريعة إلى جهات مختلفة ، بين ارتفاع وانخفاض ، واستقامة واعوجاج ، وتداخل وتصادم ، مع كونها فى نفسها مستطيلة ، ثم أفهم السامع ذلك كله ، وأحضره فى نفسه بكلمة واحدة هى « تهاوى » فى جانب المشبه به ، وهى وإن كانت كلمة واحدة فإن معناها لا يتحصل إلا بالنظر إلى أكثر من جهة ، وذلك أن الكواكب إذا تهاوت اختلفت جهات حركاتها ، وكان لها تدافع وتداخل واستطالة ، فقد ضم إلى التفصيل المشترك تفصيلا آخر عجيباً ، فكان لتشبيهه من الفضل والمزية والتأثير فى النفس مالا يمكن إنكاره .

موازنة أخرى :

قال ابن المعتز :

وطاف بها ساق أديبٌ بمبزلٍ   كخنجر عيّارٍ صناعته الفتك(٢)

---

(١) العجاجة : الغبار والدخان . وسماء عجاجة : من إضافة المشبه به للمشبه، على نحو « لجين الماء » أى فى عجاجة كالسماء فى ارتفاعها ولمع السيوف فيها كالنجوم . راجع شرح البيت فى التبيان » ص ١٠٧ ج ١

(٢) الاديب — هنا — : الظريف الحسن التناول ، والفعل ككرم . والمبزل =

وحمّل آذريونةً فوق أذْنِهِ ككأْسِ عقيقٍ فى قرارتِها مسك(١)

وقال أيضاً(٢) :

عيون آذرْيونهـــا للشمسِ فيها كالِيهْ(٣)
مداهِن من ذهبٍ فيها بقايا غالِيهْ(٤)

فى كل من القولين تشبيه « الآذريونة » ومراعاة أكثر من وصف لها، لكن التشبيه الثانى أدق ، لاستيعابه لجميع الأوصاف .

وتفصيل ذلك : أن : « الآذريونة » زهرة ذات ورق أحمر مرتفع ، يحيط بقاع أسود يرتفع سواده فى أصول الورق بعض الارتفاع ، ويخف شيئاً فشيئاً حتى يتلاشى .

ففيها أربعة أمور :

١ — ورق أحمر مرتفع محيط .

= — كمنبر — . المصفاة التى يصفى بها الشراب . والعيار . — كشداد — الكثير الحركة ذهابا وجيئة . والذكى الكثير التطواف ، والمراد هنا قاطع الطريق والآذريون : — كما قال صاحب القاموس — : زهر أصفر فى وسطه خمل — بفتح فسكون — أسود : حار رطب . والفرس تعظمه بالنظر إليه وتنثره فى المنزل وليس بطيب الرائحة . وقال غيره إن منه نوعا أحمر الورق . وهو الذى عناه الاستاذ المؤلف بكلامه . ويدل عليه تشبيهه بكأس العقيق الذى لونه الحمرة .

(١) الاذن : بضمتين وكقفل . ومثلها الاذين — كقتيل — . وجمعهما آذان . ورواية ديوان المعانى — ص ٢٦ ج ٢ — « وصير آذريونه ... فى قرارتها »

(٢) البيتان فى وصف روضة .

(٣) كالية : أصلها كالئة بمعنى حافظة وراعيه . ومعنى ذلك أن النبات تنجذب أوراقه نحو الشمس ويتجه دائما جهة الضوء ولهذا سمى هذا النبات « عباد الشمس » لتلك العلة

(٤) الذى يشبه بالذهب هو النوع الاصفر منه . والمداهن : جمع مدهن — كبرقع — . وقد تقدم شرحها ص ٦ ، والغالية : نوع من الطيب . وفى ص ١٦ ج ٢ وما بعدها من ديوان المعانى كثير من تشبيهات هذا النوع .

٢ — قاع أسود.

٣ — سواد مرتفع فى أصول الأوراق .

٤ — أن السواد غير ملىء لجوف الزهرة .

وقد استوفى التشبيه الثانى هذه الأمور كلها ، فالمداهن تقابل الأوراق وبقايا الغالية تفيد ثلاثة أمور :

١ — سواد القاع ، لأنها أخلاط من الطيب ذات لون أسود .

٢ — وأن السواد غير مالىء لها ، لأنها بقايا .

٣ — وأنه مرتفع فى الجوانب ، لأن الغالية رطبة تؤخذ بالأصابع فيبقى لها أثر فى الجوانب رقيق مرتفع عن القاع يشبه ما فى الزهرة .

أما التشبيه الأول فكأس العقيق فيه تقابل الورق الأحمر ، والمسك فى القرارة يفيد أمرين :

(ا) سواد القاع (ب) أنه غير مالىء لها ، لأنه فى القرارة .

أما ارتفاع السواد فى الجوانب فليس فيه ما يفيده ، لأن المسك جاف إذا وضع فى شىء حصل فى القاع ، ولم يعلق بالجوانب ، ومن هنا كان هذا التشبيه أضعف . ولو أنه قال : فيها مسك بدل « فى قرارتها » ، لازداد ضعفا ، لأنه لايفيد حينئذ أنه غير مالىء لها ، لاحتمال أن يكون المسك مالئا للكأس .

مثال فيه استقصاء للأوصاف ، قال ابن المعتز :

كأنا وضوء الصُّبح يستعجل الدُّجى
نُطير غراباً ذا قوادم جُون(١)

(١) القوادم : جمع قادمة . وقدامى — كحبارى — . وهى الريشة المتقدمة فى جناح الطائر وفى كل من الجناحين عشر منها . والجون — بضم الجيم — جمع جون بفتحها وهو الابيض والاسود . والمراد هنا . الاول .

يفيد هذا البيت بطريق اللزوم - لا بصريح التشبيه - تشبيه ظلام الليل حين يظهر فيه ضوء الصبح بغراب أسود له قوادم بيض، من جهة مجاورة السواد للبياض على وجه خاص، وهـذا تفصيل أول، ثم جعل ضوء الصبح، لقوة ظهوره، ودفعه لظلام الليل، كأنه يحفز الدجى، ويستعجلها ولا يرضى منها بالتمهل. ولما اعتبر ذلك فى المشبه، اعتبر نظيره فى المشبه به فقال: «نطير غرابا» ولم يقل: «غراب يطير»، لأن الغراب إذا كان واقفاً فأزعج وأُطِيرَ، أو محبوساً فأُرْسِل، كان ذلك أشد لطيرانه، وأبعد لأمده، فإن الفزعة التى تعرض له من تنفيره، أو الفرحة التى تدركه من خلاصه تدعوه إلى أن يستمر فى طيرانه حتى يغيب عن الأفق، وليس كذلك إذا طار عن اختيار، فقد يبطىء، وقد يقع فى مكان قريب، وهذا تفصيل ثان انضم إلى الأول، فازداد به التشبيه دقة وسحراً.

وجملة التشبيه. أنه شبه الظلمة وقد ظهر فى جوانبها لمع من ضوء الصبح تدفعها دفعا قويا، بغراب أسود، قوادمه بيض، أزعج من مكانه، فأسرع فى طيرانه، ووجه الشبه: الهيئة الحاصلة من سواد يجاوره بياض قد دفع دفعا قويا إلى حيث لا يرى.

مثال آخر: قول أبى نواس(١) - يصف بازى الصيد -

كأن عيْنَيْه إذا ما أثارَا(٢)   فصّان قيضا من عقيق أحمرا

---

(١) فى أسرار البلاغة ص ١٥٥ «قول ابن فارس» وهو خطأ والصحيح ماهنا كما فى الايضاح مع البغية ص ٦١ ج ٣ ومختارات البارودى ص ٢٦ ج ٤، والصناعتين ص ٨٨، والأبيات من قصيدة تبلغ ٢٠ بيتا ذكرها البارودى وأولها.

لما رأيت الليل قد تحسرا   عنى وعن معروف صبح أسفرا

(٢) فى أسرار البلاغة ومختارات البارودى. «أثارا» بالثاء، وقد فسرت فى بغية الايضاح «بطلب ثأره» ولعلها تحريف لأثار بمعنى أحد البصر إلى من ينظر إليه.

في هامةٍ غلباء(١) تهدي منسرًا　　كعطفة الجيم بكفٍّ أعسرا

أثار عينه . فتحها ، قيضا . شقا ، الهامة : الرأس ، الغلباء . القوية ، أو المشرفة ، المنسر ـ كمنبر ومجلس ـ : المنقار ، الأعسر : الذي يكتب بيساره خلاف الأيمن .

شبه عينيه أولا : بفصين من العقيق ، في اللون ، والشكل ، واللمعان ، ثم شبه المنسر بعطفة الجيم ، والجيم خطان : أحدهما الأعلى ، والثاني الأسفل الذاهب إلى اليسار ، وإذا كتبت مفردة فلها تعريق ، وهو الخط المقوس الذاهب إلى اليمين ، ولما كان المنقار يشبه الخط الأعلى فقط ، نص على ذلك بقوله « كعطفة الجيم » ولم يقل كالجيم ، ثم زاد الأمر تدقيقا بأن جعلها بكف أعسر ، لأن عطفة الأعسر كما قيل ، أشبه بالمنقار من عطفة الأيمن ، ثم إن قوله . يقول من فيها بعقل فكرا ، البيت .

يريك عيانا أن المشبه به هو الخط الأعلى دون الأسفل ، ودون التعريق ، أما إسقاط التعريق فواضح ، لأنه لا يوجد عند الوصل ، وأما الخط الأسفل فإن قوله « فاتصلت بالجيم » دليل على أنه خارج أيضا ، لأن الإتيان به كان بسبب اتصال الجيم بما ذكر ، وعلى هذا فقوله . « بالجيم » يراد به عطفتها ، ولأجل هذه الدقة قال : « يقول من فيها بعقل فكرا » ، فنبه على أن المشبه في حاجة إلى فضل فكر يراجع به عقله ، ليستعين به على تمام البيان ، وأداء التشبيه على وجهه .

هذا رأي الشيخ ، وظني أنه تكلف ، فإن المشاهد أن منقار الطائر خطان الفك الأعلى ، والفك الأسفل ، وهما شبيهان بخطي الجيم ، فينبغي أن يكون المراد بعطفة الجيم ، الجيم المعطوفة لا الخط الأعلى فقط ، ويؤكد ذلك قوله :

---

(١) هكذا في أسرار البلاغة ، وفي الصناعتين والمختارات « علياء » بالمهملة

« فاتصلت بالجيم » وأما قوله : « إن الخط الأسفل جاء بسبب اتصال هذه الأحرف » فإنه باطل ، لأنه موجود دائما ، وصلت أم لم توصل ، والعطفة العليا وحدها لا تسمى « جيما » والتفكير ليس فى التشبيه وتمام بيانه ، وإنما هو فيما يتصل بها لتؤدى اسم شخص يعتز به مثلا .

وقد قيل : « إن هذا من المعانى التافهة التى لا وزن لها (١) » ، وهو مما عيب على أبى نواس ، ولكن الشيخ عنى به كما ترى .

فصل فى التشبيه الواقع

فى هيئتى الحركة والسكون

هـذا الفصل مرتبط بالفصل السابق ، فليس فيه سوى أمثلة للتشبيه الغريب ، لكنها من نوع خاص ، وهو ما كان فى الهيئات التى تقع عليها الحركة أو السكون ، فإن ذلك كما يقول الشيخ يزداد به التشبيه دقة وسحرا ، وذلك لحاجته إلى مزيد من التأمل على ما يأتى :

التشبيه فى هيئة الحركة ضربان :

أحدهما : أن تقترن هـــذه الهيئة بغيرها من أوصاف الجسم ، كالشكل ، واللون .

ثانيهما : أن يقتصر على هيئة الحركة فلا يراد معها غيرها .

---

(١) هذا رأى رأيته وسجلته فى رسالتى ، والعبارة التى بين القوسين هى عبارتى هناك تفضل الاستاذ المؤلف ونقلها هنا ، وهو عمل يدل على مبلغ عنايته بالبحوث الادبية ومدى اطلاعه على المؤلفات المخطوطة والمطبوعة ، والله يشكر له هذه العناية ، راجع الفصل الثالث من الباب الاول ص ٨٩ من رسالتى « أبو تمام والبحترى والمتنبى بين حقائق الحكمة وخيالات الشعر »

أمثلة الضرب الأول :

١ — قال جبار بن جزء :

« والشمس كالمرآة فى كف الأشل »

وجه الشبه : الهيئة الحاصلة من : الاستدارة ، مع الإشراق ، والحركة السريعة المتصلة ، وما يحصل بسببها من التموج والاضطراب ، حتى يُرى الشعاع كأنه يهم بأن ينبسط حتى يفيض على جوانب الدائرة ، ثم يبدو له فيرجع من الانبساط إلى الانقباض، كأنه يجتمع من الجوانب إلى الوسط ، والشمس إذا أحدَّ الإنسان النظر إليها وجدها مؤدية لهذه الهيئة ، وكذلك المرآة فى كف المرتعش ، لأن حركته تدوم وتتصل ، ويحصل منها ذلك . فقد اقترن بهيئة الحركة لون الجسم ، وهو الإشراق ، وشكله وهو الاستدارة .

وجاءت غرابة هذا التشبيه من كثرة التفصيل ، إذ نظر إلى اللون ، والشكل ، والحركة الدائمة ، وهذا تفصيل ، ثم نظر إلى حركة الشعاع وتموجه بين انبساط وانقباض .. الخ وذلك تفصيل آخر ، ومثله لا يدركه الإنسان إلا إذا استأنف تأملا ، وكان فى تأمله متثبتا متمهلا ، أضف إلى ذلك أن المرآة فى كف الأشل من الأمور النادرة التى لا ترى كثيراً

ومثله قول التلعفرى(١) :

ولاحت الشمسُ تحكِى عِندَ مطلعِها
مِرْآةَ تبرٍ بدت فى كفِّ مرتعِش

---

(١) هو أبو الحسن على بن أحمد التلعفرى أحد شعراء الشام المشهورين ، كان معاصرا للسرى الرفاء والسلامى ولهما فيه هجاء كثير ، وبعض أخباره فى اليتيمة ص ٢٤٦ ج ١ .

٢ — قال الحسن بن محمد المهلبي(١) وزير معز الدولة(٢) :

والشمس مِن مشرقِها قدْ بدتْ مشرقةً ليْسَ لها حاجِب
كأنهـا بوتقةٌ(٣) أحميتْ يجول فيهـا ذهب ذائب

هذا مثل التشبيه السابق ، فالمشبه : الشمس ، والمشبه به : هيئة البوتقة المحماة ، يجول فيها ذهب ذائب ، ووجه الشبه : الهيئة الحاصلة من : الاستدارة والتوهج ، والحركة السريعة المتصلة ، وما يصاحبها من انبساط إلى جوانب الدائرة ، وانقباض إلى وسطها ، وذلك أن البوتقة إذا أحميت ، وذاب فيها الذهب تشكل بشكلها المستدير ، وتحرك بجملته فيها تلك الحركة العجيبة ، كأنه يهم بأن ينبسط حتى يفيض من جوانبها ، ثم يبدو له فيعود إلى الانقباض لأنه - لما بين أجزائه من شدة التلاحم ، وما فى طبعه من النعومة - لا يقع

---

(١) هو أبو محمد الحسن بن محمد بن هارون بن إبراهيم بن عبد الله بن يزيد ابن حاتم بن قبيصه بن المهلب بن أبي صفرة الازدي وإليه ينسب ، كان وزيرا حصيفا ذا رأى ومعرفة بأمور الناس وسياسة الدولة ، كما كان غاية فى الادب — كما يقول ابن خلكان — ولى الوزارة سنة ٣٣٩ بعد أن قاسى أهوال العيش ومشقات الحياة وهو صاحب الابيات المشهورة :

ألا موت يباع فأشتريه فهذا العيش مالاخير فيه
ألا موت لذيذ الطعم يأتى يخلصنى من العيش الكريه
إذا أبصرت قبرا من بعيد وددت لو أننى مما يليه
ألا رحم المهيمن نفس حر تصدق بالوفاة على أخيه

وقد ولد سنة ٢٩١ وتوفى سنة ٣٥٢ ﻫ وترجمته وأخباره الادبية فى وفيات الاعيان ص ٢٨٥ ج ٤ ، معجم الادباء ص ١١٨ ج ٩ « دار المأمون » ، وفوات الوفيات ص ١٣١ ج ١ ، اليتيمة ص ٢٠٢ ج ٤ ، زهر الاداب ص ١٧٩ ج ١ وغيرها .

(٢) هو أحمد بن أبى شجاع بويه الديلمى أحد ملوك الدولة البويهية وعم عضد الدولة وقد ملك بغداد حوالى ٢٢ سنة ، وتوفى سنة ٣٥٦ ﻫ وله ترجمة فى وفيات الاعيان ص ٧٣ ج ٢ « دار المأمون »

(٣) البوتقة — بوزن سكرة — : الاناء الذى تصهر فيه المعادن وماشابهها .

فيه غليان كالسوائل التي يتخللها الهواء ، فقد انضم إلى الحركة الشكل المستدير واللون المتوهج .

وجاءت الغرابة بما سبق في التشبيه الماضي .

٣ — قال الصنوبري :

كأن في غُدْرانِها(١) حواجباً ظلَّت تُمطّ

يصف روضة بأن غدرانها تهب عليها الرياح ، فتبدو على صفحاتها أشكال كأنها أنصاف دوائر صغيرة ، تتوالى وتمتد امتداداً ينقص من انحنائها حتى تكاد تستقيم ، فتشبه الحواجب التي تمط مطا متواليا ، ووجه الشبه : الهيئة الحاصلة من توالي أقواس متحركة بحركة تمدها ، وتقلل من انحنائها ، فقد جمع هنا بين هيئة الحركة وبين الشكل المقوّس .

وجاءت الغرابة من هذا التفصيل وكون المشبه به نادر الوجود .

٤ — قال ابن المعتز يصف وقوع المطر من سحابة :

بكرتْ تعير الأرضَ ثوب شبابِ

رحبيَّة(٢) محمودة التَّسكابِ(٣)

---

(١) في بعض كتب اللغة أن الغدير : النهر ، وفي الصحاح والقاموس أن الغدير — كالغدر بوزن صرد — القطعة من الماء يغادرها السيل — فهو فعيل بمعنى مفاعل أو مفعل بفتح عينهما — من غادر وأغدر ، أو بمعنى فاعل لأنه يغدر وينقطع عن المحتاج إليه — والمعنى الثاني أدق وأليق بكون الروضة لها غدران .

(٢) الرحبية : نسبة إلى الرحبة — بالتحريك وبسكون الحاء — وهي من المكان ساحته ومتسعه ، ومن الوادي مسيل الماء من جانبيه إليه ، ولا أدري كيف استظهر الشيخ أحمد المراغي أن الكلمة « رجبية » وأنها منسوبة إلى رجب بمعنى أنها تنضج في شهر رجب !! وهل لرجب علاقة ما بمواعيد الزرع ؟ وإذا كان له ذلك فما معنى نضج السحابة في رجب ؟ ! ، وبعد فلعلها زلة قلم .

(٣) الرواية في الاسرار ص ١٥٩ « الاسكاب » فلعلها جمع سكب — كقدر =

ثرت أوائلها حياً فكأنه   نقط على عجل ببطن كتاب

شبه أولا حال السحابة وقد أمطرت الأرض فى بكرة فاكتست الأرض ثوب النبات الدال على خصبها وقوتها ، بحال شخص يعير آخر ثوبا ـ والشباب الخصب ـ واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه استعارة مركبة ، ثم شبه وقع قطرات الماء على الأرض فى تتابع وغير نظام بالنقط فى بطن كتاب على عجل ، ووجه الشبه : هيئة الحركة من أعلى إلى أسفل ، فى تتابع وكثرة وغير نظام ، فقد اقترنت هيئة الحركة بالشكل غير المنتظم ، وجاءت الغرابة من هذا التفصيل ، مع كون المشبه به لا يحضر فى الذهن عند بديهة النظر إلى المشبه لبعد ما بين جنسيهما .

أمثلة الضرب الثانى ـ وهو التشبيه فى هيئة الحركة مجردة عن الاقتران بغيرها من أوصاف الجسم :

إعلم أنه إذا كان الغرض ذلك لا يعتبر التشبيه غريبا إلا إذا كان فى الحركة نوع تركيب ، بأن يكون هناك حركات إلى جهات مختلفة ، وكلما كان تفاوت جهات الحركة أكثر كان التشبيه أغرب ، فحركة الرحى والدولاب والسهم لا تركيب فيها ، لأن جهة الحركة واحدة ، أما حركة المصحف فى قول ابن المعتز :

وكأن البرق مصحف قار . . . البيت

ففيها تركيب ، لأنه يتحرك فى إحدى الحالتين إلى جهة غير جهته فى الحالة الأخرى ، وقد سبق تقرير هذا التشبيه مرتين ، ورجحنا أنه من الضرب :

= وأقدار ـ ، يقال ماء سكب ـ بفتح أوله ـ أى منسكب ، ولعلها « الاسكاب » أى البرق الذى يمتد إلى جهة الأرض ، ومع هذا فما هنا أظهر »

الأول الذى جمع بين الحركة واللون .

ومن التشبيه الذى قصد به إلى هيئة الحركة وحدها ، ثم كان لطيفا غريبا لما فيه من كثرة التركيب والتفصيل قول الأعشى(١) يصف السفينة ، وفعل الأمواج بها :

تقصُ السَّفينُ بجانبيه كما   ينزو الرُّباحُ خَلا له كرعُ

تقص : كتثب وزنا معنى . الرباح ـ بالضم(٢) ـ : الفصيل(٣). الكرع بفتحتين ـ ماء السماء .

شبه هيئة حركة السفينة وقد تقاذفها الموج فأخذت تنحدر وترتفع وتتحرك حركات مختلفة : بهيئة حركة الفصيل فى ماء المطر إذا خلاله وقد عراه من المرح مايعترى صغار الحيوان فيكثر من النزو والعدو ، ووجه الشبه : الهيئة الحاصلة من : ارتفاع بعض الأجزاء ، وانخفاض بعضها ، إلى حركات أخرى كثيرة على غير نظام .

ويرى الشيخ أن المشبه به هنا لايرى إلا نادراً ، فقد اجتمع سببا الغرابة فى هذا التشبيه .

---

(١) أى الأعشى الاكبر ميمون بن قيس بن جندل ، المنتهى نسبه الى قيس بن ثعلبة من بكر بن وائل ، من ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان ، أشعر شعراء الجاهلية ، وأثبتهم فى الشعر أوتاداً . وأكثرهم طوالا جيادا ، وأول دراسة علية أدبيه لحياته وشعره ، هى كتابتنا عنه فى كتاب « أعلام الشعر الجاهلى » الذى ألفته فى العام الماضى بالاشتراك مع أستاذ :

(٢) أى مع تخفيف الباء وتشديدها .

(٣) ومن معانيه أيضا الجدى والقرد وإرادة أحدها هنا أنسب .

٣ ـ ومثل هذا قول الآخر (١) يصف الفصيل وهو يثب على أمه الباركة لتثور فير تضعها :

يَقْتاعها كلٌّ فصيلٍ مُكرم كالحبشيّ يرتــقى فى السلم

يقتاع . وزنه يفتعل ، من قاع البعير الناقة إذا نزا عليها ، شبهت هيئة حركة الفصيل وهو يثب على أمه بهيئة حركة الحبشى وهو يرتقى السلم لما يكون له عند صعوده من ارتفاع بعض أعضائه وتسفُّل بعضها مع اضطراب شديد ، وغثارة(٢) مفرطة ، ووجه الشبه : ما تقدم فى التشبيه السابق :

وكذلك سبب الغرابة فى هذا ما قاله الشيخ .

وإذا رأيت أن الحبشى لا يخالف غيره فى صعود السلم ، فلعل الشاعر قصد إلى حبشى معين ، كان به لوثة(٣) أو آفة جسمية تحمله على هذا الوصف إذا ارتقى سُلَّما(٤) .

ومن ذلك قول أحمد بن سليمان بن وهب(٥) :

---

(١) هو العجاج الراجز المشهور ، قال ابن قتيبة فى الشعر والشعراء ـ ص ١٤١ « أولى » ـ وكان يكنى أبا الشعثاء وسمى العجاج بقوله :

« حتى يعج عندها من عججا » وهو عبد الله بن رؤبة بن لبيد بن صخر بن كنيف التميمى وقيل إنه ابن رؤبة بن أسد بن صخر بن كنيف بن عميرة من زيد مناة ، وقد ولد فى الجاهلية وقال الشعر فيها ثم أسلم وبقى إلى أن فلج فى زمن عبد الملك بن مروان ، ثم مات سنة ٩٠ هـ ، سنة ٧٠٨ م ، راجع أخباره فى الأغانى ص ١٢٤ ج ١٨ ، المؤتلف ص ١٢١ ، والأعلام ص ٥٥٦ وفى أخبار ابنه فى معاهد التنصيص ص ٦ ج ١ ، وتراجمه التى تقدمت مراجعها فى ص ٣٦ .

(٢) الغثارة : الحمق والتخليط .

(٣) بضم الأول : مس جنون .

(٤) هذه دقة من الأستاذ المؤلف لم يفطن لها عبد القاهر ولا من جاء بعده .

(٥) ابن سعيد بن عمرو ، وسليمان وأخوه الحسن من أعلام التاريخ العباسى فى جميع نواحيه وفيهما يقول أبو تمام : =

حُفَّتْ بِسَرْوٍ كالقِيانِ تلحَّفتْ   خضرَ الحريرِ على قوامٍ معتدلْ
فكأنَّها والرِّيحُ جاءَ يُميلُها   تبغي التَّعانقَ ثم يمنعها الخجلْ

شبه فى البيت الأول، السرو، فى ورقه الأخضر بالقيان، أى الجوارى التى اتخذت الحرير الأخضر لحفاً على قوامها المعتدل، ثم شبه السرو مرة أخرى حين يميل بعضه على بعض بفعل الريح، ثم يعود إلى الاعتدال بعاشقين يظنان أنهما بمنأى عن أعين الرقباء، فيميل كل منهما إلى الآخر يبغى أن يعانقه فتبدو لهما عين الرقيب، فيرجعان إلى الاعتدال فى سرعة من الخجل.

ففى البيت الثانى تشبيه لهيئة الحركة مجردة عن سائر أوصاف الجسم، وفيه تفصيل دقيق، فقد راعى الحركتين : حركة الدنوّ للعناق، وحركة الرجوع إلى الافتراق، وأدى ما يكون فى الحركة الثانية تأدية لطيفة تصويراً للشبه كما هو، وذلك أن حركة الشجرة فى حال رجوعها إلى اعتدالها أسرع من حركتها عند إمالة الهواء لها، وكذلك حركة من يدركه الخجل فيرتدع، أسرع أبداً من حركته إذا هم بالتقبيل، لأن إزعاج الخوف أقوى من إزعاج الرجاء، لهذا كله كان التشبيه غريباً.

وقول امرىء القيس :

مكرٍّ مفرٍّ مقبلٍ مدبرٍ معاً
كجلمودِ صخرٍ حطَّه السيلُ من علِ

شبه هذا الفرس لفرط نشاطه، وسرعة انقياده، وأنه يتحرك إلى كل

= كل شعب كنتم به آل وهب   فهو شعبى وشعب كل أديب
وأخبار آل وهب أشهر من أن تذكر، توفى سليمان سنة ٢٧٩ هـ، والحسن سنة ٢٥٠ هـ

الجهات فى خفة ويسر ، بجلمود صخر حطه السيل من مكان عال ، فانحدر فى قوة ، فهو لسرعة تقلبه يكاد يرى أحد وجهيه حين يرى الآخر ؛ ووجه الشبه : الهيئة الحاصلة من سرعة حركتهما إلى الجهات المختلفة حتى تكاد جميع الجوانب ترى فى وقت معاً .

التشبيه فى هيئة السكون : إنما يكون غريباً إذا كان فيه تركيب وتفصيل :

١ — قال ابن المعتز(١) :

فلمَّا طغا ماؤُه فى البلاد وغَصَّ به كلُّ وادٍ صدى(٢)

ترى الثور فى متنه طافياً كضجعة ذى التَّاجِ فى المرْقدِ(٣)

شبه الثور وهو طاف ساكن فوق متن السيل مضطجع على جنبه بصاحب التاج المضطجع فى مرقده ، فى هيئة السكون ، وموقع كل عضو فيه ؛ وجاءت الغرابة من التفصيل المذكور ، وقلة تكرر المشبه به على الحواس .

٢ — وقال المتنبي(٤) — يصف كلب صيد(٥) باليقظة والتنبه — :

---

(١) يصف سيلا .

(٢) طغا — كقال وتعب ونفع — طغوا — بفتح الأول وضمه — وطغى — كغنى — ، وطغيانا — بضم الأول وكسره — ، وطغوانا — بضم الأول — . بمعنى ارتفع وجاوز الحد فى الكثرة ، والغصة — بضم الأول — : الشجا وما اعترض فى الحلق فأشرق ، والماضى بفتح العين وكسرها ، والمضارع بالفتح فقط وفيه لغة من باب قتل — راجع المصباح — والثلاثى لازم يتعدى بالألف فيقال : أغصصته بكذا والوصف منه : غاص وغصان ، والصدى : الظامئ ، والفعل كرضى ، والوصف صد وصاد وصديان للمذكر ، وصدية وصادية وصديا للمؤنث ، والجمع صداء — كعطاش —

(٣) الثور : الطحلب ، وكل ماعلا الماء ، والمتن : الظهر ، ومن الأرض ما صلب وارتفع ، والمد ، « المقابل للجزر » ولعله المراد هنا .

(٤) من أرجوزة قوية — قالها مرتجلا — وتبلغ ٥٦ بيتا ، وهى فى شرح العكبرى لديوانه من ص ٢٠١ — ٢٠٨ ج ٣ (٥) أرسله أبو على الأوراجى على ظبى

* يقْعى جُلوسَ البدوىّ المصْطلى(١) *

إقعاء الكلب : جلوسه على أليتيه وقدميه ، معتمداً على يديه ، شبه بجلوس البدوى المصطلى ، فإنه يجلس عند ذلك على أليتيه وقدميه ، رافعاً ركبتيه ، مادًّا يديه بينهما ، منخفضتين إلى النار ، وهو قريب من إقعاء الكلب ، ووجه الشبه : الهيئة الحاصلة من وقوع الأعضاء المختلفة فى مواقعها وجاءت الغرابة من أن مواقع تلك الأعضاء فى حكم أشكال مختلفة تؤلّف فيجىء منها صورة خاصة .

٣ - ومن لطيف ذلك : قول شاعر محدث يدعى الأخيطل الأهوازى(٢) - فى وصف مصلوب - :

كأنّه عاشِقٌ قدْ مدَّ صفحتَه ... يوم الوَداعِ إلى توديع مرتحلِ(٣)
أو قائِمٌ منْ نعاسٍ فيه لوثته ... مواصلٌ لِتمطّيه من الكسلِ

الصفحة هنا : جانب العنق . ولوثة النعاس : بقيته واسترخاؤه .

---

(١) وأولها ومنزل ليس لنا بمنزل ... ولا يعثر الغاديات الهطل
وقبل البيت قوله : « إذا تلاجاء المدى وقد تلى »
وبعده قوله : « بأربع مجدولة لم تجدل »
وفى الجزء الثانى من ديوان المعانى ص ١٣١ - ١٣٥ كثير من الشعر فى وصف الصيد وأدواته وحيواناته فراجعه .

(٢) قال الشيخ رشيد رضا ص١٦٣ : « إن بعض شراح الشواهد نسبه للاخطل » ولعل هذا البعض خدع بقول المبرد : « وقال أعرابى - فى صفة مصلوب - وهو الأخطل » والصحيح - كما قرر أبو الحسن الأخفش - أنهما للاخطيل الأهوازى كما ذكر المؤلف وكان يعرف ببرقوقا ، قال أبو الحسن : وكان المبرد يدلس به أى يوهم من يحدثه أنه الأخطل التغلبى الشاعر الأموى المشهور » راجع ص ١٧٢ ج ٦ من الكامل مع رغبة الآمل » .

(٣) رواية الكامل « يوم الفراق » .

شبه المصلوب فى البيت الأول بالعاشق الذى مد عنقه ليتمكن من رؤية من يودعه ، والوجه : هيئة امتداد العنق وسكونه ، وقيل : إنه قد لاحظ مع العنق وسكونه لون الصفرة فى كل منهما .

وشبه فى البيت الثانى تشبيها غريباً لطيفاً ، بقائم من نعاس ، مواصل لتمطيه ، وذلك لما فيه من كثرة التفصيل ، فقد راعى ثلاث جهات : التمطى ، ومواصلته ، وسبب هذه المواصلة - وهو اللوثة والكسل - ولو اقتصر على تشبيهه بالمتمطى لكان قريب التناول ، لأن هذا القدر يقع فى نفس الرائى للمصلوب ابتداء ، لأنه من حد الجملة :

٤ - ونظير هذا التشبيه قول دِعبل بن على(١) الخزاعى :

لم أرَ صفًّا مِثل صفِّ الزُّطِّ   تسعين منهم صُلِّبوا فى خطِّ
من كلِّ عالٍ جذعُـه بالشَّطِّ   كأنه فى جذعِـه المشتطِّ
أخو نعاسٍ جدَّ فى التمطِّى   قد خامر النَّوم ولم يَغِطِّ

الزط(٢) - بالضم(٣) - : طائفة خرجوا على المعتصم فى سنة ٢١٩ هـ ،

---

(١) ابن رزين بن سليمان أحد الشعراء الهجائين الخبيثى اللسان الذين لم يسلم من لسانهم خليفة ولا سوقه وكان متشيعا غاليا وعمر حوالى المائة ، من ١٤٨ - ٢٤٦ هـ ، ٧٦٥ - ٨٦٠ م وكان من المبرزين فى الشعر ، وأخباره : فى الاعلام ٣٠٩ ، والاغانى ٢٩ ج ١٨ ومعاهد التنصيص ص ١٩٩ - ٢٠٨ ح ١ ، ووفيات الاعيان ص ٢٤٢-٢٧٤ ج ٥ ، ومعجم الادباء ص ٩٩ - ١١٢ ج ١١ « دار المأمون » وجمهرة الأنساب ص ٢٢٩ وغيرها ، وقد وفى ابن خلكان وياقوت نسبه وذكرا مافيه من خلاف ، وتوجد هذه الابيات فى الكامل مع الرغبة ص ١٧٦ ج ٦ ، وفى الايضاح ص ٢٨ ج ٣ مع البغية

(٢) جيل من الهند أو السند ، والكلمة معرب « جت » بفتح أوله .

(٣) قال فى القاموس : « والقياس يقتضى فتح معربه أى كلمة الزط .

فوجه إليهم أحد قواده(١)، فأخذ عليهم الآفاق، وحاربهم وأسر منهم، وقتل وصلب كثيراً من رؤسائهم على جذوع أشجار عالية على شاطىء نهر(٢). والمشتط: المفرط فى الطول. وخامره النوم: خالطه. والغطيط: صوت النائم.

وإذا وازنا بين هذا التشبيه وسابقه وجدنا: أن كلا منهما قد شبه المصلوب بالمتمطى من النعاس، الأول لقيامه منه، والثانى لمشارفته له، لكن الأول شرط مواصلة التمطى، والثانى شرط المبالغة فيه، وشرط المواصلة أكثر فائدة، وأدق تصويراً لحال المصلوب الذى هو استمراره على هيئته، أما المبالغة فى التمطى والاجتهاد فيه فلا يفيدان ذلك، لأن الإنسان قد يبالغ فى تمطيه ثم يتركه ويعود إلى حاله قبل التمطى.

فإن قيل: إن قوله:

* قدْ خامر النّوم ولم يغط *

يدل على مواصلة التمطى، من جهة أن من أخذه النعاس فتمطى وخامره النوم بقى على تمطيه فيكون شبيها بالأول.

فالجواب: أن ذلك لا يبلغ مبلغ قول الأول: «مواصل لتمطيه» وبيان سببه بقوله: «من الكسل»، وتوكيده بقوله: «فيه لوثته» ولذلك يكون الأول أدق من الثانى.

٥ — وقال ابن الرومى — فى وصف مصلوب أيضاً —:

---

(١) هو عجيف بن عنبسة وراجع تفاصيل الخبر فى الطبرى وخلافه «حوادث سنة ٢١٩ وما بعدها».

(٢) من روافد نهر دجلة

كأنّ له فى الجوّ حبلا يبوعه إذا ما انقضى حبلٌ أتيح له حبل(١)

يعانق أنفاس الرّياح مودّعاً وداع رحيلٍ لا يحطّ له رحلُ

التشبيه فى البيت الأول للمصلوب بالذى يظل يبوع حبلا بعد حبل ، شبيه بالتشبيه الأول ، لأنه لما اشترط أن يكون كلما انتهى من حبل هيء له حبل آخر يبوعه كان كقول الأول : « مواصل لتمطيه من الكسل » فى التنبيه على مواصلة مد الباع ، لأنه إذا كان لا يزال يبوع حبلا بعد حبل لم يقبض باعه ، وفى ذلك بقاء شبه المصلوب(٢) مع بيان سببه وهو : بوع الحبـــال .

أما البيت الثانى ففيه استعارة بالكناية ، شبه المصلوب وهو مادّ ذراعيه للرياح ، براحل يمد ذراعيه لعناق محبوب يودّعه وداع من لا عودة له من رحلته ، ودل على هذا التشبيه بإثبات العناق له ، وهـــذا الإثبات : استعارة تخييلية .

فرق آخر بين التشبيه التمثيلى والتشبيه غير التمثيلى :

هذا فرق آخر بين الضربين ، من جهة « العكس » ، أى جعل الفرع « المشبه » أصلا « مشبها به » ، والأصل « المشبه به » فرعاً « مشبهاً » على الحقيقة ، أى أن يكون الغرضُ بعد العكس بيان حال المشبه أيضاً كما كان قبله .

حكم التشبيه غير التمثيلى : أنه يجيء فيه هذا العكس مجيئاً حسناً ، وينقاد

---

(١) البوع – بفتح أوله – « الباع بالشيء » ، كالتبوع ، ومعنى يبوعه يقيسه بباعه .

(٢) فى ديوان المعانى ص ٧١ ج ٢ بعض أبيات فى وصف المصلوب فراجعها إن شئت .

انقياداً لا تعسف فيه ، ولا يمتنع إلا فى حالة واحدة :

بيان ذلك : أننا إذا استقرينا التشبيهات الصريحة وجدنا ذلك العكس يكثر ويستمر فيها ، فإن البلغاء يشبهون النجوم بالمصابيح ، والمصابيح بالنجوم والخد بالورد ، والورد بالخد ، والروض المنور بالوشى ، والوشى بالروض ، والعيون بالنرجس ، والنرجس بالعيون ، والسيف بالبرق ، والبرق بالسيف إلى غير ذلك مما لا حصر له ، وقد أطنب الشيخ فى الاستشهاد له(١) ، وغرضهم فى كلا الحالين : بيان حال المشبه .

وسر ذلك : أن وصف المشبه به الذى قصد مشاركة المشبه له فيه متحقق فيهما ، من حيث الجنس والحقيقة ، وتجده العين فى هذا كما تجده فى ذلك ، فأنت ترى مثلا فى السيوف : لمعانا ، مستطيلا ، سريع الحركة ، وتجد ذلك بعينه ، أو قريبا منه فى البرق ، وتجد فى الخد من اللون والصفة ما تجده فى الورد ، وفى العيون من ذلك ما تجده فى النرجس وهكذا

وإذا كانت العين ترى من هذا ما ترى من ذاك ، لم يكن تشبيه أحدهما بالآخر إلا كتشبيه الآخر به ، فأيهما أراد المتكلم بيان حاله جاز له أن يجعله مشبها ، ويجعل الآخر مشبها به ، ويكون الأول فرعا ، والثانى أصلا على الحقيقة ، وفى ظاهر الأمر وباطنه ، ويكون التشبيه مطرداً فى الحالين .

متى يمتنع عكس التشبيه الصريح(٢) ؟

لا يمتنع عكس التشبيه الصريح على الحقيقة إلا فى صورة واحدة ، وهى أن يكون بين الطرفين تفاوت كبير فى الوصف الذى جىء بالتشبيه من

(١) راجع أسرار البلاغة من ص ١٧٧ – ١٩٠ « الطبعة الثالثة » وسيذكر الأستاذ المؤلف كثيرا من شواهده فيما بعد

(٢) راجع كلام عبد القاهر فى هذه المسألة ص ١٩١ – ١٩٦

أجله ، ثم يكون غرض المتكلم منه إلحاق الناقص بالكامل مبالغة ، ودلالة على امتيازه عن غيره فى ذلك الوصف . مثال ذلك ، قولك : هو كخافية الغراب الأسحم ، أو كالقار ، أو كالليل ، تريد المبالغة فى وصفه بالسواد ، وأن تثبت له سواداً زائداً على المعهود من جنسه . لا يصح أن تعكس هذا التشبيه فتقول خافية الغراب ككذا فى السواد ، تريد أن تبالغ فى وصف الخافية بالسواد .

وسر الامتناع ، أمران :

١ — أن المفروض أن « خافية الغراب » أقوى شيء فى السواد ، فإذا شبهت بغيرها لبيان شدة سوادها ، دل على أنها أضعف منه ، وهو تناقض

٢ — أن قياس القوى على الضعيف للمبالغة خلاف المعقول ؛ ولذلك عابوا على البحترى تشبيه الليل بالمداد ، للدلالة على شدة سواده حين قال (١) :

على بابِ قنسّرينَ والليلُ لاطخٌ جوانبه من ظُلمةٍ بمدادِ

فإن قوله : « من ظلمة بمداد » تشبيه للظلمة بالمداد ، بين فيه المشبه به بالمشبه ، وهو غير سديد ، لأن الليل — بالسواد وشدته — أحق وأحرى أن يشبه به ، وليس المداد بأقوى منه فى ذلك ، فرب مداد قد نضا لونه وذهب ، وفى : « لاطخ جوانبه » استعارة . والجيد تشبيه ابن الرومى « الحبر » بالليل للمبالغة فى سواده حين قال :

حبرُ أبى حفصٍ لعابُ الليل(٢) يسيلُ للإخوانِ أىَّ سيْلِ

(١) من قصيدة فى مدح الامير العربى أبى مسلم البصرى ، وقبله

وما بلغ النوم المسامح لذة سوى أرقى فى جنبها وسهادى

(٢) بعد هذا فى الديوان قوله : — « كأنه ألوان دهم الخيل » يسيل إلخ .

بغيرِ وزنٍ وبغيرِ كيلِ

هذا ، وهناك أشياء هى أصول فى بعض الأوصاف ، كالشمس فى الظهور والنور والشهرة ، والقمر فى الحسن ، والمسك فى الطيب ، والعسل فى الحلاوة ، والصاب فى المرارة ، والبحر فى الغزارة ، والأسد فى الشجاعة « وحاتم » فى الكرم ، « ومادر » فى البخل ، إلى غير ذلك مما لا يخفى ، فإذا شبه بواحد منها للمبالغة لم يصح العكس مع كون الغرض المبالغة أيضا فى وصف المشبه ، لأن ذلك غير معقول ، ومؤدٍّ إلى التناقض ـ كما سبق ـ .

اعتراض ، قد يقال : إن البلغاء شبهوا غرة الفرس الأدهم بالصبح ، ثم عادوا فشبهوا الصبح بغرة الفرس الادهم ، مع أن البياض فى الصبح أقوى وأكمل منه فى الغرة ، فالقول بأنه إذا كان المشبه به أقوى فى الوصف لايصح العكس ، باطل ؟ .

والجواب : أن العكس إنما يكون باطلا إذا كان الغرض المبالغة ، وإلحاق الناقص بالكامل ، والبلغاء هنا لم يقصدوا إلى ذلك ، وإنما قصدوا إلى اشتراكهما فى الشكل والصورة ، أى : حصول بياض فى سواد أكثر منه ، وهذا الوصف موجود فى كليهما ، أى فى غرة الفرس الأدهم ، والصبح أول مايبدو فى الليل ، فإذا عكس لم يكن هناك تناقض .

ونظير ذلك قول ابن المعتز :

نَخَلتُ الدُّجى والفَجْرُ قد مدَّ خيطه(١)
رِداءً مُوَشًّى بالكواكب مُعْلما

---

(١) هذا الاسلوب مأخوذ من قوله تعالى « حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر » .

وقوله :

واللَّيل كالحلَّة السَّوداء لاحَ به   من الصباح طِرازٌ غيرُ مرقوم(١)

يشبه فى الأول الليل - وقد بدا فيه عمود الصبح - برداء أسود موشى معلم ، أى ذى أعلام ونقوش ، وفى الثانى . الليل - وقد بدا فيه الصبح أيضاً - بحلة سوداء ، مطرزة بطراز أبيض ، فالعلم فى الرداء ، والطراز فى الحلة فى مقابلة الصبح ، مع أن التفاوت فى المقدار والبياض شديد ، ولكنه صح لأنه لم يقصد إلى مبالغة ، وإنما قصد ظهور شىء أبيض فى جوانب شىء أسود منبسط ، وهذا وصف موجود فى الطرفين جميعا .

ومثل ذلك . تشبيه الشمس بالمرآة المجلوة ، وبالدينار الخارج من السكة كقول ابن المعتز .

وكأنَّ الشَّمسَ المنيرةَ دينا   رٌ جلتْه حديدةَ الضَّرَّاب(٢)

مع التفاوت الشديد فى اللمعان والجرم ، لأنهم لم يقصدوا إليهما ، وإنما قصدوا إلى الشكل واللون ، وأن كلا منهما مستدير يتلألأ ، فأما مقدار الجرم والتلألؤ فلم يلتفت إليه .

---

(١) الطراز : علم الثوب ومايوشى به وفى القاموس أنه معرب وقال الجواليقى ص ٢٢٣ من « المعرب » فارسى معرب ، وقد تكلمت به العرب ، قال حسان :

بيض الوجوه كريمة أحسابهم   شم الانوف من الطراز الاول

ومثله فى ذلك الطرز : وهو بفتح الطاء فقط ، وقد ضبط فى اللسان - بالقلم - بالكسر مراراً وهو خطأ ، قال رؤبة :

فاخترت من جيد كل طرز   جيدة القد جياد الخرز

والمرقوم المخطط .

(٢) الذى فى أسرار البلاغة طبعتى الشيخ رشيد ص ١٩٣ ، والمراغى ص ٢٠٦ « حدائق » وهو خطأ لان الحدائق لا محل لها فى موضعنا هذا ، ورواية الأيضاح ص ٤٣ ج ٣ « حدائد » ، والضراب : الذى يضرب النقود ويسكها .

إذا تقرر هذا أمكننا ضبط ما يصح عكسه وما لا يصح بما يأتى :

الضابط :

١ — كل تشبيه صريح كان الغرض منه الجمع بين المشبه والمشبه به فى الصورة ، أو الشكل ، أو اللون ، أو هيئة ملتئمة من أمرين فأكثر ، على وجه يوجد فى الفرع على حده فى الأصل ، أو قريبا منه ، ولم يقصد فيه إلى مبالغة وإلحاق ناقص بكامل ، فإن العكس فيه يستقيم على سبيل الحقيقة .

٢ ـ وكل تشبيه قصد فيه إلحاق الناقص بالكامل مبالغه فى امتيازه على غيره فى الوصف . فإن العكس لا يستقيم فيه على سبيل الحقيقة ، وقد تقدمت الأمثلة والأدلة .

جواز عكس ماقصد فيه إلحاق الناقص بالكامل على سبيل « التخييل » .

قلنا . إن نحو . هو كحلك الغراب فى السواد ، وزيد كالأسد ، ووجهه كالشمس ، لا يجوز عكسه على سبيل الحقيقة ـ لما تقدم .

ونقول الآن . إنه يجوز عكسه على سبيل « التخييل » ، وذلك أن يخيل المتكلم أن الشىء الناقص فى الوصف قد كمل وازداد حتى فارق الكامل المعروف ، وصار جديراً بأن يجعل أصلا « مشبها به » ، والكامل فرعا « مشبها » ، كما فعل محمد بن وهيب(١) حين قال(٢).

---

(١) هو أبو جعفر محمد بن وهيب الحميرى أحد الشعراء المشهورين بالمعانى الجديدة والأساليب السلسة فى العصر العباسى ، نشأ فى البصرة ورحل إلى بغداد ، ثم اتصل بالمأمون ومن بعده بالمعتصم وكان من مداحهما ، على أنه كان يتشيع ويمدح آل البيت النبوى ، وله فيهم آثار خالدة ومراث مثيرة ، وله ترجمة فى معاهد التنصيص ص ٧٤ — ٨٠ ج ١ ، ومعجم الشعراء ص ٤٢٠ .

(٢) من قصيدة يمدح بها المأمون ، وقبل البيت : =

وبدا الصَّباح كأن غرَّته وجه الخليفةِ حين يمتدح

فقد خيل بتشبيهه هذا أن وجه الخليفة قد زاد فى الضياء ، وانتهى منه إلى أبعد غاية حتى صار أولى من الصبح بأن يكون أصلا فيه ، فصح له بناء على هذه الدعوى أن يشبه به الصبح ، فظاهر هذا التشبيه . أنه يبالغ فى وصف الصباح بالضياء بقياسه على وجه الخليفة ، وحقيقته ، أنه يبالغ فى بياض وجه الخليفة ، فالغرض فى الحقيقة بيان حال وجه الخليفة لا بيان حال الصبح ، فلم يخرج الفرع ـ بجعله أصلا فى الظاهر ـ عن كونه فرعا فى الحقيقة . وهذا ما سماه المتأخرون . « التشبيه المقلوب » وقالوا : إن فائدته عائدة على المشبه به ـ كما أوضحنا ـ وقس على ذلك . الأسد كزيد ، و « حاتم » كفلان ، والشمس كوجهه إلخ .

أما التشبيه الذى تعود فائدته على المشبه فيسمى : « التشبيه المطرد » وهو الاصل الغالب .

تنبيه : عقد الشيخ موازنة(١) بين قول ابن وهيب . « كأن غرته وجه الخليفة » ، وقولهم . وجه الخليفة أضوأ من الصبح ، ونور الصبح مسروق من ضوء جبينه ، وما شاكل ذلك . وخلاصتها . أن الأسلوبين يتفقان فى أن فى كل منهما ادعاء أن الناقص فى الوصف قد فاق الكامل فيه ، على جهة الإغراق والمبالغة ، ويفترقان فى أن الأسلوب الأول تشبيه ، والثانى ليس بتشبيه ، وفى أن أسلوب التشبيه فيه خلابة ، وشىء من السحر . لأنه يوقع المبالغة فى نفسك من حيث لا تشعر بها ، ويفيد كها من غير أن يظهر ادعاؤه لها ، وذلك أن الاصل فى التشبيه إذا قصد به المبالغة أن يكون المشبه به أقوى فى وجه

= مازال يلثمنى مراشفه ويعلنى الأبريق والقدح
حتى استرد الليل خلعته وبدا خلال سواده وضح

(١) ص ١٩٥ من أسرار البلاغة

الشبه وأتم، وأن يكون ذلك أمراً متفقاً عليه بين المتخاطبين، فإذا قلت: كأن الصبح وجه الخليفة، فقد وضعت كلامك وضع من يقيس على أصل متفق على كماله فى الوصف . لا حاجة به إلى دعوى ، ولا خوف من خلاف مخالف ، وأوقعت فى وهم مخاطبك أنك قد اجتهدت فى طلب شبيه للصبح تفخم به أمره ، فلم تجد أقوى وأفخم من وجه الخليفة ، فيقع فى نفسه كمال هذا الوجه فى الإشراق والبياض على أنه أمر محقق ، لا دعوى مدع ولا تخييل مخيل، والمعانى إذا وردت هذا المورد كانت النفس بها أفرح ، وأشد سرورا ، لأنها تكون كالنعمة لا تكدرها المنة . ولان المتكلم إذا أخفى غرضه كنت كأنك استفدته من غير متكلم ، كما تستفيد النعمة من غير أن يكون لأحد يد فيها .

ونكتة أخرى : وهى أنك تستفيد الربح فى صورة رأس المال ، وتملأ يديك من الفائدة من حيث تحسبها جازتك(١). والربح والفائدة : المبالغة فى كمال المشبه به ورأس المال : ظاهر التشبيه ، وهو تفخيم المشبه » .

ملاحظة : هذه الموازنة تجرى فى كل تشبيه مقلوب نحو: الأسد كفلان، والبدر كوجهه ونحوهما.

وهاك لطيفة أخرى تخص قول محمد بن وهيب : وهى أن الممدوح حين يصغى إلى المدح يقف بين أمرين يصعب الجمع بينهما :

١ - الإصغاء إلى المادح ، والارتياح له ، والدلالة بالبشر والطلاقة على حسن موقعه عنده .

٢ - ملك النفس حتى لا يغلبه السرور عليها ، ويخرج بها إلى العجب المذموم ، وهذا موقف تزل فيه الأقدام ، ولا يسلم من ضعف النفس فيه إلا أفراد الرجال الذين حالفهم التوفيق ، فإذا كان المدح كقوله : « وجه الخليفة حين يمتدح » ، فقد حط عنه الشطر من تكاليف هذه الخصلة .

---

(١) أى فاتتك ومرت بك

هـذا ملخص عبارة الشيخ . وفى الجملة الأخيرة غموض ؛ فهـل أراد : أنه حط عنـه عبء الأمر الأول ، بإثبات تهلل وجهـه عند المدح ؟؟ أم أراد : أنه حط عنه عبء الخروج إلى العجب والـكبر ، لأنه أوهم أن المدح للصبح لا له ؟؟ لا يزال الأمر غامضا .

وقـد لخص صاحب « الإيضاح »(١) هـذه النكتة فقال : « وفى قوله : « حين يمتدح » فائدة شريفة ، وهى الدلالة على اتصاف الممدوح بما لا يوجد إلا فيمن هو كامل الـكرم ، من معـرفة حق المادح (٢) بالإصغاء إليـه ، والدلالة بالبشر والطلاقة على حسن موقعه عنده ، ولم يذهب الشيخ إلى هذا ؛ وأغفل الرازى فى « نهاية الايجاز » هذه اللطيفة فأحسن (٣) .

حكم التشبيه التمثيلى

امتناع عكسه على التحقيق : إن قليلا من التأمل يدلنا على أن « التمثيل » يخالف « التشبيه الصريح » فى جواز « العكس » ، وجعل الفرع أصلا ، والأصل فرعا على سبيل التحقيق ، وأن يكون الغرض فى حال العكس بيان حال المشبه من غير اعتبار تخيل فى الـكلام .

وسر ذلك : أن جواز « العكس » فى « الصريح » مبنى على أن وصف المشبه به موجود فى المشبه بحقيقته وجنسه ، فتشبيه أحدهما بالآخر كتشبيه الآخر به ، لا يؤدى إلى تناقض ، ولا مخالفة للمعقول ـ كما سبق ـ .

أما « التمثيل » فوصف المشبه به ليس موجودا فى المشبه بحقيقته وجنسه

---

(١) راجع ص ٤٠ ج ٣ « مع بغية الأيضاح » .

(٢) هناك كلام محذوف ، لعل الأستاذ المؤلف تركه لـكونه غير ذى بال هنا ، ونصه « على ما احتشدله من تزيينه ، وقصده لتفخيم شأنه فى عيون الناس بالأصغاء الخ »

(٣) راجع ص ٧٦ منه « فصل فى الأغراض العائدة على المشبه » .

ولذلك يحتاج فى الجمع بينهما إلى التأول ، وبيان أن الاشتراك فى مقتضى الصفة لا فى نفسها ، فلا يمكن أن يجىء فيه العكس كما جاء فى الصريح .

وأيضا : يكثر فى التمثيل تشبيه المعقول بالمحسوس وانتزاع الوجه للأول من الثانى ، فلو عكس كان فى ذلك مخالفة للعقل من جهتين :

الأولى : أن اتصاف المعقول بوصف المحسوس إنما جاء من طريق تشبيهه بالمحسوس ، فلو شبهنا المحسوس به كان معنى ذلك : أننا نستفيد وصف المحسوس من المعقول ، وهو تناقض .

الثانية : أن المحسوس أظهر وأقوى من المعقول ، وأسبق حصولا للنفس ، فلا يكون هناك معنى لقياسه عليه .

مثال للتوضيح : ألفاظه كالعسل فى الحلاوة ، الغرض من هذا التمثيل بيان أن ألفاظه مرضية ، فلو قلنا . العسل كألفاظه فى الحلاوة ، وأردنا بيان حال المشبه ، لكان ذلك محالا ، لأن وصف الألفاظ بالحلاوة إنما جاء من تشبيهها بالعسل ، وسبق معرفتنا بحلاوته ، ثم من استعارة الحلاوة من الألفاظ بناء على هذا التشبيه ، ولولا سبق معرفتنا بذلك ، وجَرْى العرف بالتشبيه المذكور ، لما كان لهذه الاستعارة معنى ، لأن كل مجاز أو مبالغة لابد أن يستند إلى حقيقة ، فلا بد من معرفة حلاوة العسل أولا ليمكن وصف الألفاظ بالحلاوة ، فلو عكسنا ، وأردنا معرفة حلاوة العسل من الألفاظ كان ذلك مخالفا للمعقول .

جواز عكس « التمثيل » على طريق « التخييل » .

نعم يجوز عكس التمثيل على طريق « التخييل » ، وبيان ذلك فى هذا المثال . أنه لما جرت العادة بتشبيه الألفاظ بالعسل ، واستعارة الحلاوة لها فى نحو . ألفاظ حلوة ، فقد يخيل الشاعر أو الناثر ـ على عادتهم فى المبالغة

والاغراق ـ أن ألفاظه حلوة حقيقة ، ثم إنها أكمل فى الحلاوة من العسل ، فيصح له بناء على هذه الدعوى أن يجعل الالفاظ أصلا ، والعسل فرعا ، لكن لايكون الغرض من هذا التشبيه بيان حال العسل على التحقيق . وإنما الغرض المبالغة فى وصف المشبه به بالقبول ، فالغرض فى هذا المثال عائد على المشبه به.

ويتبين من هـذا : أن حكم التمثيل حكم ما قصد فيه المبالغة ، والحاق الناقص بالكامل من التشبيه الصريح ، وهو أنه لا يجوز عكسه إلا على سبيل « التخييل » .

لكن يوجد فرق بين التخييل هناك . والتخييل هنا ، فنى « الصريح » تخييل واحد ، وهو إيهام أن الناقص فى الوصف قد كمل فيه حتى فاق الكامل المعروف ، وفى « التمثيل » تخييلان :

أحدهما : إيهام أن المعقول موصوف بوصف المحسوس حقيقة .

ثانيهما : إيهام أنه أعرف من المحسوس بهذا الوصف .

وهاك أمثلة كثيرة على هـذه القاعدة ، عكس فيها « التمثيل » : قال القاضى التنوخى(١) :

وكأن النجوم بين دجاه ... سُنن لاح بينهن ابتداعُ(٢)

الأصل : أن تشبَّه السُّنن والبدع التى هى أمور معقولة بالنجوم

---

(١) تقدم التعريف به وذكر مواطن ترجته ص ٣١ .

(٢) هذا البيت من قصيدة ذكر منها ستة أبيات فى ص ٣١٠ ج ١ من اليتيمة ، وه فى ص ١٣٥ ج ١ معاهد التنصيص وسيأتى بعضها ورواية الايضاح ص ١٥ ج ٣ وكذلك التلخيص وبعض شروحه « بين دجاها » ، قال السعد : « الضمير فى دجاه لليل ، وفى دجاها للنجوم » وراجع ص ٣٢٢ ج ٣ من شروح التلخيص ، وماهنا رواية اليتيمة وأسرار البلاغة وهى أصح .

والدجى التى هى محسوسة ، ووجه الشبه عقلى ، آت من طريق « التأول » ، وإرادة مقتضى وصف المشبه به ، وهو أن كلاً من السنن والنجوم سبب الاهتداء والنجاة ، وكلاً من البدع والدجى سبب الضلال والهلاك ، ولكن الشاعر عكس ، على طريق التخييل ، فخيل أولا أن السنن موصوفة بالبياض حقيقة ، بناء على أنه شاع وصفها بالبياض على سبيل الاستعارة المبنية على تشبيهها بما هو أبيض كما فى قوله صلى الله عليه وسلم : «أتيتكم بالحنيفية البيضاء » وأن البدع موصوفة بالسواد لما شاع من وصف البدعة والكفر بالسواد ، بناء على تشبيهها بما هو أسود ، ثم خيل ثانيا — بناء على ذلك — أن السنن أعرف بالبياض والسواد من النجوم والدجى ، فصح له — بناء على هذه الدعوى — أن يعكس ، ووجه الشبه على هذا : ظهور أشياء بيض مشرقه بين أخرى سوداء مظلمة .

هذا ، والمراد من « السنن » ما ثبتت موافقته للشريعة الغراء ، ومن « البدع » : ما ادعى أنه من الشريعة وليس منها . وفى قوله : « سنن لاح بينهن ابتداع » قلب ، والمعنى : سنن لاحت بين الابتداع ليتفق الطرفان ، ونكتة القلب - على ماقيل - : الاشارة إلى قلة البدع فى جنب السنن ، هذ معنى للبيت .

ويمكن أن يكون معناه : إن النجوم قد ازدادت حسناً وبهاء ، بسبب اقترانها بسواد الليل ، كما أن السنن تزداد نبلا فى النفس ، وحسنا فى مرآة العقل إذا قرنت بالبدع القبيحة ، والشُّبه المفضوحة ، كما فعل البحترى فى وصف خلائق ممدوحه حين قال(١) :

---

(١) تقدم البيتان وشرحهما ص ٨١

وقد زادها إفراطَ حسنٍ جِوارُها   خلائقُ أصفارٍ من المجدِ خُيَّبِ
وحسنُ دراريّ الكواكب أن ترى   طوالع فى داجٍ من الليلِ غيهبِ

أراد : أن خلائق الممدوح الكريمة قد ازدادت حسنا وجمالا بمجاورتها لخلائق قوم خالين من المجد خائبين ، كما أن الكواكب تزداد حسنا وإشراقا إذا طلعت فى ليل داج ، شديد الظلمة .

والتمثيل فى البيتين غير معكوس ، فقد شبه فيهما المعقول بالمحسوس .

أما البيت الذى معنا فهو على هذا الوجه أيضاً « تمثيل معكوس » جعل فيه الحسى مشبها بالعقلى ، فبك حاجة لأن تتخيل فى السنة والبدعة لونى البياض والسواد ، ومنظر المشرق المبتسم ، والأسود الأقتم ، حتى يكون لون السواد يزيد فى بريق البياض ، ثم تدعى بعد ذلك أن المعقول أعرف من المحسوس ، وتجعله أصلا يقاس عليه ، وهذا البيت من قطعة يقول فيها :

رُبَّ ليلٍ قطعتُه كصدودٍ(١)   وفِراقٍ ما كان فيه وداعُ
موحش كالثقيلِ تقذى به العيـ   ـن ، وتأبى حديثه الأسماع
وكأنَّ النُّجومَ بين دُجاهُ   . . . (٢) . . .   البيت وبعده :
مشرقاتٌ كأنهنَّ احتجاج   فِيهِ للخصمِ والظلامِ انقطاع(٢)

تشبيه الليل المحسوس بالصدود ، والفراق المعقولين ، عكس للتمثيل على طريق « التخييل » ، فخيل أولا : أن للصدود والفراق سواداً ، وثانياً : أنهما أعرف به من الليل .

---

(١) رواية أسرار البلاغة ص ٢٠٠ « كالصدود » وهى خطأ .

(٢) رواية اليتيمة « حجاج تقطع الخصم » وكذلك فى معاهد التنصيص ، وفى تعليق الشيخ المراغى ص ٢٦٠ « حجاب » وهو خطأ لعله مطبعى ، ورواية أسرار البلاغة « حجاج يقطع » .

وكذلك تشبيه النجوم المشرقة ، بالحجة القاطعة للخصم ، خيل أولا : أن للحجة إشراقا ، وثانياً : أنها أعرف به من النجوم .

أما تشبيه الليل بالثقيل فى الايحاش ، والنَّفرة منه ، وعدم استطابته ، فهو تشبيه محسوس بمحسوس فى وجه عقلى ، لا عكس فيه ، وهو تمثيلى .

وقال أبو طالب الرقى :

ولقد ذكرتكِ والظلام كأنه يوم النَّوى وفؤاد من لم يعشقِ (١)

الأصل : أن يشبه يوم النوى بالظلام بطريق التأول ، ولكنه عكس ، فخيل أولا : يوم النوى له سواد ، بناء على أن الأوقات المكروهة توصف بالسواد على سبيل الاستعارة ، بناء على تشبيهها بالشىء الأسود ، كما يقال اسودّ النهار فى عينى ، وأظلمت الدنيا فى وجهى ، ثم خيل ثانيا : أنه أعرف من الليل بالسواد فجعله أصلا ، والظلام فرعا .

وأما تشبيه الظلام بفؤاد لم يعشق فهو من عكس التمثيل أيضاً على سبيل التظرف ، والجرى على عادة الغزلين الذى يدعون أن من لم يعرف العشق قاسى القلب كما قال الأحوص (٢) :

إذا أنت لم تعشَقْ ولم تدرِ ما الهوَى

فكن حجراً من يابسِ الصَّخرِ جَلْمَدَا

والقلب القاسى يوصف بالسواد على سبيل الاستعارة ، فخيل أولا : أن قلب الخالى أسود ، وثانيا : أنه عرف بالسواد من الظلام ـ ومن هذا القبيل

---

(١) البيت من قصيدة تقدم بيت منها وذكر مرجعها وترجمة الشاعر ص ٤٠ .
(٢) تقدم البيت .

قول العامة : « ليل كقلب المنافق » - ولا يخفى أن المشبه به هنا ، وهو « قلب من لم يعشق » جسم قابل للسواد عقلا ، بخلاف : البدعة ، أو الألفاظ ، ونحوها مما لا يقبل اللون .

وقال آخر(١) :

كأنَّ انتِضاءَ البدرِ من تحتِ غيْمه

نجاةٌ من البأساءِ بعد وقوعِ (٢)

فإن النجاء من البأساء أمر معقول ، وخروج البدر من الغيم أمر محسوس وقد جرت العادة أن يشبه المتخلص من البأساء بالبدر الذى ينحسر عنه الغيم تشبيها تمثيليا مركبا ، ووجه الشبه الظاهر : أن كلا قد انجاب عنه الظلام الذى كان يحجب ضوءه ، فظهر أبهى وأضوأ ، والحقيق لازم ذلك ، وهو أن كلا قد فارقه الأمر المكروه الذى يخفى محاسنه ، وقد عكس الشاعر ذلك ، تخيلا أن للبأساء ظلاما ، ولمن أصابته ضياء ، والأول يغطى الثانى ، وأنهما أعرف فى ذلك من الغيم والبدر .

وأوضح من ذلك قول ابن طباطبا(٣) :

---

(١) ينسبه بعضهم لابن طباطبا الآتى ذكره .

(٢) انتضى السيف : سله — كانتضاه ، مخففة - وانتضاء البدر : ظهوره من دائرة الغيم ، والبأساء — كالابؤس — : الداهية .

(٣) يوجد أربعة أعلام بهذا الاسم هم بحسب تاريخ الوفاة « ا » محمد بن إبراهيم ابن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسين بن على بن أبى طالب ، ثار فى الكوفة أيام المأمون وقوى أمره ولكنه توفى فجأة سنة ١٩٩ هـ ، ٨١٥ م وقيل مات مسموما وترجمته فى الأعلام ص ٨٣٩ .

« ب » أبو الحسن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل المتقدم ، ولد بأصبهان وكان شاعرا مفلقا وأديبا كبيرا ، وهو المراد هنا وصاحب البيت السابق فى رواية وله مؤلفات كثيرة ذكرها مترجموه وقد توفى ببلده سنة ٣٢٢ هـ ، ٩٣٤ م وترجمته وسبب تلقيبه بهذا اللقب فى معاهد التنصيص ١ : ١٧٩ ، الأعلام ٨٤٥ ، معجم الأدباء ١٧ :=

صحو ، وغيم ، وضياءٌ وظلمُ   مثل سرورٍ شابه عارضُ غمّ

فالأصل : أن يشبه الغم بالظلام وبالغيم ، والسرور بالصحو والضياء ، بطريق التأول ، فعكس الشاعر ، وجاء بهذا التشبية المركب يشبه اختلاط الصحو بالغيم ، والضياء بالظلمة ، باختلاط السرور بالغم ، مخيلا أن للسرور نوراً ، وللغم ظلاما ، وأنهما أعرف فى ذلك من الصحو والغيم .

ومن عكس التمثيل قول القاضى التنوخى :

فانهضْ بنارٍ إلى فحمٍ كأنهما   فى العين ظلم وإنصاف قدِ اتفقا

خالف الأصل هنا أيضاً ، فشبه المحسوس « النار مع الفحم » بالمعقول « الظلم مع الإنصاف » ، مخيلا أن للظلم سوادا ، وللإنصاف بياضا ، إذ يقال للحق : منير واضح ، بناء على تشبيهه بالشىء المنير . وللظلم : مظلم أسود ، بناء على تشبيهه بالشىء الأسود ، ثم مخيلا أنهما أعرف بالإشراق والإظلام من النار والفحم ، وبعد البيت(١) :

جاءت ونحنُ كقلب الصبّ حين سلا   برْداً ، فصرْنا كقلبِ الصبّ إذ عشقا

= ١٤٣ ، معجم الشعراء ٤٦٣ ، الفهرست ١٦٩ ، أديان العرب ١٠١ « جـ » أبو القاسم أحمد بن محمد بن اسماعيل أخى محمد المذكور فى رقم « ١ » ، كان نقيب الطالبيين بمصر ومن أكابر رؤسائها وله شعر غزير اشهره فى الزهد والغزل ، توفى سنة ٣٤٥ هـ ، ٩٥٦م وترجمته فى الأعلام ٩٢ ، ووفيات الأعيان ١ : ٢٧٧ « دار المأمون » اليتيمة ١ : ٣٦٩ وغيرها . « د » محمد بن على بن طباطبا المعروف . بابن الطقطقى — بكسر الطاءين — وهو من أهل الموصل ، ومؤلف كتاب « الفخرى » فى التاريخ ، توفى سنة ٧٠٢ هـ ١٣٠٢ م والثانى منهم هو المراد .

(١) هذان البيتان من أربعة ذكرت فى أسرار البلاغة ص ٢٠٠ ومعاهد التنصيص ١ : ١٣٧ ، واليتيمة ٢ : ٣١٣ فراجعها إن شئت .

لما كان يقال لقلب العاشق : « إنه حار » على سبيل الاستعارة ، لزم من ذلك أن يقال لقلب السالى: « إنه بارد » كذلك ، فخيل الشاعر أن لقلب العاشق حرارة ، ولقلب السالى برداً ، فشبه نفسه ومن معه بهما قبل الدفء وبعده والمشبه به محسوس قابل للحرارة والبرد .

وقال ابن بابك :

وأرض كأخلاق الكرام قطعتها وقد كحل الليل السماكَ فأبصرا(١)

السعة والضيق من أوصاف الأماكن المحسوسة حقيقة ، وصفت الأخلاق بهما على سبيل الاستعارة ، بناء على تشبيهها بالمكان ، وقد عكس الشاعر هنا ، فشبه الأرض بأخلاق الكرام فى السعة ، على سبيل التمثيل ، إذ خيل أولا : أن أخلاق الكرام واسعة حقيقية ، وثانياً : أنها أعرف بذلك من الأرض فجعلها أصلا ، والأرض فرعا .

ومعنى الشطر الثانى - فى رأيى - : أن الليل قد اشتدت حلوكته ، حتى لمع فيه السماك ، وظهر ضوؤه ، وذلك أن السماك لا يظهر إلا فى الليالى الحالكة والكلام - حينئذ - استعارة مركبة ، شبهت حال الليل مع السماك ، وقد أثرت حلوكة الأول وسواده فى الثانى ، فزال ضعف ضوئه ، وظهر جليا ، بحال رجل معه كحل أسود وضعه فى عين مريضة فزال مرضها ، وقوى بصرها ثم استعيرت ألفاظ المشبه به للمشبه .

وقال أبو طالب المأمونى(٢) :

---

(١) السماكان - الأعزل والرامح - : نجمان نيران يلفت نورهما النظر ، راجع إذا أردت ما كتب عن ابن بابك ص ١١٠ .

ورواية أسرار البلاغة ص ٢٠١ « كأخلاق الكريم » وما هنا أشهر .

(٢) هو كما يقول الثعالبى - أوحد أفراد زمانه شرف نفس ونسب ، وبراعة فضل وأدب ، واسمه عبد السلام بن الحسين ، من أولاد أمير المؤمنين المأمون ، اتصل بالصاحب بن عباد وصار من ندمائه وشعرائه ، ثم أصابته عين حساده فتفرق شملهما بعد =

وفلا كآمال يضيق بهـــا الفتى   لاتصدق الأوهام فيها قيلا(١)
أفريتها بشمِلَّةٍ تفرى الفَلا   عنقاً وتفريها الفلاة نحولا(٢)

السعة حقيقة « الفلاة » ، مجاز بالاستعارة المكنية فى « الآمال » بناء على تشبيهها بالمكان الواسع ، فتخيل الشاعر أن الآمال واسعة حقيقة ، إذ يقال : آمال واسعة ، وآمال طوال لا آخر لها ، ثم خيل أنها أعرف من الفلاة بذلك .

ومن عكس التمثيل ، قول ابن طباطبا(٣) :

رُبَّ ليلٍ كأنه أملِى فِيــ   ــكَ وقد عدتُ منك بالحرمانِ
جبتُه والنُّجوم تنعَشُ فى الأفْـ   ـقِ ، وتطرفن كالعيونِ الرَّوانى(٤)

═أن استأذنه فى العودة إلى بغداد ، ويقال إنه طمع فى الخلافة ولكنه مات سنة ٣٨٢ هـ ٩٩٣ م ، وأخباره فى اليتيمة ٤ : ١٤٩ — ١٧٩ ، الاعلام ٥٢٠ ، فوات الوفيات ١ : ٢٧٣ وغيرها .

(١) الفلا — بوزن الفتى — جمع فلاة ، وهى الارض القفر أو المفازة لاماء فيها ، أو الصحراء الواسعة .

(٢) أفريتها — بالفاء — : قطعتها وكذلك فريتها — بتخفيف الراء — وفريتها — بتشديدها — ، وفى « تفرى الفلا » استعارة تبعية أو مكنية ، وكذلك فى « تفريها الفلاة » . والشملة — بكسر الشين والميم وتشديد اللام — الناقة السريعة ، كالشمال والشملال والشمليل — بكسر الشين فيها جميعا — ، والعنق : نوع من السير السريع ، وفى نسختى الشيخين رشيد والمراغى ص ٢٠١ ، ٢٦٧ « أقريتها » بالقاف وهو خطأ صوابه ماهنا والقرى مايقدم للاضياف .

(٣) هو السابق ص ٢١٣ .

(٤) جبته : قطعته ، وتنعش : ترتفع ، وتطرفن : تبدو وتختفى ، من طرف بعينه إذا أطبق أحد الجفنين على الآخر ، ثم حركه وضبط الشيخ المراغى كلمه الزوانى — بالزاء — جمع زانية ص ٢٦٧ والرنو — كعتو — إدامة النظر مع سكون الطرف ، وهذا المعنى يضعف هذا الضبط ، ويرجح روايتها بالزاى كما فعل عبد القاهر — ص ٢٠٢ — لان العين الزانية أى الفاجرة — كما فى القاموس — هى التى تأتى هذه الحركات المعروفة .

هارباً من ظلامِ فِعلِكَ فى نحْـ ـوِ ضِياءِ الفتى الأغرِّ الهجانِ (١)

شبه هنا الليل المحسوس بالأمل ، لا فى الطول والسعة ، ولكن فى الظلام ، والظلام فى الليل حقيقة ، وفى الأمل مجاز ، فإنهم يشبهون الأمر الذى لا يرجى نجاحه بالشىء المظلم الملتبس ، ولكن الشاعر هنا خيل أن سواد الأمل حقيقة ، وأنه أقوى من سواد الليل ، فشبه الليل به ، مبالغة فى ذم المخاطب ، كأنه يقول : فكرت فيما أعلمه من الأشياء السود فرأيت سواد أملى فيك زائداً على جميعها ، فجعلته أصلا أقيس عليه ظلمة الليل .
وفى البيت الثانى يشبه النجوم بالعيون الروانى فى الانطباق والانفتاح ، إذ معنى « تنعش » : تنفتح ومعنى « تطرف » : تنطبق ، وهو تشبيه صريح .
وفى البيت الثالث استعارة بالكناية فى « ظلام فعلك » و « ضياء الفتى » ، شبه الفعل بالشىء المظلم ، والفتى بالقمر المضىء ، وإثبات الظلام والضياء للدلالة على هذا التشبيه .

ومن ذلك ، قول ابن المعتز :

لا تخلطوا الدُّوشابَ فى قدح بصفاء ماء طيب البردِ
لا تجمعوا بالله – ويحكم – غلظ الوعيد ورقة الوعد

الدوشاب : نبيذ التمر ، وهو غليظ القوام ، ينهاهم أن يخلطوه بالماء الصافى الرقيق إذ يكونون فى عملهم هذا كمن يخلط الوعيد الغليظ بالوعد الرقيق .

الغلظ فى الدوشاب ، والرقة فى الماء حقيقيان ، وهما فى الوعد والوعيد مجازيان ، بناء على أنهم يشبهون القول المكروه بالشىء الغليظ ، والقول

(١) الاغر الذى فى وجهه غرة ، والمراد ذو الفعال الغر ، والهجان من الرجال : الحسيب .

الجميل بالشيء الرقيق ، فيقال : أغلظ له القول ، وكلمه كلاما رقيقا ، فإثبات الغلظ والرقة دليل على التشبيه ، لكنه هنا عكس ، فشبه النبيذ الغليظ بالوعيد والماء الرقيق بالوعد ، مخيلا أن غلظ الوعيد ، ورقة الوعد حقيقة ، وأنهما أعرف بذلك من النبيذ والماء .

قال الشاعر :

شربت على سلامة أفتُكين(١) شراباً صفوه صفوُ اليقين

يقول الشيخ : « إن الصفو فى اليقين حقيقة كالصفو فى الشراب ، فإن معناه : خلو الشيء مما يغيره ، فهو صالح للحسى والعقلى ، لكن لما غلب فى العرف استعماله فيما له بصيص وبريق صار كأنه حقيقة فى المحسوس ، مجاز فى المعقول » ، وعلى هذا يكون تمثيلا معكوساً كسابقه ، وأما قول جحظة(٢) :

ورق الجو حتى قيل : هذا عتاب بين جحظة والزمان(٣)

---

(١) أفتكين : قائد من قواد الدولة البويهية ، كان أصله من الغلمان الأتراك ثم ظهر أمره وتولى دمشق لمعز الدولة من بويه ، ثم اغتر فخرج ليحارب جيش العزيز الفاطمى نزار بن معد « المعز لدين الله » المتوفى سنة ٣٣٦ ، فهزمه المصريون هزيمة منكرة وأخذ أسيرا مربوطا عنقه بحبل ، ومع هذا أكرمه العزيز وأطلقه فظل بمصر حتى توفى سنة ٣٧٢ هـ ، ورواية الاسرار ص ٢٠٣ « فتكين » ولعل الهمزة سقطت عند الطبع .

(٢) هو أبو الحسن احمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد البرمكى ، وابن المعتز هو الذى لقبه بجحظة لنتوء كان فى عينيه كما كان الجاحظ ، وكان الخليفة المعتمد يلقبه « بخنيا كر » ـ بفتح الخاء وسكون النون ـ كلمة فارسية معناها المغنى » ، وقد كان شاعرا أديبا ومنادما ظريفا كثير الرواية للاخبار متصرفا فى كثير من العلوم وتوفى سنة ٣٢٦ هـ ٩٣٦ م ، وترجمته وأخباره فى الاعلام ٣٥ ، زهر الآداب ٢ : ١٥٧ والوفيات ١ : ١٨٦ ومعجم الادباء ٢ : ٢٤١ ـ ٢٨٢ وكذلك فى الاغانى وتاريخ بغداد وغيرها .

(٣) يوجد هذا البيت فى الوفيات وهو من أبياته السائرة .

وقولهم : هواء أرق من تشاكى الأحباب ، فمن التمثيل المعكوس على وجه التخييل ، لأن الرقة فى الهواء حقيقة وفى العتاب والتشاكى مجاز ، على أن المثال الثانى ليس تشبيها اصطلاحيا .

وكذلك قول أبى نواس :

عتقت فى الدن حتى هى فى رقة دينى(١)

لأن الرقة حقيقة فى الأجسام ، مجاز فى المعانى كالدين .

وكذلك قول المتنبى :

يترشفن من فمى رشفات هن فيه أحلى من « التوحيد »

وإن لم يكن تشبيها اصطلاحيا ، لكنه أشرك الرشفات والتوحيد فى الحلاوة وهى حقيقة فى الأول ، مجاز فى الثانى ، وهو مما أخذ عليه(٢) .

ومن عكس التمثيل قول « الصاحب(٣) » وقد أهدى عطرا للقاضى أبى الحسن الجرجانى :

---

(١) يصف الخمر التى عبر عنها بالقهوة فى قوله — قبل البيت :

قهوة غيب عنها ناظرا ريب المنون

(٢) قال ابن جنى فى شرحه لديوان المتنبى : إنه أنشد فى « هن فيه حلاوة التوحيد » ، وبحث ابن القطاع استعمالات « أفعل » وذهب إلى أنها خمسة ، ثم حكم بأن المتنبى هنا على المقاربة فى التشبيه لا التفضيل كقولك الأمير أكرم من حاتم وأشجع من عنترة ، أو على المبالغة كقوله صلى الله عليه وسلم : « ما أقلت الغبراء ، ولا أظلت الخضراء أصدق لهجة من أبى ذر » ، راجع تفصيل ذلك فى ١ : ٣١٥ وما بعدها من التبيان . وقد دافع عنه بعض الادباء بأن « التوحيد » المذكور فى هذا البيت نوع من التمر العراقى كان والد أبى حيان التوحيدى يبيعه وإليه نسب ، راجع رسالتى ص ٣٢٦ ، ووفيات الاعيان ٢ : ٧٩ طبعة بولاق سنة ١٢٩٩ هـ .

(٣) إسماعيل بن عباد المتقدم ذكره .

يأيها القاضى الذى نفسى له مع قرب عهد لقائه مشتاقه
أهديت عطراً مثل طيب ثنائه فكأنما أهدى له أخلاقه

فالأصل أن يشبه الثناء بالعطر تشبيها تمثيليا ، محتاجا إلى التأول ، وإرادة لازم صفة المشبه به ، ثم قد يستعار وصف المشبه به للمشبه ، بناء على هذا التشبيه ، فيقال : ثناء عاطر ، ولكنه هنا قد عكس على التخييل ، وادعاء أن الثناء عاطر حقيقة ، وأنه أعرف وأقوى فى ذكاء الرائحة من العطر ، حتى وجب أن يكون أصلا فى ذلك ، بحيث إذا قيس به نوع من العطر كان ذلك مبالغة فى وصفه بالطيب ، وتفضيلا له على غيره .

تنبيه : ما كان من أمثلة عكس التمثيل مقصوداً فى أصله الحاق الناقص بالكامل والمبالغة ثم عكس لإيهام أن الناقص فى الوصف فاق الكامل فيه يعده المتأخرون من قبيل « التشبيه المقلوب » الذى تعود فائدته على المشبه به مثل : العسل كالفالوذ ، رب ليل كأنه أملى فيك ، هواء مثل تشاكى الأحباب أهديت عطرا مثل طيب ثنائه . وما ليس كذلك مما يظهر أن الغرض منه بيان حال المشبه لم يعدوه من المقلوب ، وجعله صاحب « الإيضاح » من « المطرد » ، وجعل وجه الشبه فيه مخيلا فى المشبه به .

ورأى الشيخ : أن كل تمثيل يكون الوجه فيه لازم صفة المشبه به إذا جعل فيه الفرع أصلا ، والأصل فرعا كان « معكوسا » على اعتبار التخييلين اللذين بيناهما فى كل مثال مما تقدم ، والله أعلم .

لطيفة . أنت بـ « التمثيل » فى حكم من يرى صورة واحدة ، ولكنه يراها تارة على حقيقتها ، وأخرى فى المرآة ، ولكنك فى « التشبيه الصريح » ترى صورتين حقيقيتين .

تفسير ذلك : أنك حينما تقول : خده كالورد فى الحمرة ، ترى حمرة الخد حقيقة ماثلة ، وحمرة الورد كذلك . لا تتوقف معرفة إحداهما على وجود الأخرى بجوارها ، حتى لو فقدت إحـــداهما لم يؤثر ذلك فى العلم بالأخرى.

وأما نحو : كلامه كالعسل فى الحلاوة ، فإنك وإن أثبت الحلاوة للطرفين فليس هناك فى الحقيقة إلا صورة واحدة تراها على حقيقتها فى العسل ، وأما حلاوة الكلام فهى صورة معكوسة لحلاوة العسل ، وليس لها وجود فى ذاتها ، حتى لو ارتفع العسل وفرضنا أنه لم يوجد أصلا لم يتصور فهم الحلاوة فى الكلام ، فلا تجد إلى وجودها فيه سبيلا ، ولا تستطيع لها تحصيلا ، لا جملة ولا تفصيلا ، وذلك سبب الاختلاف بين الضربين من جهة العكس ـ لو تأملت ـ والله أعلم .

شواهد على جواز عكس التشبيه الحسى

يشبه البلغاء : « النجوم بالمصابيح » كقول حندج المرى(١) يصف ليلا بالطول :

نجومه رُكَّد ليست بِزَائلةٍ   كأنما هنَّ فى الجوّ القناديل(٢)

(١) تقدم ذكره والبيت من قطعة تبلغ ثمانية أبيات فى الحماسة ص ٣٢٥ ج ٤ ، وقد سبق منها بيت آخر .

(٢) رُكد ـ كركع ـ جمع راكد ، أى واقفه لا تتحرك ، والبيت فى معنى قول امرىء القيس :

فيالك من ليل كأن نجومه   بكل مغار الفتل شدت بيذبل

ويعكسون، فيشبهون «المصابيح بالنجوم»، كقول السرى الرفاء(١)، يمدح الوزير المهلبي، وقد ركزت له رماح، عليها شمع عند إقبال الليل، فأضاء المكان وحسن:

لقِىَ النُّجومَ وقدْ طلعْنَ بمثلِها فأعاد جنح الليلِ وهْو ضحاءُ(٢)

ويشبهون: «الخد بالورد» كقول ابن المعتز:

غِلالة خدِّه وردٌ جنىٌّ ونون الصُّدْغِ معجمة بِخالِ

ويعكسون، فيشبهون «الورد بالخد»، كقول خالد الكاتب(٣):

عشِيَة حيانى بورد كأنه خدود أضيفت بعضهنَّ إلى بعض(٤)

---

(١) هو أبو الحسن السرى بن أحمد بن السرى الكندى الرفاء الموصلى الشاعر المشهور، كان فى صباه يرفو الثياب ويطرزها فى دكان بالموصل، ثم أولع بالادب وتفتقت شاعريته عن طبع سليم وشعر رصين رفعه إلى مصاف مداح سيف الدولة ثم انتقل الى بغداد ومدح الوزير المهلبي وسواه، فنفق شعره وراج. وخصومته مع الخالديين أشهر من أن تذكر، وقد سماه فى معاهد التنصيص أحمد، وتوفى سنة ٣٦٢ هـ وترجمته وأخباره فى معجم الادباء ١١ : ١٨٢، وفيات الاعيان ٦ : ١٠٥، معاهد التنصيص ٢ : ٩٦، اليتيمة ٢ : ١٠٣ - ١٦٥، الفهرست ٢٤١ وغيرها.

(٢) الجنح: بالكسر أو الضم: الجانب أو الناحية أو الطائفة من الليل، والضحاء - بفتح أوله - قرب منتصف النهار، أى ساطعا مضيئا.

(٣) هو أبو الهيثم خالد بن يزيد - أو زيد كما فى ياقوت - البغدادى، شاعر مشهور رقيق الشعر كان كاتبا فى الجيش ثم ولاه محمد بن عبد الملك الزيات بعض الاعمال فى أحد الثغور، وانتهى أمره بالهرم وتوفى سنه ٢٧٠ هـ، ٨٨٣ م، وترجمته وأخباره فى معجم الأدباء ١١ : ٤٧، فوات الوفيات ١ : ١٤٩، زهر الآداب ٢ : ١٥٨، الاعلام ٢٨٧، الوافى بالوفيات ج ٤ قسم ٢.

(٤) يوجد هذا البيت فى الوساطة ص ١٥١ منسوبا لعلى بن الجهم كما يوجد ثانى أربعة ابيات فى زهر الآداب منسوبة لخالد، وقبله:

رأت منه عينى منظرين كما رأت من الشمس والبدر المنير على الارض

ويشبهون : « الروض المنور بالوشى » كقول ابن المعتز :

وكأنَّ الرَّوْضَ وشىٌ　　بالغَتْ فيه التِّجارُ

ويعكسون ، فيشبهون « الوشى بأنوار الربيع » .

كقول بعض المعاصرين(١) :

ويبرزن فى وشى أنيق كأنه　　رياض جلت أزهارهن القطر

وقوله(٢) :

كأن على طنافسها رياضا　　أجادت حوكها أيدى السحاب(٣)

ويشبهون : «النرجس بالعيون » كقول أبى نواس :

لدى نرجس غض القطاف كأنه　　إذا مامنحناه العيون عيون(٤)

ويعكسون ، فيشبهون « العيون بالنرجس » ، كقول ابن الرومى :

لو كنت يوم الوداع حاضرنا　　وهن يطفين غلة الوجد(٥)

---

(١) لعل القارىء الكريم ، قد أعجب أيما إعجاب ، وعجب كل العجب من تذوق الاستاذ المؤلف لنواحى الجمال الادبى فى دراسته للابيات الكثيرة التى مرت ، ولعله الآن يزيد إعجابه ويزول عجبه اذا علم أن « بعض المعاصرين » الذى قال هذا البيت الجميل : هو الاستاذ نفسه ، وقد أبى تواضعه الجم إلا أن يخفى نفسه تحت هذا الستر الاسلوبى .

(٢) هذا البيت أيضاً للاستاذ المؤلف ، وهو كسابقه من بدائع الشعر الوصفى .

(٣) الطنافس . جمع طنفسه ـ مثلثة الطاء والفاء ، وبكسر الطاء وفتح الفاء ، وبالعكس ـ البساط والثوب والحصيرة .

(٤) الغض : الطرى الناعم ، والقطاف ـ كالقطف ـ مصدر قطف أى جنى ، أو القطاف اسم للمقطوف .

(٥) يطفين أصلها يطفئن أى يذهبن ، والغلة ـ بالضم كالغل والغلل « محركة » والغليل ـ : العطش أو شدته أو حرارة الجوف .

لم تـــر إلا الدموع ساكبة تقطر من مقلة على خـــد(١)
كأن تلك الدموع قطر ندى يقطر من نرجس على ورد

التشبيه فى البيت الأخير مركب ، شبهت صورة الدموع تنهل من العين على الخد ، بصورة قطر الندى يقطر من النرجس على الورد ، والعين فيه مقابلة للنرجس ؛ ووجه الشبه بين النرجس والعيون : الاتحاد فى الشكل ، فكل منهما دارة بيضاء ، تحيط بأخرى أصغر منها ، مخالفة لها فى اللون ، وذلك أن زهر النرجس ورقه أبيض ، ووسطه أصفر ، كما أبان ذلك أبو نواس فى قوله بعد البيت السابق :

مخالفــة أشكالهن ، فصفرة مكان سواد، والبياض جفون(٢)

وقد يكون وسطه أحمر ، كما يؤخذ من تشبيه بمداهن در حشوهن عقيق — فيما تقدم .

ويشبهون : « الثغر » وهو مقدم الأسنان « بالأقحوان »(٣) وهو زهر ذو ورق أبيض صغير ، يشبه الأسنان فى لونه وشكله ، قال البحترى :

كأنما يبسم عن لؤلؤ منضَّدٍ أو بردٍ أو أقاحِ (٤)

---

(١) ساكبة — من سكب مطاوع سكبه سكبا وتسكابا فسكب سكوبا وانسكب — أى منصبة .

(٢) مخالفة : أى مختلفة .

(٣) هو المعروف بالبابونج — كما فى القاموس — ووزنه « أفعلان » بضم الاول والثالث . ومثله القحوان — بضم الاول — والجمع أقاحى — كتماثيل — ، وأقاح — كأياد — .

(٤) المنضد — كالمنضود والنضيد — : المرصوف بعضه إلى بعض ، والبرد — محركا — : قطع الثلج الصغيرة .

ثم يعكسون : فيشبهون «الأقحوان بالثغر» كقول ابن المعتز :

والأقحوانُ كالثنايا الغرّ قد صقلت أنوارُه بالقطرِ (١)

وقول القاضي التنوخي :

أقحوانٌ معانِقٌ لشقيقٍ كثغورٍ تعضُّ وردَ الخدودِ

وعيونٌ من نرجس تتراءى كعيون موصولةٍ التسهيدِ .

ووصفها في البيت الثاني بالتسهيد : إما ليدوم انفتاحها ، وإما لأنه أراد تشبيه النرجس بها في الذبول ، فقد قيل : إن في نوْره انكسارا وفتوراً ، لا ترى فيه ورقة قائمة .

قال ابن المعتز :

وسْنانُ قد خدَعَ النعاسُ جفونَه فحكى بمقلته ذبولَ النرجسِ (٢)

ويشبهون : «السيوف بالبرق» كقول عنترة :

حسامٌ كالعقيقةِ فهو كِمعي سِلاحي لا أفلّ ولا فُطار (٣)

العقيقة : البرق المنعق ، أي المنشق . والكمع ، كحمل : الضجيع . والأفل : المنثلم . والفطار ، بضم أوله : المنشقق .

ثم يشبهون «البروق بالسيوف» كقول ابن المعتز :

وساريةٍ لا تمـــلّ البكا جرَى دمعها في خدودِ الثّرى

(١) الثنايا : جمع ثنية — كمطية — وهي الأضراس الأربعة التي في مقدم الفم ثنتان من أعلى ، وثنتان من أسفل .

(٢) الوسن — محركة — وبالتاء ، وبسكون السين ، وكعدة ، شدة النوم أو أوله .

(٣) الكمع — بكسر أوله — ومثله الكميع ، ومن معانيه : القباء ، وقد تقدم شرح العقيقة .

سرَتْ تقدحُ الصبْحَ في ليلها ببرقٍ كهنديةٍ تنْتضى(١)

السارية : السحابة ، واستعار البكاء للأمطار استعارة تصريحية أصلية ، والدمع ترشيح ، والخدود ، جمع خد وهو : الحفرة المستطيلة كالأخدود ، وهو تورية ، إذ يتوهم من ذكر البكاء والدمع أنه خد الوجه . ومعنى « تقدح الصبح ببرق » : أنها تظهر برقا شبيهاً بالصبح ، وهو من التجريد ، المعتبر من التشبيه عند الشيخ ، ووجه الشبه بين البرق والسيوف : البياض ، واللمعان ، والاستطالة ، والاضطراب .

وقال السَّلامي(٢) يصف «نار السَّذق(٣)» وهو عيد للفرس ، يكثرون فيه النيران :

وما زال يعلو عجاج الدُّخانِ إلى أن تكوَّن منه زُحل(٤)

---

(١) الهندية : السيوف ، وتنتضى : تسل من أغمادها .

(٢) هو أبو الحسن محمد بن عبد الله بن محمد المخزومي ، من ولد الوليد بن الوليد ابن المغيرة المخزومي أخي خالد بن الوليد بن المغيرة رضي الله عنه ، وسمى السلامي نسبة إلى دار السلام « بغداد » ولد في بغداد سنة ٣٣٦ هـ ٩٤٨ م ورحل إلى الموصل ثم أصبهان فاتصل بالصاحب بن عباد الذى رفع منزلته وأحله مكانته ، ويعد السلامي من أشعر أهل العراق ، لأنه رضع الشعر من ثدى أمه — وكانت شاعرة — ولهذا قاله وهو ابن عشر سنين وله ترجمة في اليتيمة ٢ : ٣٦٤—٣٩٨ ، الأعلام ٩٢٧ ، وفيات الأعيان « الطبعة القديمة » ١ : ٥٢٤ وغيرها ، توفى سنة ٣٩٣ هـ ١٠٠٣ م ولعلها تحريف .

(٣) قال في القاموس : « السذق محركة — ليلة الوقود ، معرب سذه » بالتحريك أيضا ، وهى فارسية ، لاشذه كما قال الشيخ رشيد ص ١٧٨ .

(٤) قبل هذا البيت في اليتيمة ص ٢٨٦ ج ٢ قوله :

ولم نر بحراً جرى بالعقار ولا ذهبا صيغ منه جبل

إلى أن جرت دجلة في الشموع وطنب بالنور أعلى القلل

سحاب الدخان وبرق الشرار ورعد الملاهى وغيث الجدل

وكنا(١) نرى الموْج من فضةٍ فذهّبه النورُ حتى اشتعل
شراراً كي انقضاض النجوم وبرقاً كإيماض بيض تسل

معنى تسكون زحل من الدخان : أن الدخان انقلب لهبا أحمر يشبه زحل في اللون ، وقيل : إن صحتها « تلوّن »(٢) وذلك كناية عن شدة ارتفاع الدخان ، وكان الموج شبيها بالفضة ، فصيره النور شبيها بالذهب . « حتى اشتعل » أي صار شبيها بالنار المشتعلة . أو « حين اشتعل » النور بعد الدخان ، ووجه الشبه بين الشرار والنجوم المنقضة : الاشتراك في اللون والسرعة ، والشاهد في الشطر الأخير .

ومن تشبيه « البرق بالسيوف » قول علي بن محمد بن جعفر الحمّاني(٣) :

دِمنٌ كأن رياضها يُكسين أعلامَ المطارف(٤)

---

(١) رواية اليتيمة « فكنا » .

(٢) وهي رواية اليتيمة .

(٣) هو الشاعر الكوفي علي بن محمد الأصغر بن جعفر بن محمد بن زيد بن علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب ، قال ابن حزم : المعروف بالحماني ، وقد ضبط الأستاذ « بروفنسال » كلمة « الحماني » بفتح الحاء وتشديد الميم ، راجع « جمهرة أنساب العرب » لابن حزم ص ٥٢ طبعة سنة ١٩٤٨ ، وفي القاموس « حمان بالكسر حي من تميم » ، ويظهر أن الأمر التبس على الشيخ أحمد المراغي فنسب شاعرنا هذا إلى « بني حمان ابن كعب بن سعد » ، وهذا لا يتفق مع كلام المحقق ابن حزم فما قال هو الصواب ، ومن المؤكد أن الأستاذ لم يطلع على جمهرة الأنساب لأنه طبع لأول مرة في ١٥ ديسمبر سنة ١٩٤٨ ، وكذلك أخطأه التوفيق حين قال « المتوفى في أواخر القرن الثالث عشر » فإن استشهاد عبد القاهر بشعره ينفي ذلك ، ولعل كلمة « عشر » زائدة سهوا ، راجع هامش طبعته ص ٢٣٥ .

(٤) أثبت الشيخ رشيد « ص ١٧٩ » كلمة « يكسين » محرفة فجعلها « تسكين » ثم أخذ يصححها تارة إلى « بسكين » أي بسكينة على التصغير ، وتارة إلى « تشكيل » وهذا وذاك خطأ صوابه ما هنا .

وكأنمـــا غدْرَانها فيها عشورٌ من مصاحِفْ
وكأنمـــا أنوارها تهتز فى نكباءَ عاصفْ
طررُ الوصائف يلتقيـ ـن بها إلى طررِ الوصائف(١)
باتت سواريهـا تمخـّـ ـض فى رواعدها القواصف
ثم انثنت سحًّا كبا كيةٍ بأربعةٍ ذوارفْ
وكأن لمع بروقهـا فى الجوّ أسيافُ المثاقفْ

الدمن هنا : المواضع القريبة من الديار ، وهى ما نسميه بالضواحى . والمطارف ، جمع مطرف كمعجم أو منبر : الثياب المنقوش أطرافها. وعشور المصاحف : العلامات المستديرة ، المشار بها إلى التقسيم المعلوم ، يشبه بها الغدير فى استدارتها ، وبياض وسطها . والطرر هنا : النواصى . والسوارى : السحب السارية . وتمخض تتحرك . والمثاقف : المجالد بالسيف والأربعة الذوارف : جوانب العينين ، والشاهد فى البيت الأخير .

ويشبهون « الجوشن - وهو الدرع - بالغدير » تحركه الريح ، فيتكسر ماؤه ، ويظهر فيه ذلك الشنج المعروف ، كقول أوس بن حجر(٢) :

وبيضاءَ زَغْـف نثلة سُلميّـة لها رفرف فوق الأنامل مرسَل(٣)
وأشـبر نِيها الهالِـكىُّ كأنها غدير جرَت فى مَتْنه الريح سلسل

(١) الوصائف جمع وصيفة وهى الخادمة .

(٢) هو أوس بن حجر بن مالك بن حزن بن عقيل بن خلف بن نمير ، ينتهى نسبه إلى تميم بن مرة مع اختلاف فيه ، هكذا فى معاهد التنصيص ، وقال ابن حزم : أوس ابن حجر - بضم اوله بالقلم - بن عتاب بن عبد الله بن عدى بن نمير بن أسيد - مصغرا - ابن عمرو بن تميم ، والأول موافق لما فى الأغانى نقلا عن الأصمعى وهو شاعر تميم فى الجاهلية غير مدافع ، توفى سنة ٢ ق ه ، ٦٢٠ م ، وترجمته فى الأغانى ص ٦ ج ١٠ ، الشعر والشعراء ٢٥ « اولى » ، ٥٤ ج ١ بتحقيق شاكر ، وجمهرة أنساب العرب ص ٢٠٠ الأعلام ١٢٣ ، خزانة الادب ص ٢٣٥ ج ٢ شاهد ٣١٤ .

(٣) رواية الاسرار ص ١٨٠ « من عل » وهى خطأ .

الزغف : الدرع الواسعة المحكمة . والنثلة : الطويلة . والسلمية : المنسوبة إلى سليمان عليه السلام بتحريف الاسم(١) ، كما قال الآخر(٢) :

• من نسج سلام(٣) •

وهو خطأ من جهتين : لذلك التحريف ، ولأن صانع الدروع هو داود عليه السلام . وأشبرنها : أعطانيها . والمالكي : الحداد ، ومن ذلك قول عبد القيس بن خفاف البرجمي(٤) :

وسابغةٌ من جيـاد الدُّرُو ع تَسمَعُ للسيف فيها صليلا(٥)
كمَتْن الغدير زهته(٦) الدَّبُور يجُرُّ المدجَّجُ منها فُضولا

---

(١) هذا مذهب من مذاهب العرب يعرف « بالتغيير » ويلجأ إليه عند الضرورة ومنه قول حسان :

إلى الزبعرى فإن اللؤم حالفه أو الاحاديث من أولاد عبود

أى من أولاد عابدين ، راجع رغبة الآمل ٣ : ٨٠
وقول النابغة :

وكل صموت نثلة تبعية ونسج سليم كل قضاء ذائل

راجع هذا الموضوع وكثيراً من أمثلته فى تعليقنا وتحقيقنا «مع الاستاذ الشيخ محمد الطناوى » على كتاب « نقد الشعر » لقدامة بن جعفر « باب عيوب اللفظ والوزن » وسيظهر قريبا إن شاء الله .

(٢) هو الحطيئة .

(٣) هذه كلمة من البيت :

فيه الرماح وفيه كل سابغة جدلاء محكمة من « نسج سلام »

(٤) شاعر جاهلى معاصر لحاتم الطائى وسماه المرزبانى « قيس بن خفاف » ، وكنيته أبو جبيل ، راجع معجم الشعراء ص ٣٢٥ وسمى « عبد قيس » فى الاغانى ٧ : ١٤٠ ، ٩ : ١٥٨ والمفضليات ٢ : ١٨٣ رقم ١١٦ ، وفى الحماسة ٢ : ٢٥٨ كما هنا ، وزعم السيوطى فى شرح شواهد المغنى ٩٥ أنه إسلامى وهو غير صحيح .

(٥) البيتان من قصيدة ، ذكرت أبياتها فى الحماسة والمفضليات ٢ : ١٨٦ .

(٦) رواية المفضليات « زفته » بمعنى دفعته وطردته .

زهته : حركته . والدبور : ريح تقابل الصَّبا . والمدجج : لابس السلاح .

ومنه قول البحترى :

يمشون فى زغفٍ كأن مُتونها فى كلّ مَعركة مُتونُ نِهاء

الزغف : يقال للمفرد كما سبق ، وللجمع كما هنا . والمتون : الظهور . والنهاء : بكسر النون جمع نهى بفتحها أو كسرها : الغدران .

ثم يعكسون ، فيشبهون « الغدران والبرك بالدروع » ، قال البحترى يصف بركة :

إذا زهتها الصَّبا أبْدَت بها حُبُكا مثل الجواشن مصقولا حواشيها(١)

زهتها : حركتها . والحبك ، بضمتين ، من الماء والشعر : الجعد المتكسر منهما(٢) ، ومن ذلك قول أبى فراس(٣) :

---

(١) رواية الديوان « علتها » .

(٢) هذه عبارة القاموس ، وهى توهم أنه مفرد ، والحقيقة أنه جمع — مثل حبك كهرد وحبيك — والمفرد حباك أو حبيكة ، ومعناها الطرائق ، كالتى تحدثها الريح فى الماء والرمل ، قال الزمخشرى : وحبك الشعر آثار تثنيه وتكسره ، قال زهير :

مكلل بأصول النجم تنسجه ريح خريق لضاحى مائه حبك

وقرىء فى الآية « والسماء ذات الحبك » بضمتين ، وكقفل ، وسلك ، وجبل ، وبرق ، وعنب ، وإبل ، وراجع كتب اللغة خاصة أساس البلاغة ١ : ١٥٠ ، والكشاف ٤ : ٢٦ ، ٢٧ .

(٣) تقدم اسمه وبعض مراجعه فى ص ١٠ ، وترجم له أيضا فى وفيات الأعيان ٤ : ١٠٢ — ١١٤ « دار المأمون » وفوات الوفيات ٢ : ٨١ ، والأعلام ٢٠٢ ، وقد ولد سنة ٣٢٠ هـ ٩٣٢ م ، وتوفى قتيلا سنة ٣٥٧ هـ ٩٦٨ م .

أنظر إلى زَهَرِ الربيع   والماء فى بِرْكِ(١) البديع
وإذا الرِّياح جَرَتْ عليْـ   ـه فى الذَّهاب وفى الرجوع
نثرت على بِيض الصَّفا   ئح بيننا حَلَقَ الدروع

البديع : بستان ،مين(٢) . والصفائح : السيوف العريضة ، استعيرت لصفحة الماء . وحلق الدروع : استعارة للتكسر الذى يظهر على وجهه ؛ ووجه الشبه بين الدروع والماء الذى حركته الريح : هو ذلك التكسر والتجعد مع البياض واللمعان .

ويشبهون « أنوار الرياض بالنجوم » ، كقول البحترى يصف روضة :

بكَتِ السماءُ بها رَذاذَ دموعها   فغدَتْ تبسَّم عن نجوم سماءِ

بكت : استعارة تبعية بمعنى أمطرت . والدموع : ترشيح . وتبسم : استعارة تبعية أيضا بمعنى تتفتح أكامها . والنجوم : استعارة أصلية للأزهار ، مبنية على تشبيه الأزهار بالنجوم ، وهو محل الشاهد .

ثم يعكسون ، فيشبهون « النجوم بالنَّوْر » قال البحترى :

قد أقذِفُ العِيسَ فى ليْل كأن به
وشْياً من النَّوْر أو رَوْضاً من العُشب

الوشى : النقش : وكأن : للظن ، والمشبه به اسمها ، لأن التشبيه معنوى

(١) البرك — بفتح الباء وكسرها مع سكون الراء — الحوض ، ورواية عبدالقاهر « البرك البديع » وهى فى رأيى أجود مما هنا ، لأن البديع هو الجبل ، ولم يسم به مكان إلا قصر بناه المتوكل المتوفى سنة ٢٤٧ .

(٢) هكذا قال الشيخ المراغى هامش ص٢٣٨ .

لا لفظى — كما حقق ذلك فى صدر الكتاب — والمعنى : تظن بالليل وشيأ هو النورّ ، لأن نجومه شبيهة بالنور .

ومن ذلك تشبيه « الثريا بالنور المتفتح » فى شعر ابن المعتز السابق(١) وفى قوله أيضا :

وتوقد المريخ بين نجومها كبهارة فى روضة من نرجس

يشبه المريخ — ولونه أحمر — بين النجوم البيض بالبهارة بين النرجس ، فهل معنى هذا أن البهار يكون أحمر ، وأن النرجس يكون أبيض ، مع أن المعروف عكس ذلك ؟ الظاهر أن كلا منهما مختلف الألوان .

ويشبهون « غرة الفرس الأدهم بالنجم والصبح » وسائر جسمه بالليل ، كقول ابن المعتز فى فرس(٢) :

* قد سُمِّرَت جبهته بنَجْم *

النجم : استعارة أصلية للغرة . وقوله « سمرت » دليل على تشبيه هذه الغرة مرة أخرى بالمسمار على طريق الاستعارة بالكناية ، ووجه الشبه فى التشبيهين : الاستدارة ، والبياض .

وكقول عمرو بن مسعدة(٣) كاتب المأمون :

---

(١) هو قوله :

كأن الثريا فى أواخر ليلها مفتح نور أو لجام مفضض

(٢) قبله على رواية الديوان . قوله :

جاء سليلا من أب وأم لا أقلك من ولد بعقم

أدهم مصقول ظلام الجسم منتعل بجندلات صم

(٣) هو أبو الفضل عمرو بن مسعدة بن سعد بن صول الصولى من جلة كتاب

وجهه صبحٌ ولكنْ سائر الجسم ظلام(١)

وقول ابن نباتة(١) :

وأدهمَ يستمدُّ الليلُ منه وتطلعُ بين عينيه الثريا(٢)

استعار الثريا لغرة الفرس بعد تشبيهها بها .

ثم يعكسون ، فيشبهون ، النجم أو الصبح بغرة الفرس ، كقول ابن المعتز :

والصبحُ فى طرَّة ليلٍ مسفرٍ كأنه غرَّة مهرٍ أشقرِ

= المأمون وأهل الفضل والبراعة والشعر منهم وفى تعليق الشيخ المراغى ٢٣٩ أنه «عمر» ولعله تحريف وأخباره مفرقة فى كتب الادب والتاريخ ، وقد ترجم له فى معجم الأدباء ١٦ : ١٢٧ ، والفهرست ٢٣٦ ، والأعلام ٧٣٩ كما ترجم له فى وفيات الأعيان وغيره وتوفى سنة ٢١٧ هـ ، ٨٣٢ م .

(١) هذا بيت من سبعة ـ ذكرها ياقوت ص ١٣٠ ج ١٦ ، وذكر عبد القاهر أربعة منها ـ فى وصف فرس جواد كان لمحرو ، وبلغ المأمون خبره ، فخاف أن يأمر الخليفة بارساله إليه دون أن يكون له فضل فى ذلك ، فأرسله ومعه الابيات ، وأولها :

يا إماما لا يدانيـ ـه ـ إذا عد ـ إمام

وقبل بيتنا قوله :

فرس يزهى به للـ ـحسن سرج ولجام

دونه الخيل كما دو نك فى الفضل الانام

وبعده ـ وهو آخرها ـ قوله :

والذى يصلح للمو لى على العبد حرام

(٢) أى السعدى عبد العزيز بن عمر المتقدم ذكره ص ١٠٥ والمتوفى سنة ٤٠٥ هـ وله ترجمة فى وفيات الاعيان ٢ : ٢ ـ الطبعة القديمة ـ واليتيمة ٢ : ٣٤٩ ـــ ٣٦٤ ، ولا وفيها أنه عبد العزيز بن محمد » ، والاعلام ص ٥٢٧ .

(٣) البيت فى اليتيمة ص ٣٦٢ ج ٢ وبعده :

سرى خلف الصباح يطير مشيا ويطوى خلفه الافلاك طيا

فلما خاف وشك الفوت منه تشبث بالقوائم والمحيا

أراد بالطرة : طرف الليل وآخره . والمسفر : الداخل فى الإسفار(١) والأشقر : الأحمر ، ووجه الشبه : الهيئة الحاصلة من ظهور بياض فى حمرة منبسطة .

ويشبهون : « الجوارى بالسرو ، وبالرمح ، وبالعيدان - بفتح العين ، وهى أطول ما يكون من النخل - » كقول ابن مقبل :

يهززن للمشى أوصالا منعمة … هز الجنوب ضحى عيدان يبرينا(٢)
أو كاهتزاز رديني تداوله … أيدى التجار فزادوا متنه لينا

ويعكسون ، فيشبهون : « السرو بالجوارى » كما فى بيتى أحمد بن سليمان ابن وهب السابقين فى تشبيه هيئة الحركة ، وكقول ابن المعتز :

لدى نرجس غض وسرو كأنه … قدود نساء ملن فى أزر(٣) خضر

ويشبهون : « ثدى الكواعب بالرمان » كقول السلامى(٤) :

ربما تبيت أناملى … يجنين رمان النهود(٥)

---

(١) اى ظهور ضوء الصبح .

(٢) يبرين او أبرين ، من أصقاع البحرين ، ويبرين أيضاً قرية من قرى حلب راجع مادتى أبرين ويبرين فى معجم البلدان ج ١ ٨٠١ .

(٣) الازر : جمع إزار وهو الملحفة أو كل ما ستر البدن .

(٤) تقدمت ترجمته قريبا .

(٥) روى هذا البيت فى أسرار البلاغة ص ١٨٣ « رمان النحور » ، وقال الشيخ أحمد المراغى فى تعليقه ص ٣٤٢ ، إن البيت من القصيدة التى مطلعها .

عدل الحبيب فمن يجور … ودنا فأين بنا يسير ؟

وقد رجعت إلى هذه القصيدة فى اليتيمة ٣٨٤ ج ٢ فلم أجد هذا البيت .

إضافة « رمان » إلى «النهود» من إضافة المشبه به إلى المشبه، و «يجنين» ترشيح للتشبيه، أو استعارة تبعية.

وقول المتنبي :

وقابلني رمانتا غصن بانةٍ يميل به بدر، ويمسكه حقف(١)

استعار الرمانتين للثديين، وغصن البانة للقد، والبدر للوجه، والحقف للردف، استعارة تصريحية أصلية.

ومن ذلك قول النابغة(٢) في أسيرات :

يخطّطن بالعيدان في كل منزل ويخبأن رمان الثدى النواهد

« التخطيط بالعيدان » كناية عن الهم والحزن، قال ذو الرمة :

عشية مالى حيلة غير أنني
بلقط الحصى والخطّ في الأرض ـ مولع
أخط وأمحو الخط، ثم أعيده بكفيّ، والغربان في الدار وقع

ثم يعكسون، فيشبهون : « الرمان بالثدى » كقول أبي النصر سعيد ابن الشاه(٣) :

ورمانةٍ شبهتها إذ رأيتها بثدى كعابٍ أو بحقة(٤) مرمر

---

(١) الحقف : ـ كبئر ـ المعوج من الرمل جمعه احقاف وحقاف وحقوف وجمع الجمع حقائف وحقفة.

(٢) أى الذبيانى

(٣) من شعراء القرن الرابع.

(٤) الكعاب ـ كسحاب ـ الفتاة الناهد والحقة : وعاء من الخشب جمعه كقفل وقلوب وكتل وأبواب ورجال

مُشَعْشَعَةٍ ، صفراءَ ، نضّد حولها
يواقيت حمر فى ملاءٍ معصفر

البيت الثانى فى وصف الحبات الحمر المنتظمة حول لبّ الرمانة الأصفر المغطاة بالقشرة الرقيقة الصفراء ؛ استعار اليواقيت الحمر للحبات ، والملاء المعصفر - أى المصبوغ بالعصفر - للقشرة الرقيقة

ويشبهون : « الجداول والأنهار بالسيوف » كما قال ابن المعتز :

أعددتُ للجار وللعفاة كومَ الأعالى متـ ـاميات
روازقاً فى المحل مطعمات (١) تسقى بأنهار مفجرات
على حصى الكافور فائضات مثل السيوف المتفرّيات

أراد بكوم الأعالى : نخلا كثيرة السعف ، تشبيهاً لها بالكوم ، جمع كَوْماء ، وهى الناقة العظيمة السنام ؛ وأراد بالسيوف المتفريات : المسلولة ، من تفرى البرق : انشق ولمع ؛ ووجه الشبه بين الأنهار والسيوف : هيئة البياض الصافى مع البصيص والاستطالة .

ومن ذلك قول ابن بابك :

فما سَيْل تُخلّصه المحانى كما سلّتْ من الخِلَلِ المناصل

المحانى ، جمع محنية ، بوزن تورية : وهى منعطف الوادى ؛ والخلل بكسر أوله ، جمع خلة : وهى جفن السيف المغشى بالأدَم ؛ والمناصل ،

(١) بين الثلاثة الابيات السابقة والثلاثة اللاحقة ابيات أخر ، فهى ليست متوالية كما ترى وقد أشار عبد القاهر إلى ذلك ص ١٨٥ .

جمع منصل ، بضم الميم والصاد : وهو السيف .

وقول أبي فراس الحمداني(١) :

والماء يفصل بين زهـ ـر الروض فى الشطين فصلا
كبساط وشيٍ جرَّدت أيدى القيون عليه نصلا(٢)

يشبه هيئة الماء يفصل أزهار الروض ، الواقعة على شطيه بهيئة نصل - أى سيف - جردته القيون - أى صياقلة السيوف - على بساط موشى منقوش ، ووجه الشبه : هيئة ذلك البياض المستطيل البراق ، بين تلك الألوان المختلفة المنتظمة، على وجه بديع .

وقول النابغة الجعدي(٣) :

وفى الجداول أسيافٌ محادِثة والطير تسجع أهزاجاً وأرمالا(٤)

المحادثة : المصقولة .

(١) من قصيدة من رومياته قالها فى الاسر يسب الشامتين به ويحن إلى وطنه « منبج » وهى فى ديوانه وفى اليتيمة ١ : ٦٢ ، وراجع ما قيل فى وصف منبج وآثارها فى خلق الشاعرية فى ص ٢٩٢ - ٢٩٤ من رسالتنا « الباب الخامس ، الفصل الثانى » .

(٢) رواية الاسرار ص ١٨٥ « أيدى العيون » وهو تحريف بلا شك .

(٣) اختلف الناس فى اسمه فقيل : قيس بن عبد الله بن عدس ، وقيل عبد الله وقيل حيان بن قيس ، وفى القاموس أنه قيس بن عبد الله ، وفى شواهد المغنى والاغانى : حسان بن قيس بن عبد الله شاعر مخضرم أسلم وكانت له صحبة وعمر طويلا ثم توفى سنة ٥٠ هـ ٦٧٠ م ، وأخباره وترجمته فى جمهرة الانساب ٢٧٢ ، الاغانى ٤ : ١٢٨ ، الاصابة ٢ : ٢١٨ برقم ٨٦٣٩ الاستيعاب ٣٢٠ ، أسد الغابة ٥ : ٢ — ٤ ، المعمرين ٦٤ ، الخزانة شاهد ١٨٦ ، اللآلىء ٢٤٧ المؤتلف ص ١٩١ ، معجم الشعراء ٣٢١ وغيرها :

(٤) الهزج والرمل نوعان من الالحان .

[illegible]

وقال [illegible] (١) :

البيت الثاني [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

أعربت للعار والعفاة [illegible] كرم [illegible]

وراوا [illegible] مطرات (١) [illegible]

[illegible] :

عرضن [illegible] مثل السيوف [illegible]

أراد بكريم الأعمال [illegible] كثرة [illegible] الكريم [illegible]

كوماء [illegible] وهي الناقة العظيمة السنام [illegible] وأراد بالمسبوق [illegible]

المسلوكة من مجرى البرق [illegible] وجه الشبه بين الأنهار والسيوف :

هيئة البياض الصافي مع البصيص والاستطالة

[illegible]

التقديم والتأخير

فضل التقديم : وصفه الشيخ بأنه باب كثير الفوائد ، جم المحاسن ، واسع التصرف ، لايزال يفتر لك عن بديعة ، ويفضى بك إلى لطيفة ، ولاتزال ترى شعرا يروقك ، ويلطف لديك ، ثم تنظر فتجد سبب ذلك : أن قدم فيه شيء ، وحول اللفظ من مكان إلى مكان(١).

تقسيمه : قسمه إلى قسمين :

تقديم على نية التأخير ، وهو مايبقى المقدم فيه على حكمه الذى كان له قبل التقديم ، نحو قولك : منطلق زيد ، وعمرا ضربت ، وراكبا جئت ؛ فلا يزال الأول خبراً ، والثانى مفعولا ، والثالث حالا .

وتقديم لاعلى نية التأخير ، وهو ماينقل فيه المقدم من حكم إلى حكم ، ومن إعراب إلى إعراب ، مثل قولك : زيد ضربته ، أصله : ضربت زيداً ، فقدمت المفعول به ، وجعلته مبتدأ ، وأعربته بالرفع بعد أن كان منصوباً . وكذلك قولك : زيد المنطلق ، والمنطلق زيد ، إذا جعلت المقدم فى كل منهما مبتدأ ، لاقتضاء المقام ذلك ، فقد تقرر أنه إذا كان معك اسمان معرفتان ، فأيهما كان معلوما ، يطلب الحكم عليه ، فهو المبتدأ ، وأيهما كان بحيث يطلب الحكم به ، فهو الخبر ، فاذا عرف المخاطب « زيدا » ورأى شخصاً منطلقاً ، فإن كان مستشرفاً لأن تحدثه عن « زيد » فقل له : زيد المنطلق ، وإن كان مستشرفا لأن تحدثه عن « المنطلق » فقل له : المنطلق زيد ، فالمقدم فى كل منهما مبتدأ ، والمؤخر خبر ، فلم يبق على حاله الذى كان عليه قبل .

(١) ص ٨٣ من دلائل الاعجاز .

ملاحظة : هذا التقسيم بيان للواقع من أمر التقديم ، والأحكام الآتية عامة فى كلهما ، فسيذكر حكم تقديم المفعول . وهو من القسم الأول وحكم تقديم الفاعل ، وهو من الثانى .

سبب التقديم وأثره : لم يعن أحد من المتقدمين — فيما يبدو — بأمر التقديم ، ولم يبينوا ماله من أثر فى معنى الكلام على النحو الذى نحاه الشيخ ، وكان عمدتهم فى بيان سبب تقديم ما قدم أن يقولوا : قدم للعناية به ، ولأن ذكره أهم ؛ قال سيبويه — وهو يذكر الفاعل والمفعول — : « كأنهم إنما يقدمون الذى بيانه أهم لهم ، وهم بشأنه أعنى — وإن كانا جميعا يهمانهم ويعنيانهم(١) — » ، ولم يبين لم يعنون بهذا دون ذاك ، وما سر كون أحدهما أهم من الآخر ؟

وقد فسر النحويون ذلك : بأنه قد يكون غرض الناس معرفة وقوع الفعل على المفعول ، ولا يهمهم من فعله ؛ كما إذا عاث خارجى(٢) فى الأرض فسادا ، ثم قتل ، فينبغى أن يقال لهم : قتل الخارجى فلان ، بتقديم المفعول ، لأنه الذى يعنيهم . فإذا كان هناك رجل جبان ، لا يتصورون منه القتل ، فقتل إنسانا ، فينبغى أن يقال : قتل فلان فلانا ، بتقديم الفاعل ، لأن الذى يعنى الناس من هذا القتل طرافته ، وإنما جاءت هذه الطرافة من وقوعه من الفاعل ، لا من وقوعه على المفعول .

وقد رضى الشيخ هذا البيان ، وقال(٣) : « إنه جيد بالغ ، ولكن ينبغى

---

(١) « الكتاب » (١ : ١٥) ، طبعة بولاق .

(٢) أى أحد الخوارج ، وهم الذين خرجوا على على رضى الله عنه عقب حادثة التحكيم المشهورة ، ثم نمت قوتهم ولقيت الدولة الاموية منهم كل عناء .

(٣) ص ٨٥ دلائل الاعجاز ، وعبارة عبد القاهر : « فهذا جيد بالغ الا أن الشأن فى أنه ينبغى أن يعرف فى كل شىء قدم فى موضع من الكلام الخ » .

أن يعرف مثل ذلك فى كل شىء قدم فى الكلام ».

« على أن تقديم الفاعل على المفعول ، أو عكسه ليس ذا أثر كبير فى مغزى الكلام ، فأين هو من تقديم المسند ، وتقديم المسند إليه ، وتقديم معمولات الفعل فى الخبر المثبت والمنفى ، والاستفهام بأنواعه ، مماله شأن فى تقويم المعنى ، ونقله من حال إلى حال تحقيقاً لغرض المتكلم ؟؟ ».

وقد بسط الشيخ ذلك بسطا وافيا يدل على رسوخ قدم ، ونفاذ بصيرة ، وسعة إحاطة بأسرار العربية .

وقد عاب من يكتفى بقوله : « قدّم للعناية ، أو لأن ذكره أهم » من غير أن يبين من أين جاءت تلك العناية ، ولم كان ذكره أهم ؟ وذهب فى النعى عليهم كل مذهب ، لأن ذلك قد صغَّر فى نفوسهم أمر التقديم والتأخير وغيرهما من أنواع الفروق ، وذهب بهم عن معرفة البلاغة ، وصرفهم عن إدراك سر الإعجاز ، وذلك خيانة منهم لعقولهم ودينهم .

* * *

« إعلم أن من الخطإ أن يقسم الأمر فى تقديم الشىء وتأخيره قسمين : فيجعل مفيداً فى بعض الكلام ، وغير مفيد فى بعض ... الخ »(١)

يريد الشيخ أن يقول : إن كل تقديم لابد أن يكون لغرض معنوى ، أى أن يفيد فائدة ترجع إلى معنى الكلام ، وأن من يزعم أن التقديم ضربان :

أحدهما : يفيد فائدة معنوية ترجع إلى معنى الكلام .

والآخر : لايفيد ذلك ، بل يكون الغرض منه أمراً لفظيا ، كالتوسعة

(١) دلائل الاعجاز ص٨٦.

على الشاعر والكاتب ، حتى يستقيم للأول وزنه ، وتطرد قافيته ، ويتأتى للثاني سجعه .

من يزعم ذلك فهو مخطىء ، عادل عن سبيل الصواب .

حجة الشيخ : احتج الشيخ على دعواه هذه بأنا قد تأملنا كلام العرب فوجدنا التقديم فى مواضع شتى منه إنما جاء لغرض معنوى ، ومن البعيد أن يكون فى نظم الكلام مايدل تارة ، ولايدل أخرى ، فمتى ثبت أن تقديم المفعول مثلا على الفعل فى كثير من الكلام قد أفاد فائدة لاتكون مع تأخيره عنه ، فقد وجب أن يطرد ذلك فى كل شىء ، وكل حال .

وكان ينبغى لمن زعم أن التقديم قد يكون لغرض لفظى فقط — وأما من حيث المعنى فالتقديم وتركه سواء — أن يدعى أنه كذلك فى عموم الأحوال أما جعله لفائدة معنوية تارة ، ولغرض لفظى أخرى فمما لايصح القول به

هذا تفصيل مراد الشيخ فى هذه النبذة .

وقد خالفه فى دعواه هذه كثير من الباحثين فى هذا الشأن :

فصاحب « المثل السائر(١) » بعد أن نقل نحو هذا عن علماء البيان ، وعن الزمخشرى قال :

« الذى عندى أن التقديم يستعمل على وجهين — يريد تقديم المفعول على الفعل — : أحدهما إفادة الاختصاص ، والآخر مراعاة نظم الكلام ،

---

(١) هو ضياء الدين أبو الفتح نصر الله بن أبى الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الموصلى المعروف بابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٧ هـ ، وله أخوان ، أحدهما المؤرخ الثقة أبو الحسن عز الدين بن الأثير صاحب « الكامل » فى التاريخ ، والمتوفى سنة ٦٣٠ ، والثانى مجد الدين بن الأثير ، أحد كبار المحدثين وصاحب كتابى « جامع الأصول فى أحاديث الرسول » و « النهاية فى غريب الحديث » ، وقد توفى سنة ٦٠٦ هـ .

وذلك أن يكون نظم الكلام لايحسن إلا بالتقديم، وإذا أخّر المقدم ذهب ذلك الحسن ، وهذا الوجه أبلغ ، وآكد فى الاختصاص، وساق من الأمثلة قوله تعالى : « خذوه فغلوه ، ثم الجحيمَ صلوه ، فإن تقديم « الجحيم » على « التصلية » ليس للاختصاص ، وإنما هو للفضيلة السجعية ، ولامراء أن النظم على هذه الصورة أحسن من قولنا : ثم صلوه الجحيم ، ومثل ذلك : « ثمَّ فى سلسِلَة ذرْعُها سبْعونَ ذراعاً فاسْلكوهُ » ، وعليه قوله تعالى : « فأمَّا اليتيمَ فلا تقْهرْ وأمَّا السائِلَ فلا تنهرْ » ، إنما قدم المفعول لمكان حسن النظم السجعى(١) » ، وعلى ذلك جرى علماء البلاغة المتأخرون . قال السعد(٢) : « إن تقديم المفعول به قد يكون لأغراض أخر ، منها ضرورة الشعر ، ورعاية السجع والفاصلة ، وذكر بعض الأمثلة السابقة .

مسائل التقديم والتأخير : شرع الشيخ بعد ذلك يأتى بمسائل لا يشك أحد أن تقديم الاسم فيها على الفعل ، أو تقديم الفعل على الاسم إنما كان لغرض معنوى ، ثم أخذ يبين ذلك الغرض ، ويفرق بين التقديم والتأخير ، وهذه المسائل هى :

الاستفهام حقيقياً كان ، أو تقريريا ، أو إنكارياً .

والخبر مثبتاً كان ، أو منفياً ، ومنه : « مثل ، وغير » .

---

(١) ص ١٧٨ من المثل السائر « طبع المطبعه البهية سنة ١٣١٢ هـ » ، وراجع مبحث التقديم والتأخير فيه من ص ١٧٧–١٨٣ .

(٢) راجع شروح التلخيص ص ١٥١ ج ٢ « مختصر السعد » . وراجع أيضاً ص ٢٠٠ من المطول .

الاستفهام الحقيقى

نحب قبل تلخيص كلام الشيخ أن نذكّر بما هو معلوم من باب الإنشاء فى « الإيضاح(١) » فقد يكون فيه فائدة .

علم هناك :

١ — أن الاستفهام : « هو طلب الفهم بأداة مخصوصة(٢) » . والمستفهم عنه ضربان : تصديق ، وتصور ، لأنه إن كان نسبة ، أى ثبوت أمر لأمر أو انتفاءه عنه : فتصديق ، وإلا فتصور ، فالأول كقولك لمن أخبرك أنه سيتزوج « هل تزوجت ؟ » ولمن لا تعلم أنه متزوج ، « أتزوجت ؟ » . والثانى كقولك : « ما الإنسان ؟ مَن عندك ؟ متى تحضر ؟ أزيد عندك أم عمرو ؟ »

٢ — وأن أدوات الاستفهام إحدى عشرة كلمة : حرفان وهما : « الهمزة وهل » ، وتسعة أسماء ، وهى : « من ، وما ، ومتى ، وأيان ، وأين ، وأنى ، وكيف ، وكم ، وأى » .

فالهمزة تكون تارة لطلب التصديق ، وتارة لطلب التصور ، و « هل » مختصة بطلب التصديق ، والباقى مختص بطلب التصور ، وسنتكلم عن « الهمزة » فقط ، لأن الشيخ لم يذكر غيرها ، ولأنها هى التى يظهر فيهـــا الفرق بين التقديم والتأخير .

الهمزة — :

تكون الهمزة لطلب التصديق إذا كان المطلوب بها ثبوت شىء لشىء ،

---

(١) راجع بحث الاستفهام كله هناك « بغية الإيضاح ٢ : ٥٥ — ٧٢ » .

(٢) راجع شرح هذا التعريف بتفصيل فى عروس الأفراح « ص ٣٠٧ ج ٢ شروح التلخيص » .

أو انتفاءه عنه ، مثل : « أأنت متزوج ؟ ألك ولد ؟ أفهمت المسألة ؟» فأنت لا تقصد فى ذلك إلا أن تعرف ثبوت الخبر للمبتدأ ، أو الفعل للفاعل ، أو انتفاءهما عنهما .

ومن ذلك : « أبنيت الدار التى كنت على أن تبنيها ؟ أقلت الشعر الذى كان فى نفسك أن تقوله ؟ أفرغت من الكتاب الذى كنت تكتبه ؟ » فإن المطلوب هنا أيضا معرفة ثبوت الفعل للفاعل ، أو انتفائه عنه .

ومن خصائص الهمزة إذا كانت للتصديق :

(١) أنه لا يؤتى لها بمعادل، لا لفظاً ولا تقديراً ، ولذلك لا يصح بلاغة أن تقول : « أفهمت المسألة أم لا ؟ » لأن ذكر « أم لا » عبث ، إذ هو معنى الاستفهام ، فهو مفهوم منه .

(٢) أن الجواب عنها يكون بنعم ، أو لا ، وذلك ظاهر فى الأمثلة المارة.

التصور :

وتكون الهمزة لطلب التصور إذا كان المطلوب بها شيئاً آخر غير الثبوت والانتفاء ، بأن تكون النسبة معلومة ، والمطلوب : تعيين المسند أو المسند إليه ، أو الحال ، أو المفعول ، أو الظرف ، أو غير ذلك من المتعلقات، نحو: « أأكرمت زيداً أم أهنته؟ أشتريت هذا الكتاب أم استعرته؟ أشاعر أنت أم كاتب ؟ أأنت بنيت هذه الدار أم أبوك ؟ أأنت قلت هذا الشعر أم أخوك؟ أزيد عندك أم عمرو؟ أزيداً رأيت أم عمراً ؟ أراكباً جئت أم ماشياً ؟ أيوم الخميس حضرت أم يوم الجمعة ؟ » .

فى كل هذه الأمثلة تجد النسبة معلومة ، والسؤال عن مفرد مرتبط بها ، أى أنك تعلم أن أحد الأمرين كائن ، ولكنك تجهل عينه ، فتطلب تعيينه .

ومن خصائص الهمزة إذا كانت للتصور :

(١) أن يكون لها معادل « بأم » لفظاً - كما سبق فى الأمثلة - أو تقديرا لدليل يدل عليه كقولك : « أأنت قلت هذا الشعر ؟ » فإنك لا تقدم الفاعل على الفعل بعد الهمزة إلا إذا كنت تردد الأمر بينه وبين غيره ، وتطلب تعيين الفاعل ، فالتقدير : أأنت قلته أم فلان ؟ .

(٢) أن الجواب عنها يجب أن يكون بتعيين المسئول عنه ، من فعل ، أو فاعل ، أو غيرهما ، ولا يصح « نعم » ولا « لا » ، فلا يصح فى الأمثلة السابقة أن تقول : نعم ، أو : لا ، فى الجواب ، بل يجب أن تقول مثلا : أكرمته ، اشتريته ، شاعر ، أبى ، أنا ، زيد ، عمراً ، راكبا ، يوم الخميس ، وهكذا .

تنبيهات :

١ - إذا كان للهمزة معادل بأم المتصلة لفظا ، فهى لطلب التصور قطعا.

٢ - إذا قدم بعدها فاعل الفعل ، أو مفعوله ، أو متعلق آخر من متعلقاته على الفعل ، فهى لطلب التصور أيضاً كما فى الأمثلة السابقة ، سواء ذكر لها معادل أم لم يذكر ، ويكون فى هذه الحال مقدراً .

٣ - إذا وقع بعدها جملة فعلية بدون معادل ، ولم يتقدم على الفعل معمول من معمولاته ، فهى لطلب التصديق ، ولا يقدر لها معادل إلا إذا قامت قرينة على أن الشك فى نفس المسند - وهو الفعل - لا فى النسبة ، وحينئذ تكون لطلب التصور ، ويقدر لها معادل ويكون الجواب بالتعيين ، كما إذا قلت لإنسان : « إنى سأشترى كتاب كذا ، أو أستعيره » ثم رآه بيدك بعد ذلك فقال لك : أشتريت الكتاب ؟ » فان الحديث السابق بينكما قرينة على

أنه يريد أن يعلم أى الأمرين حصل ؟ ، فالمعادل مقدر ، أى أشتريته أم استعرته ؟ والجواب يكون بتعيين أحد الأمرين ، والهمزة للتصور .

٤ ـ وهكذا إذا وقع بعدها جملة اسمية بدون معادل ، فالظاهر أنها لطلب التصديق ، إلا إذا قامت قرينة على أن الشك ليس فى النسبة ، وإنما هو فى مفرد من المفردات ، فانها حينئذ تكون لطلب التصور ، ويقدر لها معادل ويكون جوابها بالتعيين .

حكم المسئول عنه بها : يجب أن يلى الهمزة المسئول عنه فى الاستفهام وأن يقدم على ماعداه مما هو مسلم معلوم غير مسئول عنه ، فاذا علمت أن عندى رجلا ، وترددت فى أنه زيد أو عمرو ، فقل : « أزيد عندك أم عمرو ؟ » وإذا علمت أن زيداً موجود ، وترددت فى أنه فى البيت أو فى المسجد ، فقل : « أفى البيت زيد أم فى المسجد ؟ » وإذا رأيت معى كتابا ، ولم تعرف سبب حصولى عليه ، فقل : « أشتريت الكتاب أم استعرته ؟ » وإذا رأيت دارا ، ولم تدر من بناها ، فقل : « أزيد بناها أم عمرو ؟ » وهكذا إذا ترددت فى المفعول ، أو الظرف ، أو الحال ، أو غير ذلك ، فإنك تقدم المسئول عنه .

تنبيه : إنما يظهر تقديم المسئول عنه إذا كان المطلوب بالهمزة التصور ، لأن المسئول عنه يكون حينئذ مفرداً ، يمكن إيلاؤه الهمزة . أما إذا كان المطلوب بها التصديق فلا يظهر ذلك فيها ، لأن التصديق نسبة بين الطرفين ، وليس أحد الطرفين أولى بهذه النسبة من الآخر ، ثم هى أمر معنوى ، ليس له لفظ يدل عليه حتى يمكن تقديمه ، بل هى ارتباط بين الطرفين . وإذاً فالحكم السابق ـ وهو وجوب إيلاء المسئول عنه الهمزة ـ لايتأتى إذا كانت لطلب التصديق ، فهو خاص بما إذا كانت لطلب التصور .

فإن قلت : وكيف يؤتى بالجملة بعدها إذا كانت لطلب التصديق .

فالجواب : أنه يؤتى بها على ما ينبغي أن تكون عليه قبل الاستفهام ، تقول : « أقلت شعراً ؟ أزيد عندك ؟ أعندك رجل ؟ » لأنك هكذا تقول بدون استفهام : « قلتُ شعراً ، زيد عندى ، عندى رجل » .

هذه خلاصة وجيزة مما قرره علماء البلاغة فى هذا الموضوع ، قدمناها توطئة وتمهيداً لبيان ما أراده الشيخ فى الفرق بين التقديم والتأخير فى الاستفهام الحقيق ، والله الموفق .

* * *

ولنشرع الآن فى شرح كلام الشيخ رحمه الله :

إعلم أن الفرق بين تقديم الفعل ، وتقديم الاسم عقب الهمزة فى الاستفهام الحقيق يتلخص فى أن الذى يلى الهمزة هو المشكوك فيه والمسئول عنه(١).

فاذا بدأت بالفعل بعد الهمزة ، أفاد ذلك أنك شاك فى الفـــعل على أحد وجهين :

(١) إما من جهة ثبوته للفاعل ، أو انتفائه عنه ، وذلك إذا كانت الهمزة لطلب التصديق نحو قولك : « أبنيت الدار التى كنت على أن تبنيها ؟ أقلت الشعر الذى كان فى نفسك أن تقوله؟ أفرغت من الكتاب الذى كنت تكتبه؟» فإنك لا تطلب إلا أن تعرف ثبوت الفعل للفاعل أو انتفاءه عنه ، لأنك شاك فى ذلك ، ولذلك يكون الجواب : نعم ، أولا .

(٢) وإما من جهة ثبوته أو ثبوت فعل آخر مكانه ، وذلك إذا كان المطلوب بالهمزة تصور الفعل المسند نحو قولك : «أجرحته أم قتلته؟ أبعت

---

(١) راجع هذا البحث ص ٨٧ وما بعدها من « دلائل الاعجاز » .

ساعتك أم أصلحتها ؟ أأكرمته أم أهنته ؟ أشتريت هذا الكتاب أم استعرته، فإنك لا تقصد إلى النسبة ، لأنك تعلم أن أحد الأمرين حاصل ، وإنما تريد بسؤالك تعيين الحاصل منهما ، لأنك لا تعلمه ، ولذلك لا يصلح الجواب إلا بتعيين أحدهما . وهذا الوجه لم يذكره الشيخ .

وإذا بدأت بالاسم بعد الهمزة ، أفاد ذلك أنك شاك فى المقدم فقط ، أما الفعل نفسه فمعلوم الثبوت لاشك فيه ، وإنمـــا تريد أن تعرف فاعله أو مفعوله أو غير ذلك ، ويتعين أن تكون الهمزة حينئذ للتصور ، وأن يكون لها معادل بأم المتصلة ، مذكور أو مقدر ، نحو : « أأنت بنيت هذه الدار أم أبوك ؟ أأنت قلت هذا الشعر أم أخوك ؟ ازيداً رأيت أم عمراً ؟ أيوم الخميس جئت أم يوم الجمعة ؟ الخ » فالفعل فى كل هذا مسلم معلوم ، غير مشكوك فيه ، وإنما الشك فى فاعله ، أو مفعوله ، أو وقته ، أو غير ذلك وأنت تطلب بسؤالك تعيينه ، وهكذا الحكم إذا لم تذكر « أم » وما بعدها كأن تقول : « أأنت بنيت هذه الدار ؟ أأنت قلت هذا الشعر ؟ الخ » فإن « أم » تكون منوية مقدرة ، بدليل تقديم الاسم على الفعل ، فإنك لا تقدمه إلا إذا كنت تعلم أن الفعل حاصل ، لا شك فيه عندك ، إنما الشك فى فاعله مثلا ، وتطلب تعيينه من بين من يظن أن الفعل مرتبط به .

إذا تقرر هذا ، وتبين منه أن المسئول عنه بالهمزة هو ما يليها من فعل أو اسم ، ظهر لك فساد وضع أحدهما فى موضع الآخر ، أى أن يكون الشك فى الفعل فتقدم الاسم ، أو يكون الشك فى الاسم فتقدم الفعل .

ففاسد أن تقول : « أأنت بنيت الدار التى كنت على أن تبنيها ؟ » فإن تقديم الاسم يشعر أنه هو المشكوك فيه ، وأن الفعل ثابت لا شك فيه ، مع أن الشك إنما هو فى ثبوت الفعل لا فى الفاعل ، وكذلك لا يصح أن تقول : « أأنت جرحت فلانا أم قتلته ؟ » لهذا السبب نفسه ، فإن تقديم الاسم يشعر

أنه هو المشكوك فيه ، والمعادل يدل على أن الشك فى الفعل لا فى الفاعل .

ولا يستقيم أيضاً أن تقول : أبنيت هذه الدار ؟ ، لأن تقديم الفعل يفيد أنك شاك فى بنائها ، مع أن الإشارة إليها تدل على أنها مبنية مشاهدة ، وإنما الشك فى البانى .

وهكذا لا يصح أن تقول : « أقلت هذا الشعر ؟ » إذ يفيد أنك شاك فى القول ، مع أنه لا شك فيه .

دليل على ثبوت هذا الفرق : ومما يؤيد الفرق بين تقديم الاسم على الفعل ، وتقديم الفعل على الاسم بعد الهمزة ـ وهذا الفرق هو أن المقدم هو المشكوك فيه دون المؤخر ـ : أنه يصح عند البلغاء والعلماء بالأساليب العربية أن تقول : « أقلت شعراً ؟ أرأيت اليوم إنساناً ؟ » فيكون كلاماً مستقيماً ، لأنه من الجائز أن تشك فى قول المسئول الشعر ، وفى رؤيته هذا اليوم إنساناً ، فتسأل عن الفعل ، لتعلم ثبوته له ، أو انتفاءه عنه ، ولا يصح عندهم أن تقول : « أأنت قلت شعراً ؟ أأنت رأيت إنساناً ؟ أأنت بنيت داراً ؟ أأنت زرت أحداً ؟ » ، وسبب الفساد : أن مثل هذا التركيب يكون المطلوب فيه تعيين فاعل الفعل ؛ أما الفعل نفسه فهو مسلم ، غير مسئول عنه كما مر ـ ففى الكلام معادل محذوف ، أى : أأنت قلت شعرا أم فلان ، وهكذا ، وتعيين الفاعل هنا محال ، لأن الفعل المذكور ـ وهو قول شعر على الجملة ، ورؤية إنسان ، وبناء دار ـ عامٌّ ، لا يختص به فاعل دون فاعل ، فطلب تعيينه طلب لما لا يمكن ، فيكون فاسدا ، وما جاء هذا الفساد إلا من تقديم الاسم ، ولو كان تقديمه وتأخيره سواء فى الدلالة لوجب أن تصح هذه التراكيب كما صح ماقبلها ، لكن فسادها دليل على أن تقديم الاسم يفيد فائدة لا يفيدها تقديم الفعل ، وذلك واضح .

ملاحظة :

قلنا إن الأفعال العامة التى لا يختص بها فاعل معين ، لا يصح طلب تعيين فاعلها ، إنما يصح طلب تعيين الفاعل فى الأفعال الخاصة التى يمكن أن يكون لها فاعل معين نحو : « أأنت بنيت هذه الدار ؟ أأنت قلت هذا الشعر ؟ أأنت زرتنى اليوم ؟ » وما شابه ذلك ، إذ فى مثل هذا يمكن تعيين الفاعل .

وقد يقال : ألا يصح أن نعتبر تقديم الاسم فى مثل : « أأنت قلت شعرا ؟ للتقوية ، وتكون الهمزة فى التقدير داخلة على الفعل ، فيصح التركيب ؟ ؟

والجواب : أنه متى كان المقـــام مقام استفهام حقيق ، والسائل شاكا فى النسبة ، فلا محل للتأكيد والتقوية ، فيجب أن يلى الفعل نفسه الهمزة إذا أريد الاستفهام عن الفعل ، ويكون تقديم الاسم خطأ ، مفسدا للكلام .

تنبيه : ظاهر كلام النحويين أن تقديم المسئول عنه بعد الهمزة ليس بواجب ـ إذا كان هناك معادل له ، إذ يكون هذا المعادل دليلا عليه ـ فيصح أن تقول مثلا : « أجاءك زيد أم عمرو ؟ » لكن لا يخفى أن نظرهم منصرف إلى صحة التركيب(١) ، وأما نظر الشيخ فمتجه إلى بلاغته ، وكم من كلام صحيح غير بليغ !!

---

(١) الواقع أن كلام النحويين هنا كلام منطقى لاعلمى ، والأساليب المعروفة تؤيد المذاهب البلاغية ، كقوله تعالى : « أقريب أم بعيد ما توعدون ؟ » ، « أأنتم أعلم أم الله ؟ » « أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون ؟ » ، « أفمن يلقى فى النار خير أم من يأتى آمنا يوم القيامة »
وكقول الشاعر :

أجهالا تقول بنى لؤى لعمرو أبيك أم متجاهلينا ؟

وقول الآخر :

وما أدرى وسوف إخال أدرى أقوم آل حصن أم نساء ؟

وراجع رأى النحاة فى كتب النحو ، وفى شروح التلخيص ص٢٥٣ ج٢ خصوصا عروس الأفراح

الاستفهام التقريرى

التقرير عندهم ضربان :

أحدهما : بمعنى التحقيق والتثبيت ، ومنه قوله تعالى : « ألم نشرح لك صدرك ؟ » أى شرحناه لك بلا ريب ، وقولك لابنك ، ـ وقدنهيته عن أمر ففعله ـ : « أفعلت كذا ؟ » تريد : أنت فعلت ، ولا تطلب جوابا ، وهذا إنشاء لفظا ، خبر معنى .

والضرب الثانى : طلب الإقرار ، كقوله تعالى : « ألستُ بربكم ؟ قالوا : بلى » ، وهذا إنشاء لفظا ومعنى .

والفرق بين الضربين : أن الأول لايستدعى جوابا ، وأن الثانى يستدعيه والضرب الثانى هو ماريده الشيخ هنا .

والتقرير أحد المعانى التى يخرج الاستفهام عن حقيقته إليها ، فإن الاستفهام لايكون حقيقياً إلا إذا كان المتكلم جاهلا بالمسئول عنه ، أما فى التقرير فإن المتكلم عالم به ، ولـكنه يريد من المخاطب أن يوافقه لغرض من الأغراض ، كالحـكم عليه بإقراره ، والتشهير به ، وإظهار أمره للناس ، وقد يقررُ بأمر ممدوح إظهاراً للنعمة عليه ، أو رفعا من شأنه .

قالوا : وإذا استعمل الاستفهام فى معنى التقرير بالشىء ، أى طلب الإقرار به ، كان مجازا مرسلا ، علاقته « الإطلاق والتقييد » ، وذلك . أن حقيقة الاستفهام . طلب الجواب مع سبق جهل المستفهم ، أطلق عن القيد الأخير ، ثم قيد بقيد آخر ، هو سبق علم المستفهم .

وأما إذا استعمل فى التقرير بمعنى التحقيق ، فهو مجاز أيضاً ، علاقته « اللزوم » ، لأن الاستفهام عن الشىء يستلزم تحقيقه .

ورأى ابن السبكى(١) أنه إذا أريد بالاستفهام « التحقيق » فهو من قبيل استعمال الانشاء فى الخبر مثل : « ألم نشرح لك صدرك ؟ . هلْ أتَى علَى الإنسان حينٌ من الدهرِ لم يكنْ شيئاً مذكوراً ؟ » وهو مجاز مرسل علاقته « السببية » ، لأن الاستفهام يكون سببا فى الخبر .

وأما إذا أريد به « طلب الإقرار » فإنه يميل إلى جعله « حقيقة » ، فإن المتكلم ، وإن كان عالما ، فإنه يريد أن يعلم غيره ممن لا يعلمون ، فيتوسع فى تفسير « الاستفهام » ، ويعرفه بأنه : طلب الفهم ، أى فهم المستفهم أو السامع .

حكم : قال الشيخ(٢) : « إن التقرير كالاستفهام ، يجب أن يلى المقرر به الهمزة ، فإذا أردت أن تقرر بفعل كالسرقة مثلا ، فقل : « أسرقت ؟ » ، وإذا أردت أن تقرر بالمفعول ، فقل : « أخمراً شربت ؟ » مثلا ، وهكذا .

وجعل الشيخ من التقرير قوله تعالى حكاية عن قوم نمروذ(٣): « قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم ؟ » فإنهم أرادوا أن يقرروه بأنه هو الفاعل لا بأن الفعل قد حصل ، لأن الفعل - وهو الكسر - ظاهر مشار إليه ، فلا معنى للتقرير به . وأمر آخر : وهو أنه لو كان الغرض التقرير بالفعل لكان الجواب « فعلت أو لم أفعل » ، ولكنه أجاب بنسبة

---

(١) راجع عروس الأفراح ص ٣٠٧ ج ٢ شروح التلخيص .

(٢) العبارة الآتية هى معنى كلام الشيخ الذى نصه : « واعلم أن هذا الذى ذكرت لك فى الهمزة وهى للاستفهام قائم فيها إذا هى كانت للتقرير » راجع ص ٨٨ دلائل الاعجاز

(٣) هو نمروذ بن كنعان بن سنجاريب بن كودش بن حام بن نوح ، راجع ص ٤١ من كتاب « العرائس » فى قصص الأنبياء للثعلبى .

الفعل إلى « كبيرهم » نفيا لما طلبوه . من نسبة الفعل إليه دون غيره ، فدل ذلك على أن المطلوب التقرير بالفاعل لا بالفعل .

واعترض صاحب « الإيضاح » على هذا المثال(١) ، بأنه يجوز أن يكون استفهاما حقيقيا ، لأنه لم يقم دليل على أنهم كانوا يعلمون أنه هو الفاعل ، وشرط التقرير العلم – كما مر .

وقد رد عليه(٢) : بأن قوله تعالى : « قالوا : سمعنا فتى يذكرهم ، يقال له : إبراهيم » وقوله: « تالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين » يدلان على أنهم كانوا يعلمون أنه هو الفاعل .

شبهة ، قد يقال : أى فرق بين التقرير بالفعل ، والتقرير بالفاعل فى المعنى ؟ فإن الظاهر أن : «أسرقت كذا ؟ وأأنت سرقت ؟» معناهما واحد وهو التقرير بأن السرقة حصلت منه ؟؟ .

والجواب :أن هنا فرقا ، فإنك إذا قدمت الفعل فقلت . « أسرقت ؟ » فإنك تقرره بحصول السرقة منه ، من غير تعرض لغيره ، فجائز أن يكون غيره سرق ، وجائز ألا يكون ، ثم إن الصورة بحسب أصل الاستفهام صورة شك فى الفعل ، أحصل أم لم يحصل ، فكأنك توهمه أنك شاك فى الفعل .

وإذا قدمت الاسم فقلت . « أأنت سرقت ؟ » فأنت تقرره أنه السارق دون غيره ، فنى هذه الصورة نفى عن الغير ، ثم إن الصورة – بحسب أصل الاستفهام – صورة علم بالفعل وحصوله ، وتردد فى فاعله ، فليس فيها إيهام

---

(١) ص ٦٧ ج ٢ بغية الايضاح .

(٢) راجع الرد عليه فى ص ٢٩٠ ج ٢ من شروح التلخيص عروس الأفراح .

شك فى الفعل كالسابقة ، فبينهما بون بعيد .

تنبيه . التقرير يكون بالماضى ـ كما سبق ـ وبالحال كما تقول لمن هو متلبس بالأمر : « أتفعل كذا ؟ » مقررا بالفعل ، و : « أأنت تفعل كذا ؟ » مقرراً بالفاعل ، ولا أرى مانعا من التقرير بالمستقبل أيضاً ، كما تقول لمن اتفقوا على فعل أمر فى المستقبل : « أتفعلون كذا ؟ » ولذلك لم يقيده المتأخرون بقيد ، خلافا لما يوهمه كلام الشيخ هنا(١) .

تنبيه آخر : كثيراً ما يجعل العلماء من الاستفهام التقريرى نحو : « ألم نشرح لك صدرك؟ . الست بربكم .؟ » « ألستم خيرَ من ركِب المطايا؟(٢) » « ألم نرَبكَ فينا وليدا ؟ » ويقولون التقرير ليس بما ولى الهمزة ـ وهو النفى ـ بل بما بعد النفى ، فثل هذا مما لم يل المقرر به الهمزة فهو مخالف للحكم السابق .

وقد يقولون تارة أخرى : إن الاستفهام فى هذه المثل للانكار بمعنى النفى ، ونفى النفى إثبات .

وقد جعلوا أيضاً من التقرير قوله تعالى : « أأنتَ قلت لِلناسِ اتخِذونى وَأمىّ إلهـيْنِ من دونِ اللهِ ؟ » مع أن المقرر به هو نفى الفعل ، وهو غير وال للهمزة ، بل غير موجود فى الكلام .

فالظاهر أن الحكم السابق ـ وهو إيلاء المقرر به الهمزة ـ ليس كليا ،

---

(١) ص ٩١ دلائل الاعجاز ، فانه قصر أمثلة المستقبل على معنى الانكار ، ولم يمثل للتقرير .

(٢) شطر بيت لجرير فى مدح عبد الملك بن مروان ، وتمامه :

«وأندى العالمين بطون راح»

بل أغلبي، حتى عدل بعضهم(١) عن قولهم: «إن الهمزة قد تكون للتقرير بما يليها، إلى قوله: «إنها قد تكون للتقرير بما يعلمه المخاطب، سواء أولیها أم لا».

الاستفهام الانـكارى

من المعانى التى يخرج الاستفهام عن حقيقته إليها «الإنـكار»، وهو ضربان:

١ – إنكار تكذيبى، بمعنى النفى، أى «لم يكن» إن كان الفعل ماضيا «ولا يكون» إن كان مضارعا.

٢ – إنكار توبيخى، بمعنى «ما كان ينبغى» إن كان ماضيا، و«لا ينبغى» إن كان مضارعاً.

والاستفهام الإنـكارى: إنشاء لفظا، خبر معنى، وهو مجاز مرسل - على ماقيل - وقالوا: إن علاقته اللزوم، وذلك: أن الاستفهام عن الشىء يستلزم جهله، وجهل الشىء يستلزم إنكاره ونفيه، ويستلزم أيضا كراهته والنفرة منه، وقيل: ليس مجازا بل كناية(٢)، وقيل: ليس مجازا ولا كناية، وإنما يفهم النفى أو التوبيخ على أنه من مستتبعات التركيب، بمعنى أن الكلام مستعمل فى حقيقته، وهذه الأمور تفهم تبعاً، والتركيب غير مستعمل فيها، ومثال ذلك قولهم: إن الخبر المؤكد مثل: إن زيدا لقائم، يفيد دفع الإنـكار، فليس هـذا

---

(١) هو ابن يعقوب فى مواهب الفتاح، راجع ص ٢٩٨ ج ٢ شروح التلخيص، وعبارته هناك «فإن الهمزة فيه للتقرير بما يعلمه نبى الله عيسى الخ» ثم قال: «وهذه الآية مما خرج عما تقدم من أنه يلى المقرر به الهمزة الخ».

(٢) بمعنى أنه مستعمل فى لازم معناه.

الخبر مستعملا فى دفع الإنكار، بل هو مستعمل فى معناه ـ وهو إثبات القيام لزيد على سبيل التأكيد ـ وأما دفع الإنكار فهو مفهوم تبعا، من غير أن يستعمل فيه اللفظ.

حكم : يجب فى ضربى الإنكار أن يلى المنكَر الهمزة، سواء أكان فعلا أم فاعلا أم مفعولا أم غير ذلك، كالاستفهام الحقيق والتقريرى.

أمثلة الإنكار التكذيبى :

من أمثلة إنكار الفعل الماضى قوله تعالى : «أفأصفاكم ربُّكم بالبنينَ، واتخذ من الملائكةِ إناثاً؟»، «أصطفى البناتِ على البنينَ؟». فهذا تكذيب للمشركين، وردٌ لما يفترونه، مما يؤدى إلى هذا الجهل العظيم، فإنهم يزعمون أن الملائكة إناث، وأنهم بنات الله، وهذا يستلزم أن الله اصطفاهم واختصهم بالبنين الذين هم الصفوة، واختار لنفسه النوع الأدنى، وأنه تعالى قد فضل البنات على البنين، فكذبهم فى كلا الأمرين، أى لم يكن هذا ولا ذاك.

ومن أمثلة إنكار الفعل المضارع، قول امرىء القيس(١) :

أيقتُلنى والمشرَفى مضاجعى ومسنونةٌ زُرقٌ كأنيابِ أغوالِ(٢)

---

(١) من قصيدته التى أولها.
ألا عم صباحا أيها الطلل البالى وهل يعمن من كان فى العصر الخالى

(٢) الفاعل يعود على زوج معشوقته المتقدم فى قوله قبل هذا البيت :
فأصبحت معشوقاً وأصبح بعلها عليه القتام سىء الظن والبال
يغط غطيط البكر شد خناقه ليقتلنى والمرء ليس بقتال
والمشرفى : السيف، منسوب إلى مشارف الشام، والمسنونة الزرق : الرماح، والأغوال جمع غول : وهو حيوان لا وجود له.

فهذا تكذيب لإنسان(١) تهدده بالقتل ، وإنكار أن يحصل منه ذلك ، وقولك : أيرضى عنك فلان وأنت مقيم على ما يكره ؟ ، وقوله تعالى فى سورة هود : «قال: ياقوم أرأيتم إن كنتُ على بيِّنةٍ من رَبِّى، وآتانى رحمةً من عِندِهِ فعُمِّيت عليكم ، أنلزِمُكموها وأنتم لها كارهون ؟» ، أى أنكرهكم على الاهتداء بها ، والمراد بالرحمة : النبوة ، والمعنى : لا يكون ذلك.

ولما كان الغرض فى المثُل المتقدمة إنكار الفعل ، قُدِّم الفعل على الاسم ، فإذا أريد إنكار الاسم ، أى الفاعل أو المفعول أو غيرهما ، وجب تقديمه أيضاً ، مثال إنكار الفاعل قولك لمن ينتحل شعراً : أأنت قلت هذا الشعر ؟ كذبت ، فأنت لا تنكر الفعل - وهو قول الشعر - ولكنك تنكر أن يكون هو القائل له ، وترى أن القائل غيره ، وتقول : أأنت تمنعنى حقى؟ تريد : أن غيرك هو الذى يستطيع ذلك ، أما أنت فلا .

لماذا يوجه الإنكار إلى الفاعل ؟ :

يكون ذلك لأسباب تقتضى نفى الفعل عنه ، منها :

١ - أن يكون عاجزاً عن الفعل ، وليس فى وسعه أن يفعله ، كما فى المثالين السابقين .

٢ - أن يكون أبعد همة ، وأعلى شأنا من أن يفعله ، نحو : أهو يرتشى؟ أهو يسأل فلانا ؟ ، أهو يمنع الناس حقوقهم؟ ، تريد أن تقول : إن غيره ممن لا خلاق لهم هو الذى يفعل ذلك ، أما هو فلا .

٣ - أن يكون أصغر همة ، وأحط شأنا من أن يفعله ، تقول : أهو يسمح بمثل ذلك ؟ ، أهو يرتاح للجميل ؟ ، أهو يعطف على المسكين ؟ ، أهو يبنى مدرسة؟ أى هو أقصر همة من ذلك ، وأقل رغبة فى الخير مما تظن . إلى غير ذلك .

---

(١) هو زوج لمشرقته السابق .

ومثال إنكار المفعول، قولك: أإياى تخدع؟. لا تنكر أن يحصل من المخاطب خدع، وإنما تنكر أن تكون أنت المخدوع، لأنك لست ممن يجوز عليه ذلك فى زعمك، وقولك: أزيداً تضرب؟. لا تنكر أن يصدر من المخاطب ضرب، وإنما تنكر أن يكون المضروب «زيداً»، لأنه ممن لا يصح أن يجترأ عليه، وقوله تعالى: «أغير الله أتخذُ وليًّا؟»، «قلْ أرأيتمْ إنْ أتاكم عذابُ اللهِ، أو أتتكم الساعةُ، أغيرَ اللهِ تدعونَ؟» ليس الإنكار موجها إلى اتخاذ الولى، أو إلى الدعاء، وإنما هو موجه إلى أن يكون غير الله بمثابة أن يتخذ وليا أو يدعى، فإن ذلك لا يرضى به عاقل.

ولو قدم الفعل فى ذلك لتوجه الإنكار إليه، وكان المعنى نفى حصوله ولم يفد فى المفعول ذلك المعنى الذى أفاده تقديم المفعول، ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: «أبشراً منا واحداً نتبعُه؟» أنكروا أن يكون البشر ممن يصح اتباعه، وتجب طاعته، وأن يكون مبعوثاً من عند الله، فإنهم كانوا ينكرون ذلك، ويرون أن الرسول يجب أن يكون ملكا بدليل قولهم: «إن أنتمْ إلا بشرٌ مثلُنا»، «ماهذا إلا بشرٌ مثلكمْ يُريدُ أن يتفضل عليكم، ولو شاءَ الله لأنزل ملائكةً».

تنبيه: لإنكار الفعل بطريق الاستفهام إنكاراً تكذيبيا صورتان:

علمنا مما سبق أن طريق إنكار الفعل بالهمزة أن يقع عقبها كالأمثلة السابقة، ومثل(١):

---

(١) البيت لعمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن عطية الخطفى ويكنى أبا عقيل، شاعر مجيد من سكان بادية البصرة، وكان له اتصال قوى بخلفاء بنى العباس، كما كانت له مكانة عظيمة عند النحويين، وعلماء اللغة، وطالما أخذوا عنه، ولد فى سنة ١٨٢ هـ ٧٩٨ م

أأترُكُ أن قلَّتْ دراهمُ خالد زيارتَهُ ؟ إنّى إذا للئيم (١)

أى لايكون ذلك منى ، فهذه صورة .

وهناك صورة أخرى لإنكاره(٢) لايكون الفعل فيها واليا للهمزة .

وضابط هذه الصورة أن ينحصر فاعل الفعل أو مفعوله أو غيرهما من متعلقاته فى واحد أو أكثر ، فيؤتى بذلك الفاعل أو المفعول أو غيرهما من المتعلقات عقب الهمزة ، ويعطف عليه بـ « أم » إن وجد فيتوجه الإنكار إلى الاسم المقدم بحسب الظاهر ، فيلزم من إنكاره إنكار الفعل ، لأن الفعل إذا نفى فاعله الذى لافاعل له غيره ، أو مفعوله الذى لامفعول له غيره ، أو ظرفه الذى لاظرف له غيره ، لزم انتفاؤه حتما .

وهذه الصورة أبلغ من سابقتها ، لأن نفى الفعل فيها بطريق الكناية واللزوم ، فهى بمثابة دعوى مع دليلها .

أمثلة : إذا قال لك قائل : بعثنى فلان إليك ، وأردت تكذيبه ، لأنك تعلم أن فلانا هذا لم يبعثه ، فلك أن تقول : أبعثك فلان إلىّ ؟ فتأتى بالفعل عقب الهمزة ، تريد أن تقول له : لم يبعثك ، وهذه هى الصورة الأولى ؛ ولك أن تقول : أفلان بعثك إلى ؟ . تنكر بحسب ظاهر العبارة أن يكون

= وتوفى سنة ٢٣٩ هـ ٨٥٣ م وترجمته فى الأعلام ص ٧٠٩ ، وجمهرة الأنساب ص ٢١٤ ، والأغانى ٢٠ : ١٨٣ — ١٨٨ ، وشرح الحماسة ٤ : ١٤ ومعجم الشعراء ٣٤٧ وغيرها .

(١) البيت فى خالد بن يزيد بن مزيد بن زائدة الشيبانى أحد الولاة المشهورين بالبطولة والجود فى العصر العباسى من أيام المأمون إلى زمن الواثق وتوفى سنة ٢٣٠ هـ ٨٤٥ م ، وللمارة فيه — كالأبى تمام ومعاصريه من الشعراء — مدائح كثيرة ، ومن أبياته فيه قوله :

تأبى خلائق خالد وفعاله إلا تجنب كل أمر عائب

وقوله : أرى الناس طرا حامدين لخالد وماكلهم أفضت إليه صنائعه

(٢) ص ٨٩ ، ٩٠ دلائل الإعجاز .

فلان هو الباعث موهما أنه غلط وأن غيره هو الباعث ، وبما أنه لا باعث غيره يلزم إنكار البعث من أصله .

وإذا زعم زاعم أنه سابق أحد ابنيك فى أمر فسبقه ، واردت أن تنكر ذلك ، فلك أن تقول له مكذبا : أسبقت أحدهما . أى لم يحصل ذلك ، لأنك أعجز من أن تفعل وهذه هى الصورة الأولى ، ولك أن تقول : أعليًّا سبقت أم محمداً . تنكر بحسب الظاهر أن يكون أحدهما مسبوقا له ، ولعل المسبوق غيرهما ، وبما أن السبق لم يتعلق بغيرهما ، يلزم انتفاؤه ، وإنكاره من أصله

وإذا قال لك قائل : زرتك أمس فلم أجدك ، وأردت تكذيبه ، فلك أن تقول : أزرتنى أمس ؟ بإيلاء الفعل الهمزة ، وهى الصورة الأولى ، ولك أن تقول : أليلا زرتنى أم نهارا ؟ تنكر أن يكون الليل والنهار وقتا لزيارته ، فيلزم نفى هذه الزيارة لأنها إن وقعت فلا بد أن تكون فى ليل أو نهار ، وهذه هى الصورة الثانية .

وكذلك إذا قلت : أراكبا زرتنى أم ماشيا ؟ تنكر الحالين بحسب الظاهر فيلزم انتفاء الزيارة ، لأنها إن حصلت لابد أن تكون على إحداهما .

ومثل ذلك إذا قلت له : أفى البيت زرتنى ؟ وكان معلوما أنك لم تبرح منزلك وقت الزيارة ، تنكر بحسب الظاهر أن يكون البيت موضعا للزيارة وبما أنه لامكان غيره فيلزم انتفاء الزيارة من أصلها .

وإذا رأيت رجلا فى مكان لايدخله أحد إلا بإذنك ؟ فزعم أنك أذنت له ، فلك أن تقول له مكذبا : أأذنت أنا لك . بإيلاء الفعل الهمزة . أى لم آذن ، ولك أن تقول : أأنا أذنت لك . تنفى بحسب الظاهر أن تكون أنت الآذن ، وتوهم أن غيرك هو الآذن ، وبما أنه لا آذن غيرك ، يلزم انتفاء الإذن من أصله .

ومما قصد فيه نفى الفعل على الطريقة الثانية ليكون أبلغ ، قوله تعالى : « قل : أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق ، فجعلتم منه حراماً وحلالا ؟ قل : آلله أذن لكم ؟ » المقصود نفى الإذن من أصله ، فإنه لا آذن فى التحليل والتحريم إلا الله ، فإذا نفى أن يكون الله آذنا ، فقد انتفى الإذن ، وأخرج الكلام على هذه الصورة – أى صورة نفى الفاعل لا الفعل – ليكون أبلغ كما قررنا .

وكذلك قوله تعالى : آلذكرين حرَّم أم الأنثيين ، أمْ ما اشتملتْ عليه أرحامُ الأنثيين ؟ ، المقصود نفى الفعل – وهو التحريم لشىء مما ذكر – ولكن لم يقدم الفعل عقب الهمزة ، بل أخرج الكلام فى صورة نفى المفعول دون الفعل ، ليكون أبلغ فى نفى الفعل ، فإن نفيه حينئذ يكون بطريق الكناية واللزوم ، وذكر الدعوى مع دليلها ، كأنه قيل لو كان هناك تحريم لكان متعلقا بواحد من هذه الأمور ، لكنَّ واحدا منها ليس بمحرَّم ، فليس هناك إذاً تحريم ، وذلك أنهم كانوا تارة يحرمون ذكور الأنعام ، وتارة إناثها ، وتارة مافى بطون الإناث ذكوراً كانت أم إناثا أم مختلفة ، وينسبون ذلك إلى الله . فرد الله عليهم إفكهم بإنكار محل التحريم .

عسى أن تكون هذه الصورة قد وضحت .

شبهة : قد يقول قائل : إن الإنكار فى قول امرىء القيس :

أيقتلنى والمشرفى مضاجعى ؟

موجه إلى الفاعل لا إلى الفعل ، معتمداً فى توهمه هـذا على البيت السابق .

وهو قوله :

يغِطُّ غطيطَ البَكرِ شُدَّ خناقُه ... ليقتلني ، والمرءُ ليس بِقتَّالِ (١)

فإن قوله : « والمرء ليس بقتال » ظاهر فى أنه يريد أن ينفى عنه القدرة على القتل ، ويقصده هو بالإنكار ، ويتهمه بالعجز ، ويقول : إن غيرك هو الذى يقدر على قتلى ، وليس مراده نفى الفعل من أصله ، وإذا صح هذا فقد توجه الإنكار لغير ما ولى الهمزة .

الجواب : أن هذا الظاهر الذى فى البيت الأول غير مراد ، بدليل قوله :

... ... والمشرفى مضاجعى ... ومسنونة زرقٌ كأنيابِ أغوالِ

فلو كان يريد أن يتهمه بالعجز ، ويقول : إن غيره هو الذى يقدر على قتلى لما ذكر أنه مستعد كل هذا الاستعداد لدفعه ، وأن معه من السلاح ما يمنعه من تنفيذ عزمه ، فذكره : ذلك دليل على أن خصمه ليس بعاجز ، لأن السلاح إنما يُحتاج إليه إذا كان الخصم قادرا على الفعل لا عاجزا عنه ، وإذا كان الأمر كذلك كان الانكار موجها إلى الفعل لا إلى الفاعل .

أمثلة الانكار التوبيخى :

تقول فى إنكار الفعل الماضى إنكارا توبيخيًّا : أقاطعت صديقك ؟ أوشيت بإخوانك ؟ أعصيت ربك ؟ على معنى ما كان ينبغى لك أن تفعل .

وتقول فى إنكار المضارع كذلك : أتخرج فى هذا الوقت ؟ أتغرّر بنفسك ؟ أتذهب فى غير الطريق ؟ أتنسى قديم إحسان فلان ؟ أتترك صحبته

---

(١) غط البعير : هدر ، والنائم صوت ، وكذلك المذبوح والمخنوق ، والبكر ـ بالفتح ـ ولد الناقة ، أو الفتى منها او الثنى إلى أن يجذع ، أو ابن المخاض إلى أن يثنى ، أو ابن اللبون إذا لم يبزل ، جمعه أبكر وبكران وبكارة بفتح الباء وكسرها فى الأخير .

لتغير الزمان ؟ والمعنى : لا ينبغى لك أن تفعل شيئاً من ذلك .

تقدم الفعل لأنك تقصد بالإنكار: إليه والتوبيخ: عليه ، وليس الإنكار فى شىء من هـذا موجها إلى الفاعل على معنى : « لست أنت الذى ينبغى أن تفعل بل غيرك » لأن هذا المعنى لا يريده المتكلم ، ولا يليق بالحال التى يقال فيها هذا الكلام .

وتقول : أأنت تظلم فلانا ؟ أأنت تجحدنى حقى ؟ تقدم الفاعل لأنك توجه التوبيخ إليه خصوصاً ، وتقول : غيرك هو الذى يصح أن يفعل هذا الفعل ، أما أنت فلا ينبغى لك أن تفعله .

وتقول : أأباك تشتم ؟ تقدم المفعول لأن التوبيخ من أجله هو .

وتقول : أفى الدرس تلهو ؟ أيوم العيد تظهر غير متجمل ؟ تقدم ما كان الفعل مستهجنا من أجله ، وهكذا .

تنبيه : التوبيخ يكون على فعل قد حصل ، أو على وشك الحصول : والتكذيب يكون لفعل لم يحصل ، أو لن يحصل .

سؤال مهم وجوابه : ـ وفيه يتبين الفرق بين النفى الصريح وبين الاستفهام الإنكارى :ـ

فسرنا الاستفهام الإنكارى بأنه تارة يكون تكذيبيًّا بمعنى : ما كان ، أو لا يكون ، وتارة يكون توبيخيا بمعنى : ما كان ينبغى أن يكون ، أو لا ينبغى أن يكون ، فاتجه السؤال الآتى : هل ترى بناء على هذا أن المعنى متحد فى أسلوب الانكار بالاستفهام ، وأسلوب الانكار بالنفى الصريح وأن معنى قولنا : أأنت قلت هذا الشعر ؟ وقولنا: أنت لم تقل هذا الشعر، واحد ؟ ومعنى قولنا : أتنسى إحسان فلان ؟ وقولنا : لا ينبغى أن تنسى إحسان فلان ، واحد ؟

والجواب: كلا، لا اتحاد فى المعنى بين الأسلوبين من كل وجه، وغرضنا من التفسير المذكور بيان مآل المعنى فقط، لكن حقيقة الأمر أن للإنكار بالاستفهام مزية بها كان أبلغ أثرا، وأوقع فى النفس من النفى الصريح؛ بيان ذلك: أنك إذا قلت: أأنت قلت هذا الشعر؟ أتنسى إحسان فلان؟ فإنك لم تفد غرضك وهو تكذيبه بادئ ذى بدء، بل أوقعت فى روعه أنك تطلب منه جوابا، فيتنبه، ويرجع إلى نفسه ليجيب، فيعيا بالجواب ويخجل، ويعلم أنك قصدت تكذيبه، لأنه ادعى القدرة على شىء لا يقدر عليه، أو تخطئته وتوبيخه، لأنه هم بأمر لا يستصوب فعله، وقد تتمادى به الغفلة، ويظن أنك مستفهم حقاً، فيقول: نعم، أنا قلت هذا الشعر، فتقول حينئذ: فانظر على غراره، فيظهر عجزه، ويفتضح أمره، ويصبح موضعا للسخرية والاستهزاء.

ومزية أخرى للاستفهام الإنكارى، وهى: أن أسلوبه يشعر بثقة المتكلم واطمئنانه، وأنه لا يخشى تكذيبا ولا مخالفة، لإيهامه أن السامع أعلم منه بحقيقة الأمر، ولذلك يطلب منه الجواب بحسب الظاهر، أما إذا أتيت بالنفى الصريح فقلت: أنت لم تقل هذا الشعر، لمن ينتحل شعرا، ولا ينبغى أن تنسى إحسان فلان. فقد أفدت غرضك من أول وهلة، ولم توح للمخاطب أن يراجع نفسه ليخجل ويرتدع ويعلم أنه مخطىء، ولم يشعر الأسلوب بثقتك واطمئنانك إلى عدم التكذيب.

هذا هو الفرق بين الأسلوبين، ويستفاد من كلام الشيخ(١) أن هناك فرقا آخر، وهو: أن النفى الصريح لا يقال فى المستحيل، وفيما لا يقول به

---

(١) ص ٩٤ دلائل الاعجاز.

عاقل ، فلا تقول مثلا لمن يحاول أمراً بعيداً : أنت لا تصعد إلى السماء ، أنت لا تنقل الجبال ، ولكنك تقول : أتصعد إلى السماء ؟ أتنقل الجبال ؟ أتردُّ ما مضى ؟ فلو كان معنى الأسلوبين واحداً من كل وجه لصح استعمال كل منهما فيما يستعمل فيه الآخر .

ولا يخفى أن إنكار المستحيل بالاستفهام إنما يجىء على سبيل التمثيل ، وتنزيل المخاطب الذى يطلب الأمر البعيد ، منزلة من يدعى أنه يستطيع أن يصعد إلى السماء أو ينقل الجبال ، أو يرد ما مضى ، ووجه الشبه : أن كلا يطلب مالا يستطيع .

اعتراضٌ : قد يقال : أى مانع من أن نقول لمن يطلب أمراً بعيداً : أنت لا تصعد إلى السماء ، على سبيل التمثيل ، بأن نشبهه بمن يدعى القدرة على ذلك ؟

جوابه ، وقد أجيب : بأن الشيخ أعلم منا بالأساليب الفصيحة المقبولة ، وغيرِ الفصيحة المردودة ، وهو يرى أن المناسب هنا الاستفهام لا النفى الصريح .

ولكن لا يخفى أن هذا الجواب غير مفيد ، فلا مانع أن يقال : أنت لا تصعد إلى السماء ، على سبيل التمثيل ، والدليل على ذلك ، المثل المشهور ، وهو : « إنك لا تجنى من الشوك العنب » ، وجنى العنب من الشوك مستحيل ، والكلام تمثيل .

وقد قال البحترى :

فعليكَ الرِّضا قسمته لك هذى المطالبُ المجهولهْ
لنْ تنال المزوىَّ عنك بتدبيـ ـر ولن تصعد السماءَ بحيلهْ

فقد أدخل النفى الصريح على المحال .

وجملة القول : أن هذا الفرق الذى ذكره الشيخ غير مسلم .

ومن أمثلة إنكار المحال على سبيل التمثيل : قوله تعالى: «أفأنت تُسمِعُ الصُّمَّ أو تهدى العُمى ؟» ليس الكلام على ظاهره ، لأن إسماع الصم مما لا يدعيه أحد ، بل هو على سبيل التمثيل ، وتشبيه النبى صلى الله عليه وسلم فى محاولته هداية الكافرين الذين أصروا على كفرهم - بمن يحاول إسماع الصم ، وهداية العمى ، ووجه الشبه : أن كلا يطالب أمراً لا يحصل ، وقدّم الفاعل هنا لأن القصد بالإنكار إليه على معنى : أأنت لا غيرك تفعل ذلك ؟ بل نحن لا أنت الذين نستطيع هدايتهم .

ويرى السكاكى : أن تقديم الضمير هنا للتوكيد ، والهمزة فى الحقيقة داخلة على الفعل ، والمراد : توكيد إنكار الفعـــل ، ومن ذلك قول الشاعر (١) :

---

(١) فى دلائل الاعجاز ص ٤٩ أنه لابن أبى عيينة ، وهو محمد بن أبى عيينة بن المهلب بن أبى صفرة وفى بعض الروايات زيادة فى عدد الآباء بينه وبين المهلب بن أبى صفرة ، وقد كان شاعراً مطبوعاً غزلا هجاء ، ويعد من أرق الشعراء فى صدر العصر العباسى قال الجاحظ : والمطبوعون على الشعر من المولدين : بشار العقيلى ، والسيد الحميرى ، وأبو العتاهية ، وابن أبى عيينة ، وفى بعض كتاباته عده من الرواة ، والعلماء ، والنسابين كذلك كان ابنه أبو عيينة شاعراً مجيداً قال فيه المرزبانى : وأبو عيينة هذا من أطبع الناس وأقربهم مأخذا فى الشعر وأقلهم تكلفاً ، أما ابنه الآخر عبد الله بن محمد بن أبى عيينة فقد كان أشعر من أبيه وأخيه واشتهر أيام الرشيد والمأمون وعلا نجمه ، راجع فى أخبارهم: البيان والتبيين ١ : ٥٨ ، ٢٨١ ، ٣ : ٢٥٠ ، ٢٦٧ ، الفهرست ٢٣٣ ، معجم الشعراء ٢٦٢ ، أديان العرب ٤٦٥ ، ٤٦٦ .

فدَعِ الوعيدَ فما وعيدُكَ ضائرِى أطنينُ أجنحةِ الذُّبابِ يضيرُ؟(١)

الكلام ليس على ظاهره ، إذ لا يدعى أحد أن طنين الذباب يضير ، بل هو على التمثيل ، وتنزيل المخاطب — فى دعواه أن وعيده الذى لا يؤبه له « يضير » — منزلة من يدعى أن طنين أجنحة الذباب يضير ، ووجه الشبه : ان كلا قد ادّعى دعوى كاذبة .

تنبيه : قول الشيخ فى آخر هذا الفصل : « فهذا هو القول فى الضرب الأول(٢) الخ » . عبارة غير محررة ، ومحاولة حملها على وجه مقبول جهد صائع ، والأمثلة فيها لا يخفى المراد بها بعد الوقوف على ما سبق .

حكم التقديم فى الخبر

الفرق بين تقديم الاسم على الفعل ، وتقديم الفعل على الاسم فى الخبر :

بينَ الشيخ فيما مضى الفرق بين تقديم الاسم وتقديم الفعل فى « الاستفهام » حقيقيا ، كان أو تقريريا ، أو إنكاريا ، ويريد هنا أن يبين الفرق بينهما فى « الخبر » منفيا كان ، أو مثبتا ، وقد عرض فى هذا الفصل(٣) لمسائل :

---

(١) الخطاب لابن عمه خالد بن يزيد ابن حاتم بن قبيصة بن المهلب ، وله فيه أهاج مرة بعضها فى معجم الشعراء .

(٢) تمام العبارة « وهو أن يكون « يفعل » بعد الهمزة لفعل لم يكن » ص ٩٦ دلائل الأعجاز — وهو نص فى أن مراده « المضارع فى المستقبل » . ولعل الضرب الأول منه هو الذى لا يكون مطلقاً والضرب الثانى هو الذى لا ينبغى أن يكون ، والأول مستحيل الوقوع والثانى جائز .

(٣) ص ٩٦ دلائل الاعجاز .

١ — المسألة الأولى: الفرق بين تقديم الاسم الذى هو فاعل فى المعنى على الفعل، وتقديم الفعل عليه، ولذلك صور ثلاث:

(ا) أن يكون فى الخبر نفى، ويتقدم النفى على الاسم المقدم، مظهرا كان الاسم، أو مضمرا نحو: «ما أنا فعلت كذا، ما زيد فعل كذا».

(ب) ألا يكون فى الكلام نفى، بل يكون الخبر مثبتا نحو: «أنا فعلت كذا، وزيد فعل كذا».

(ج) أن يكون الخبر منفيا، ويتأخر النفى عن الاسم المقدم، نحو: أنا ما فعلت كذا، وزيد ما فعل كذا.

٢ — المسألة الثانية: الفرق بين تقديم المفعول وسائر معمولات الفعل على الفعل، وتقديمه عليها، وقد أدرجها فى أثناء الكلام على المسألة الأولى!

٣ — المسألة الثالثة: تقديم «مثل، وغير» على الفعل، وهى وإن كانت داخلة فى تقديم الفاعل على الفعل، فقد أفردت بالذكر لانفرادها بإفادة معنى خاص.

وتتلخص هذه المسائل فيما يأتى:

المسألة الأولى:

الصورة الأولى منها: إذا قدمت الفاعل على الفعل، وكان الاسم المقدم واقعا عقب نفى نحو: «ما أنا فعلت كذا» أفاد التركيب «القصر» قطعا، أى قصر نفى الفعل على الاسم المقدم، وأفاد أن الفعل ثابت، متفق على حصوله، وأنه منفى عن المسند إليه المقدم، وأنه مثبت لغيره على حسب النفى، عموماً وخصوصاً.

والسر فى ذلك : أنك لا تقول : « ما أنا قلت » إلا إذا كان « القول » ثابتاً ، متفقا على حصوله بينك وبين مخاطبك ، ولكنه يزعم أنك القائل له دون غيرك ، أو أنك مشترك مع غيرك فيه ، أو يردّده بينك وبين غيرك فتصحح له الأمر بأن تقول : « ما أنا قلت هـذا » فتنفيه عن نفسك ، وتثبته لغيرك .

وكذلك لا تقول : « ما أنا ضربت زيدا » إلا إذا كان « زيد » مضروبا وكان مخاطبك يزعم أنك الضارب ، فتنفى بهذا القول الضرب عن نفسك وتثبته لغيرك .

ومن أبين الأمثلة على أن هذا التقديم يقتضى ما ذكرنا ، منْ وجود الفعل ، ونفيه عن المسند إليه المقدم ، وإثباته لغيره : قول الشاعر (١) :

وما أنا أسقمتُ جسمى به ولا أنا أضرمتُ فى القلب نارا (٢)

« السقم (٣) » ثابت موجود ، ولكن الشاعر يريد أن ينفى عن نفسه أنه الجالب له ، ويثبت ذلك للهمّ الذى اعتراه .

ومثل ذلك قول المتنبي (٤) :

وما أنا وحدى قلتُ ذا الشّعر كلّه ولكنْ لِشعرى فيكَ من نفسه شعرُ

---

(١) هو المتنبي راجع ص ٩٥ ج ٢ من التبيان .

(٢) الضمير فى « به » يعود إلى الهم المذكور فى بيت سابق هو :

ولكن حمى الشعر إلا القليـ ـل هم حمى النوم إلا غرارا

(٣) بوزن جبل وقفل وكسحاب : المرض ، والفعل كفرح وكرم ، والوصف سقيم والجمع ككتاب .

(٤) من قصيدة تبلغ ٤١ بيتاً فى مدح على بن أحمد بن عامر الأنطاكى ، راجع التبيان ٢ : ١٥٨ .

التقديم يدل على أن الشعر ثابت ، ولـكن الشاعر يريد أن ينفى عن نفسه أن يكون القائل له وحده ، ويثبت أن محاسن المحبوب ، وصفاته الـكريمة لها الفضل فى كثير منه ، فإنها هى التى أوحت إليه به ، وألهمته إياه ، فـكأنها هى القائلة له .

أما إذا قدمت الفعل فقلت : « ماقلت هذا ، ومافعلت كذا ، وماضربت زيداً » فإنك تنفى عن نفسك فعلا لم يثبت أنه حصل ، بل يجوز أن يكون حصل من غيرك ، ويجوز أنه لم يحصل ألبتة ، فلا تعرض فى العبارة لإثباته لغيرك ، ويلزم ألا يفيد « الحصر » .

ومثل ذلك ما لو قلت : « ما قلت أنا ، وما فعلت أنا كذا » لأن « أنا » للتأكيد فقط هنا .

أدلة الشيخ على ذلك : استدل الشيخ على أن تقديم المسند إليه ، وإيقاعه عقب حرف النفى يفيد ماتقدم من المعنى : بثلاثة أدلة :ـ

١ ـ الدليل الأول : أنه يصح حين تقدم الفعل أن يكون النفى عاما نحو : « ماقلت شعرا ، ما أكلت اليوم شيئا ما رأيت أحدا » ولا يصح ذلك إذا قدمنا الفاعل ، وكان خلفاً وباطلا من القول أن تقول : « ما أنا أكلت اليوم شيئا ، ما أنا قلت شعرا ، ما أنا رأيت أحدا من الناس » .

سبب الفساد : والسبب فى ذلك :(١) أن هذا الأسلوب يقتضى أن الفعل ثابت متفق عليه . (٢) وأنه منفى عن المسند إليه المقدم . (٣) وأنه مثبت لغيره على الوجه الذى نفى عليه ، من خصوص أو عموم ، فهذه الأمثلة الثلاثة تفيد أن قول شعر على العموم ، وأكل شىء على العموم ، ورؤية أحد على العموم ـ : أمر ثابت ، متفق عليه بين المتكلم والمخاطب . وقد أخذ العموم ، من وقوع النكرة فى سياق النفى ، لأنها حينئذ تعم وأن المتكلم

ينفيه عن نفسه ، وأنه يثبته لغيره عاما ، وذلك يقتضى المحال ـ وهو أن يكون هنا إنسان قد قال كل شعر فى الدنيا ، وأكل كل شيء يؤكل ، ورأى كل أحد من الناس ـ وما اقتضى المحال محال».

قد يقال(١) : إن المنفى هو : «قول شعر ، وأكل شيء ، ورؤية إنسان فيكون المثبت للغير أنه : «قال شعرا ، وأكل شيئا ، ورأى إنسانا» فيصح التركيب ، إذ لا استحالة فى ذلك ، ولا داعى لاعتبار «العموم» المقتضى للفساد ؟

والجواب : أن ذلك غفلة عن قاعدة هذا الأسلوب ـ التى قدمناها ، والتى استنبطناها من كلام الشيخ ، الخبير بأساليب البلغاء ـ وهى : أن الإثبات للغير يكون على حسب النفى ، عموما وخصوصا(٢) .

وأما إذا تقدم الفعل نحو : «ما قلت شعرا» فإنه يكون صحيحا ، لأنه لا يقتضى إلا نفى الفعل عن الفاعل ، أما ثبوت الفعل ، أو إثباته للغير ؛ فلا يقتضيه ، ولا يشعر به .

٢ ـ الدليل الثانى(٣) على وجود الفرق بين تقديم الفعل وتقديم الفاعل فى هذه الصورة . أنه يصح أن تقول : «ما قلت هذا ، ولا قاله أحد من الناس ، ما ضربت زيداً ، ولا ضربه غيرى» وذلك لأنك تتكلم عن فعل

---

(١) هذا رأى السعد ، وراجع المطول ص ١٠٩ ، ١١٠ .

(٢) لعل عذر السعد فى هذا ، أن العموم فى حالة النفى آت من صدق مدلول النكرة على كل فرد من الأفراد ، لا لأن مدلولها جميع الأفراد ، وحيث إن النفى كان مسلطا على الفرد . فالإثبات يكون للفرد ، فيصدق هذا الكلام بأن غيره قال شعراً أو أكل شيئاً أو رأى أحداً من الناس ، هذا من ناحية التوجيه المنطقى ، أما من حيث الأسلوب ودلالته بوضوح على المعنى فلصيرفى البيان عبد القاهر الرأى الأعلى .

(٣) راجع ص ٩٧ دلائل الإعجاز .

لم يثبت وجوده ، فلك أن تنفيه عن غيرك .

هذا إذا قدمت الفعل ، أما إذا قدمت الاسم ، فلا يصح أن تقول : « ما أنا قلت هذا ، ولا قاله غيري » ولا أن تقول : « ما أنا ضربت زيداً ، ولا ضربه أحد سواي » وذلك لأن هذا الأسلوب يقتضي أن الفعل ثابت متفق عليه ، وأنه منفي عن المقدم ، ومثبت لغيره ، وقولك : « ولا قاله أحد غيري » يفيد أنه منفي عن الغير ، وهذا تناقض ظاهر .

ووجهٌ آخر للبطلان : وهو أن هذا التركيب يفيد ثبوت « القول والضرب » ونفيهما عنك ، وعن جميع من عداك ، فيلزم ثبوت قول من غير قائل ، وضرب من غير ضارب ، وهو محال .

ووجهٌ ثالث : وهو ما ذكره الشيخ من أن هذا الأسلوب يفيد ثبوت « القول والضرب » مع أن نفيه عنك وعن غيرك يفيد نفيهما ، إذ لا يوجد فعل بدون فاعل ، وهو تناقض ، فافهم .

٣ — الدليل الثالث : أنه يصح أن تقول : « ما ضربت إلا زيداً » بتقديم الفعل ، لأنك تنفي عن نفسك ضرب غير زيد ، وتثبت لها ضرب زيد ، ولا يشعر كلامك بأن غيرك ضرب أو لم يضرب .

ولا يصح أن تقول : « ما أنا ضربت إلا زيداً » بتقديم الاسم .

وسبب البطلان : ما تقدم من « قاعدة هذا الأسلوب » وأنه يفيد أن الفعل ثابت ، وأنه منفي عن المقدم ، ومثبت لغيره على حسب النفي عموماً وخصوصاً ، فهذا المثال يفيد أن « ضرب كل أحد إلا زيداً » ثابت ، وأنه مثبت لغيره ، فيلزم أن يكون هناك إنسان ضرب « كل أحد إلا زيداً » وهو وهو باطل ، هذا هو التعليل الصحيح لفساد مثل هذا التركيب .

وقد علل الشيخ فساده(١) : بأنه يقتضى « التناقض » ، وذلك لأن نقض النفى بـ « إلا » يقتضى أن تكون ضربت زيداً، وتقديمك ضميرك ، وإيلاؤه حرف النفى يقتضى ألا تكون ضربته ، فهما يتدافعان(٢) .

وقد رد « الخطيب(٣) » هذا التعليل ، ودفع « التناقض » : بأنا لا نسلم أن تقديم الضمير ، وإيلاءه حرف النفى يقتضى ألا يكون زيد مضروباً ، إنما يكون الأمر كذلك إذا لم يستثن منه، بأن يقتصر على قوله: «ما أنا ضربت أحداً » . أما بعد الاستثناء فلا شك فى إفادة أنه مضروب، سواء قدم الضمير أم لم يقدم ، لأن النفى العام -وإن تقدم- فإن الحكم به متأخر عن الاستثناء، فالمحكوم عليه ما عدا المستثنى ، فلا تناقض .

الصورة الثانية من المسألة الأولى :

وهى ما تقدم فيها المسند إليه على الفعل ، ولم يكن فى الكلام نفى، نحو: « أنا فعلت كذا ، زيد فعل كذا » وقد بين الشيخ(٤) أن تقديم الاسم حينئذ يكون للاهتمام بالفاعل المقدم ، وبيان أن المقصد إليه ، وذلك الاهتمام سببه أمران :

١ - أحدهما جلى لا يشكل وهو أن يكون الغرض قصر الفعل على المقدم ونفيه عن واحد آخر ، أو عن جميع ما عدا المقدم ، وهو على الأول «قصر» إضافى ، وعلى الثانى حقيقى ، مثال ذلك أن تقول : « أنا كتبت فى معنى

---

(١) ص ٩٨ دلائل .

(٢) علله السعد أيضاً - ص ١١٢ مطول - بأنه يقتضى أن يكون غيرك قد ضرب كل أحد إلا زيداً ، وهو لا يكون » وهذه علة وجيهة .

(٣) ص ١٠ ج ١ بغية الايضاح .

(٤) ص ٩٩ دلائل .

فلان - أى شأنه - وأنا شفعت فى بابه - أى أمره - » تريد أن تدعى الانفراد بذلك ، وأن ترد على من زعم أن ذلك كان من غيرك لا منك ، فتقلب له اعتقاده ، أو على من زعم أن غيرك مشاركك فى الأمر ، فتفرد نفسك به ، وهو على الأول « قصر قلب » ، وعلى الثانى « قصر إفراد » ، ويجوز أن يكون « قصر تعيين »(١) إذا قلته لمن ردد الأمر بينك وبين غيرك ، وكل ذلك من « الاضافى » ، فإذا أردت أن تثبت الفعل لنفسك ، وتنفيه عن جميع من عداك كان « قصرا حقيقياً »(٢) .

٢ - الثانى من سببى الاهتمام بالاسم المقدم : أن يكون الغرض إفادة تقوية الحكم الذى هو ثبوت الفعل للفاعل وتوكيده ، ودفع الشك عنه ، لا قصره عليه ، مثال ذلك أن تقول : « هو يعطى الجزيل ، هو يحب الثناء » لا تريد أن تقصر الفعل عليه ، ولا أن تنفيه عن غيره ، وإنما تريد أن تحقق الحكم ، وتمكنه فى نفس السامع ، وتدفع الشك عنه ، وقد جاء الشيخ بأمثلة جاء التقديم فيها للتقوية ، وهى :

همُ يُفرِشونَ اللِّبدَ كلَّ طِمِرَّةٍ ... وأجرَدَ سبّاحٍ يَبُذُّ المغاليا(٣)

---

(١) قصر القلب : ماكان المخاطب معتقداً فيه العكس ، والافراد : ماكان معتقداً فيه الشركة ، والتعيين : ماكان فيه متردداً متحيراً .

(٢) الاضافى ماكان بالنسبة لعدد محصور من الصفات أو الموصوفين والحقيقى ماكان بالنسبة لجميع ما عدا المقصور عليه .

(٣) البيت لمعذل بن عبد الله الليثى أحد بنى قيس بن ثعلبة ، وفى معجم الشعراء « المعذل البكرى » ، وهو شاعر إسلامى ، والبيت من قصيدة ذكر منها خمسة أبيات فى الحماسة ٤ : ٢٧٥ ، أربعة فى معجم الشعراء ٣٨٨ ، وكان المهلب بن أبى صفرة يعجب بها إيما إعجاب ، قدم عليه مرة فقال يا معشر الأزد ، وهذا الذى يقول :

جزى الله فتيان العتيك وإن نأت ... بى الدار عنهم خير ماكان جازيا

الخ الأبيات ، فجمعوا له خمسين وصيفاً وأعطاه المهلب مثلها ، ويفرشون : من أفرش

هُمُ يضرِبونَ الكبْشَ يبرُق بيضُه
على وجهِهِ منَ الدِّماءِ سبائِبُ(١)

* * *

سُليْمَى أزْمعتْ بيننا فأين تقولها أينا ؟(٢)

= أى يجعلون اللبد فرشاً لكل طمرة ، أومن فرش ، والكلام على حذف حرف الجر ، أى على كل طمرة ، واللبد : المتلبد من الصوف أو الشعر ، والطمرة : الفرس الكريمة ، والأجرد : القصير الشعر ، والسباح : الذى يشبه سيره السباحة فى اللين واليسر ، والمغاليا : بضم الميم المبالغ فى عدوه وبفتح الميم جمع مغلاة — بكسرها — وهى السهم يتخذ للغالاة ويذ : يسبق وفى دلائل الاعجاز ص ١٠٠ « المغاليا » وهو تحريف .

(١) البيت للأخنس بن شهاب بن شريق بن ثمامة بن أرقم بن عدى بن معاوية التغلبى شاعر جاهلى حضر حرب « البسوس » وتوفى عقيبها سنة ٧٠ ق ﻫ ، ٥٥٠ م وهو فارس « العصا » الفرس المشهورة ، وقد زعم صاحب القاموس ص ٢١٢ ج ٢ أنه صحابى وذلك خطل كبير ، ولعل الأمر التبس عليه بالأخنس بن شريق الثقفى الذى اختلف فى صحابته ، هذا والبيت من قصيدة تبلغ ٢٧ بيتاً ذكرت فى المفضليات كلها وذكر منها فى الحماسة ١٨ بيتاً ، وأولها :

لابنة حطان بن عوف منازل كما رقش العنوان فى الرق كاتب

وبيتنا هذا هو الثانى والعشرون منها ، والكبش: رئيس القوة أوالقائد، والبيض جمع بيضة ، وهى : « الخوذة » الحديدية ، والسبائب ، الطرائق ، جمع سبيبة ، راجع المفضليات ٢ : ١ برقم ٤١ ، والحماسة ٢ : ١٤١ ، والأعلام ٨٨، والمؤتلف ٢٧ وغيرها

(٢) البيت لعروة بن أذينة بن الحارث بن مالك بن زحل بن يعمر بن الشداخ بن وف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناف بن كنانة بن خزيمة المتوفى سنة ١٣٠ ﻫ ، ٧٤٧ م وأذينة لقب أبيه ، واسمه يحيى . وفى اسم جده خلاف ، ولقد كان عروة عالماً ناسكا وشاعراً حاذقا ، وأخباره كثيرة ، راجع بعضها فى الأغانى ٢١ : ١٠٥ أو ١٥٣ طبعتى بولاق والتقدم ، والأعلام ٦٣٩، والشعر والشعراء ١٣٨ « الطبعة الأولى » والمؤتلف ٥٤ ، وجمهرة الأنساب ١٧١ ، ووفيات الأعيان ١ : ٢١٢ « الطبعه القديمة » وشرح الحماسة ٣ : ٢١١ ؛ ٢٥٣ ، التنبيه على أوهام القالى فى أماليه ص ٢٦ ، ٢٧ وغيرها . وتقول هنا : بمعنى تظن .

هما يلبسان المجدَ أحسنَ لِبسةٍ   شحيانِ ما استطاعا عليه كِلاهما(١)

وقوله تعالى: «واتخذُوا منْ دونِه آلِهةً لايخلُقون شيئاً وهم يُخلقون. وإذا جاءُوكم قالوا: آمنا، وقد دَخلوا بالكفر، وهمْ قد خرَجوا به».

وقد بين الشيخ(٢) بأجلى بيان أن تقديم المسند إليه فى كل ذلك لم يقصد به «القصر»، ولا نفى الفعل عن آخر تعريضا به، وإنما قصد به تأكيد ثبوت الفعل للفاعل، ومنع السامع من الشك، فبدىء بالمسند إليه، لتنبيهه، ومنعه من الشك والإنكار.

السر فى إفادة تقديم المسند إليه التوكيد فى هذه الصورة:

يرى الشيخ(٢) أن السر فى ذلك أنه لا يؤتى بالاسم مُعرًّى عن العوامل إلا لحديث قد نوى إسناده إليه، فإذا قلت: «عبد الله» مثلا فقد أشعرت قلب السامع أنك أردت الحديث عنه، فإذا جئت بالحديث وهو «الفعل» فقلت: قام، أو فعل كذا، دخل على القلب دخول المأنوس، وقبله قبول المطمئن، لأنك قد وطأت له، وقدمت الإعلام فيه، وذلك لا محالة أشد لثبوته، وأمنع للشك فيه، لأن الإعلام بالشىء بعد التنبيه عليه ليس مثل الإعلام به بغتة، إذ الإعلام به بعد التنبيه عليه يجرى مجرى تكرير الإعلام للتأكيد؛ ومن هنا قالوا: إن الشىء إذا أضمر ثم فسر: كان أفخم من أن يذكر بدون إضمار، ولهذا تجد قوله تعالى: «فإنها لا تعمى الأبصار»

---

(١) البيت لعمرة الخثعمية — وهى شاعرة جاهلية مقلة من قطعة فى رثاء ابنيها أو أخويها تبلغ ١١ بيتاً ذكرت كلها فى «شاعرات العرب» ص ١٠٦، وتسعة منها فى «شرح الحماسة» وراجع القطعة وشرحها فى الكتابين تحظ بفائدة جليلة.

(٢) ص ١٠١ من «دلائل الاعجاز» ومابعدها، وراجع أيضاً «بغية الايضاح» ٢: ١٠٢ وما بعدها والمطول ص ١١٣، ١٨٢، ١٨٣.

« إنه لا يُفلح الكافرون » أفخم وأشرف مما إذا قيل : إن الأبصار لا تعمى وإن الكافرين لا يفلحون ، من غير إضمار ، وما ذلك إلا لما بيَّنا من أن الإعلام بالشيء بعد التمهيد له يجرى مجرى تكرير الإعلام فى القوة والاستحكام .

هذا رأى الشيخ ، وقد نوقش بأنه شامل لنحو : زيد إنسان ، أى لما كان خبره مفردا ، فإن المبتدأ قد جيء به معرًّى عن العوامل ، لحديث نوى إسناده إليه ، ثم ذكر الحديث وهو الخبر ، فيقتضى ذلك أنه يفيد التوكيد والتقوية ، ولم يقل بذلك أحد ؟ .

وأجيب بأنه لا بد أن يكون الخبر فعلا متحملا لضمير المبتدأ لكى يتحقق أن ذكر المبتدأ كان توطئة وتمهيداً ، إذ لو كان المقصود مجرد الإعلام بقيام زيد لكفى « قام زيد » ، فاما إذا لم يكن الخبر فعلا نحو : زيد إنسان فإن ذكر المبتدأ فيه أولا كان للحكم عليه ، إذ لا طريق له سواه ، ولم يكن توطئة وتمهيداً ، وهو جواب متكلف كما ترى .

فالأحسن أن يقال : إن سر إفادة التقديم التقوية فى مثل : زيد قام ، أن القيام قد أسند إلى « زيد » مرتين(١) : إحداهما : إسناده إلى الضمير المستتر فى « قام » ، والثانية : إسناد جملة « قام » إلى « زيد » ، وهو مرجع الضمير ، فهو هو بعينه ، وكذلك : « أنا قمت » فقد أسند الفعل إلى « التاء » ، وأسندت الجملة إلى « أنا » ، وهو عين التاء ، فكان هذا التكرار للاسناد منشأ التوكيد ، ودفع الشك .

ثم استدل الشيخ(٢) على أن تقديم المسند إليه على الفعل يفيد تقوية

---

(١) راجع المطول ص ١٨٢ ، والمفتاح ص ٩٦ .

(٢) راجع ص ١٠٢ – ١٠٤ من دلائل الاعجاز ، وكذلك ١٠٢ – ١٠٤ ج ٢ من الايضاح مع البغية .

الحكم وتوكيده ، بأن البلغاء يستعملونه فى المواضع التى تحتاج إلى توكيد ، وقد ذكر منها سبعة :

١ ـ أنه يجىء فيما سبق فيه إنكار ، كأن يقول قائل : لا أعلم ماتقول ، فينكر علمه ، فتقول له : أنت تعلم أن الأمر على ما أقول ، فتقدم الفاعل . وتقول : هو يعلم كذا ـ وإذن أنكره ـ ، هو يعلم الكذب فيما قال ـ وإن حلف عليه ـ قال تعالى : « ويقولون على الله الكذبَ وهمْ يعلمون » أى يعلمون كذبهم ، ولا شك أنهم ينكرون الكذب ، وينكرون كذلك علمهم بكذبهم ومعلوم أن الانكار يقتضى توكيد الحكم ، فقدم الفاعل فى هـــذا المثل لذلك .

٢ ـ أنه يجىء فيما اعترضه شك ، كأن يقول لك قائل : كأنك لا تعلم ماقال فلان ، فيظهر شكه فى علمك ، فتقول : أنا أعلم ماقال ، ولكنى أواريه .

٣ ـ أنه يجىء فى تكذيب مُدَّعٍ ، كقوله تعالى : « وإذا جاءُوكم قالوا : آمنا ، وقد دخلوا بالكفر ، وهم قد خرجوا به » فإن قولهم : « آمنا » دعوى منهم أنهم لم يخرجوا بالكفر ، فالموضع موضع تكذيب ، وهو أيضاً من قبيل رد الإنكار ، لأنهم ينكرون الكفر .

٤ ـ أنه يؤتى به فيما القياس فى مثله ألا يكون ، أى فيما يقتضى العقل والمنطق ألا يكون ، نحو قوله تعالى : « واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلَقُونَ » فإنهم وإن كانوا لا ينكرون أنها مخلوقة فإن عبادتها تقتضى أنها غير مخلوقة ، لأن العقل يقتضى أن يكون المعبود خالقا لا مخلوقا .

٥ ـ وكذلك يجىء فى كل خبر كان على خلاف العادة ، وفيما يستغرب

من الأمور ، كما يقولون فى كتب النحو : « بقرة تكلمت » وكما تقول : فلان صار وزيرا ، فلان يدعى العظيم ، وهو يعيا باليسير ، ويزعم أنه شجاع وهو يفزع من أدنى شيء ؛ فكل ذلك أمر مستغرب جاء على خلاف العادة فهو فى حاجة إلى التوكيد لعدم الاستعداد لقبوله .

٦ـ يجيء هذا الأسلوب كثيراً فى الوعد والضمان ، كقول الرجل : أنا أعطيك ، أنا أكفيك ، أنا أقوم بهذا الأمر ، وذلك أن من شأن الموعود أن يعترضه الشك فى تمام الوعد ، وفى الوفاء به ، فهو أحوج إلى التوكيد .

٧ـ وكذلك يكثر فى المدح والفخر ، نحو : هو يعطى الجزيل هو يقرى الضيف ، وقول الشاعر(١) :

---

(١) هو أبو عمرو طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس ابن ثعلبة الشاعر الجاهلى المشهور ، وسماه المرزبانى فى معجم الشعراء « عمرا » وسماه أبو سعيد السكرى « عبيداً » وقيل اسمه « معبد » ولقب طرفة ببيت قاله ، كما ذكر المرزبانى ، أما كنيته فأبو عمرو ، وقيل : أبو إسحاق ، وقيل : أبو سعد ، وقال الخالديان أبو نضلة ، ويعد طرفة أشعر الناس واحدة وهى المعلقة ، مات قتيلا وهو شاب له عشرون أوست وعشرون سنة من سنة ٨٠ ـ ٦٠ ق هـ ، ٥٤٤ ـ ٥٦٤م وقيل توفى سنة ٥٥٠م ، راجع أخباره فى كل كتب الأدب ، وعلى الأخص : الشعر والشعراء ٢٦ « الطبعة القديمة » ١ : ١٣٧ « طبعة شاكر » معاهد التنصيص ١ : ١٢٢ ، والمؤتلف ١٤٦ ، معجم الشعراء ٢٠١ ، ٢٠٢ ، جمهرة أنساب العرب ٣٠٠ ، الجمهرة ص ٤١ ، ١٣٠ ، شعراء النصرانية ١ : ٢٩٨ ـ ٣٢٠ « القسم الثالث » ، خزانة الأدب ١ : ٤١٢ شرح شواهد المغنى ٢٧٣ ، الأعلام ٤٤٦ ، مجلة المشرق ص ٢٣٢ « السنة الخامسة عشر » ، وله أخبار متفرقة فى الأغانى « الأجزاء ٢ ، ٤ ، ٨ ، ١٠ ، ١١ ، ١٥ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٤ » راجع فهرس الكتاب إن شئت ومن مراجعه أيضاً كتب المعلقات والمجاميع الشعرية القديمة كالعقد الثمين ومنتهى الطلب وغيرها .

نحنُ في المشتاة ندعو الجفلَى   لا ترى الآدِب فينا ينتقر(١)

وقول الآخر(٢):

ولأنتَ تفري ما خلقتَ وبعـ   ـضُ القومِ يخلقُ ثم لا يفري(٣)

الخلق هنا: التقدير والقياس، والفرى: الصنع، وأصلهما في الأديم وهو الجلد، يقول: أنت إذا قدرت أديماً لتصنعه صنعته وأتممته، وبعض الناس يقيس الأديم ويقدره، ولكنه لا يصنعه، ولا يتمه، والكلام مثل، يشبه الرجل الذي يعد العدة فينجزها، أو يعزم العزم فيمضيه، بمن يقدر الجلد فيصنعه ويتمه، ويشبه من يعد فيخلف، ويعزم فلا يمضى، بمن يقدر

---

(١) البيت من قصيدة تبلغ ٤٦ بيتاً وصف فيها أسفاره وترحله في البلاد ولهوه ولعبه وأولها:

وبلاد زعل ظلمانها   كالمخاض الجرب في اليوم الخدر

والمشتاة: زمان الشتاء أو مكانه، والجفلى: الدعوة العامة، والآدب: الداعي إلى الطعام، وينتقر: يدعو النقرى، وهي الدعوة الخاصة.

(٢) هو الشاعر الجاهلي المشهور زهير بن أبي سلمى كما في ديوانه ص ٩٤ «طبع دار الكتب سنة ١٣٦٢ هـ»، واسم أبي سلمى: ربيعة بن رباح بن قرة بن الحارث بن مازن ثعلبة — وفي الأغاني بقية نسبه إلى نزار أحد جدود النبي صلى الله عليه وسلم، ولقد كان زهير من فحول الشعراء وحكمائهم الذين لم يعرفوا الكذب في الشعر ولهذا حظي باحترام الناس حياته ثم بعد موته، وإنك لتقرأ شعره فترى الحكمة تنساب من خلاله انسياباً وتدس التجارب العميقة تستلب القلوب استلابا، وكأن شعره جديد في كل حين توفي زهير سنة ١٣ ق هـ، ٦٠٩ م، وترجمته وأخباره في جميع كتب الأدب، وبالأخص أول ديوانه السابق، الأغاني ٩: ١٤٦ «بولاق»، والشعر والشعراء ٢٣ «القديمة» ١: ٨٦ «شاكر»، والفهرست ٢٢٣، معاهد التنصيص ١: ١١٠، الأعلام ١: ٢٣٣، الجمهرة ٣١، ٦٧، كتب المعلقات جميعها والمجاميع الشعرية القديمة.

(٣) البيت من قصيدة في مدح هرم بن سنان تبلغ ٢٢ بيتاً ذكرت في ديوانه «ص ٨٦ — ٩٥» بشرح ثعلب، وتفرى: تنفذ، وخلقت: قدرت وهيأت، أي إنه ينفذ ما قدره ولا ينكص على عقبه.

الجلد ولا يصنعه وإنما احتاج المدح إلى التوكيد ، لأن من شأن المادح أن يمنع الناس من الشك فيما مدح به ، وكذلك المفتخر .

واستدل الشيخ أيضاً(١) على أن هذا الضرب يقتضي التوكيد ، بأنه لا يجيء إذا كان الفعل لا يشك فيه ، ولا ينكر ، بل يؤتى بالفعل مقدما غير مبنى على الاسم ، فإذا أخبرت عمن عادته الخروج قلت : « قد خرج » ولا تقول: « هو خرج » ، لأنه ليس بحاجة إلى توكيد، وكذلك إذا أخبرت عمن عزم على الركوب ، ولم يكن شك فى ركوبه ، تقول : « ركب » ، ولا تقول : « هو ركب » .

تنبيه :

إذا قلت : قد أطلت فى بيان سر إفادة هذا الأسلوب التوكيد ، وأيدت ذلك باستعمال البلغاء ، فهلا ذكرت سر إفادته الحصر والتخصيص أيضاً ؟ .

قلت : إن الشيخ قد ذكر هناك أن ذلك جلى لا يشكل ، وذلك قياسا على تقديم الاسم فى الاستفهام ، فإنه للقصر ، وليصلح الخبر حينئذ جواباً للاستفهام الذى قدم فيه الاسم ، وسيعرض الشيخ لذلك فيما يأتى ، ولعل ذلك آت أيضاً من ناحية أنه يقع فى النفس ـ عند تقديمه ـ أن القصد إليه وحده ، ولا يعدل عن ذلك إلى فهم التقوية إلا بمعونة القرينة الدالة على أن القصر غير مراد ، وهذه القرينة هى سياق الكلام ، أو غير ذلك من الأحوال .

الصورة الثالثة من المسألة الأولى : وهى أن يكون الخبر منفيا ، ولكن يقدم الاسم على الفعل والنفى جميعا ، نحو قولك : أنت لا تحسن كذا

---

(١) ص ١٠٤ دلائل الإعجاز .

وأنا لا أفعل كذا ، وهذه الصورة كسابقتها تحتمل وجهين :

١ - أن يكون الغرض من التقديم قصر نفى الفعل على المقدم ، وإثباته لغيره ، وهذا الوجه لم يذكره الشيخ ، وذكر فى « الإيضاح »(١) .

٢ - أن يكون الغرض تقوية الحكم وتوكيده ، فإن قولك : أنت لا تحسن كذا - إذا قصدت التقوية - أشد لنفى الإحسان من قولك : لا تحسن كذا ، ولذلك يقال الأسلوب الأول لمن هو أشد إعجابا بنفسه ، وأعرض دعوى فتكذبه فى دعواه بالتوكيد الذى يفيده تقديم الاسم ، وكذلك قوله تعالى : « والذين هم بربّهم لا يشركون » ، « لقد حقَّ القولُ على أكثرهم فهم لا يُؤمنون » ، « فعميت عليهم الأنباءُ يومئذٍ فهم لا يتساءلونَ » ، « إنَّ شرَّ الدَّوابِّ عند اللهِ الذين كفروا فهم لا يؤمنونَ » ، فإن تقديم الاسم فى كل ذلك يفيد من التوكيد مالا يفيده تقديم الفعل .

هذا وكما أن « أنت لا تحسن كذا » أبلغ من « لا تحسن كذا » هو أبلغ أيضا من « لا تحسن أنت كذا » بتأخير الضمير عن الفعل .

وسر ذلك : أن الأسلوب الأول لتوكيد الحكم بالوجهين المذكورين فى الصورة السابقة ، وهما :

١ - أن ذكر الاسم معرّى عن العوامل لا يكون إلا لحديث قد نوى إسناده إليه ... الخ ما سبق من رأى الشيخ .

٢ - أن تقديم الاسم فيه تكرار للاسناد - وهو ما استحسناه - .

أما الأسلوب الثانى - وهو « لا تحسن أنت كذا » - فلا يفيد توكيد الحكم إذ ليس فيه ما يقتضى توكيده من الوجهين السابقين ، والضمير المؤخر لتوكيد

---

(١) ص ١٠١ ج ٢ بغية الايضاح .

المحكوم عليه لا الحكم ، فقولك : « لا تحسن » نفى للاحسان عن الضمير المستتر ، و « أنت » مؤكد لهذا الضمير ، على معنى أن المحكوم عليه هو الضمير نفسه ، وأنه لا تجوز ولا سهو .

وأما « أنت لا تحسن » ففيه تأكيد الحكم بالوجهين كما قدمنا من أن التقديم للتوطئة والتمهيد ، أو لتكرير الإسناد ، ففرق بين الأسلوبين .

المسألة الثانية : تقديم المفعول ونحوه :

تعرض الشيخ فى قوله(١) : « ويجىء لك هذا الغرض على وجهه فى تقديم المفعول وتأخيره ... الخ » للفرق وبين تقديم الفعل على المفعول ، وتقديم المفعول عليه فى غير الاستفهام ، وقصر كلامه على النفى .

ونحن نذكر حكم تقديم المفعول ، وتقديم الفعل مطلقاً ، فنقول : إذا قدم المفعول على الفعل كان تقديمه للقصر غالبا ، وأفاد الكلام أن الفعل ثابت ، لاخلاف فيه ، وأن الخلاف فى المفعول ، فلا تقول : « زيدا ضربت » إلا إذا كان الضرب حاصلا بلاشك ، وكان المخاطب يرى أنك ضربت غير زيد ، فترد عليه بأنك ضربت زيدا ولم تضرب غيره ، فقولك: « زيداً ضربت » يفيد ثلاثة أمور :

١ - ثبوت ضرب حاصل منك .

٢ - وقوعه على زيد المقدم .

٣ - نفيه عن غيره ، ولذلك لايصح أن تقول : « زيدا ضربت وغيره » لأن التقديم يفيد نفى الضرب عن غير زيد ، والعطف يفيد وقوع الضرب عليه ، وهو تناقض . هذا فى الإثبات .

---

(١) ص ٩٨ دلائل الاعجاز .

وإذا قلت : « مازيدا ضربت» أفاد أيضاً ثلاثة أمور :

١ - ثبوت ضرب حاصل منك .

٢ - نفيه عن « زيد » .

٣ - ثبوته لغيره ؛ لأنك لاتقول ذلك إلا إذا لم يكن هناك شك فى حصول الضرب ، ولكن المخاطب يزعم أنك ضربت زيداً ، فتنفى الضرب عن زيد ، وتثبته لغيره ، بتقديم المفعول ، وايقاعه بعد النفى، ولذلك لايصح: مازيدا ضربت ولاغيره ، لأن تقديم الاسم وإيقاعه بعد النفى يفيد إثبات الضرب واقعا على الغير ، والعطف يفيد عدم وقوعه على الغير ؛ فيناقض ما أفاده التقديم .

وكذلك لايصح أن تقول : مازيدا ضربت ولكن أكرمته ، لأن تقديم المفعول يفيد أن الفعل مسلم لا كلام فيه ، والكلام إنما هو فى المفعول ، وقولك : ولكن أكرمته ، يفيد أن الكلام فى الفعل لا فى المفعول .

وبعبارة أخرى : أن التقديم يفيد أن الفعل ثابت ، والعطف يفيد أنه غير ثابت ، فيتدافعان ، فالصحيح حينئذ أن تقول : مازيدا ضربت ولكن عمرا .

ويمكن إذا أن تعرف وجه فساد قولك : زيدا ضربت ولم أكرمه ، فإن تقديم المفعول يفيد أن الفعل مسلم لا كلام فيه ، وأن الكلام فى المفعول ، والعطف يفيد أن الكلام فى الفعل ، فيتدافعان .

هذا حكم تقديم المفعول على الفعل .

أما إذا قدمت الفعل فقلت . ضربت زيداً ، أو ماضربت زيداً ، فلا يفيد الكلام أكثر من إثبات ضرب زيد ، أو نفى ضربه ، ولايعرض لغيره بإثبات أو نفى ، ولا يدل على أن الفعل مسلم متفق عليه بين المتكلم والمخاطب

ولذلك يصح أن تقول: ضربت زيدا وغيره، وما ضربت زيدا ولا غيره، كما يصح أن تقول: ماضربت زيداً ولكن أكرمته، وأن تقول: ضربت زيداً ولم أكرمه، لأن الكلام حينئذ فى الفعل لافى المفعول، وهو ظاهر.

ومثل المفعول فى ذلك سائر المتعلقات، كالجار والمجرور، والظرف، والحال، فإن تقديمها على الفعل يكون فى الغالب لإفادة القصر على المقدم، ونفى الفعل عما سواه، وأن الفعل ثابت لاخلاف فيه، والخلاف فى المتعلق.

فنى الإثبات - مثل: بهذا أمرتك، يوم الجمعة قدمت، فى المسجد صليت راكبا جئت، ماشيا حججت - يفيد التقديم ثلاثة أمور:

١ - حصول الفعل بلاشك.

٢ - تعلقه بالجار والمجرور أو الظرف، أو الحال المقدم.

٣ - عدم تعلقه بغيره.

وفى النفى - نحو: مابهذا أمرتك .. الخ - يفيد ثلاثة أمور:

١ - حصول الفعل بلا خلاف.

٢ - نفى تعلقه المقدم.

٣ - ثبوت تعلقه بغيره.

وتستطيع إذاً أن تعلم أنه لا يصح أن تقول: بهذا أمرتك وبغيره، لأن تقديم المفعول يفيد عدم تعلق الفعل بغير المقدم، والعطف يفيد تعلقه به، وهو تناقض، وأنه لا يصح أيضاً أن تقول: ما بهذا أمرتك ولا بغيره لأن التقديم هنا يفيد نفى تعلق الفعل بالمقدم وثبوت تعلقه بغيره، والعطف يفيد عدم تعلقه بالغير، فيتدافعان.

هذا إن قدم المتعلق ، أما إذا قدم الفعل فى هذه الأمثلة ، فإنه لا يفيه إلا ارتباطه بالمتعلق ، ولا يعرض لغيره بإثبات أو نفى ، ولذلك يصح أن تقول : أمرتك بكذا وكذا ، وما أمرتك بكذا ولا بكذا ، وهو ظاهر أيضاً .

هذا وإفادة تقديم المفعول ونحوه للقصر ثابتة بأقوال أئمة البلاغة والأدب وشهادة الذوق ، يعلم ذلك من له بصر بالأساليب العربية .

وإنما قلنا : إن هذا التقديم يفيد القصر « غالبا » ، لأنه قد يأتى لغير القصر قليلا ، كإقامة الوزن ، ورعاية السجع - كما تقدم فى صدر البحث - .

مثل وغير (١)

إذا وقعت « مثل » فى الكلام ونسب إليها فعل من الأفعال كان ذلك على وجهين :

١ - أن يقصد بالكلام المعنى الظاهر من العبارة ، وهو الحكم على مماثل لما أضيفت إليه « مثل » كقول الموظف المغبون : مثلى يتقاضى كذا وكذا ، وأنا آخذ كذا ، فإنه يريد الحكم على إنسان آخر مماثل له ، وكقول امرىء القيس :

فمثلك حبلى قد طرقتُ ومُرضِعٍ ... فألهيتُها عن ذى تمائمَ مُحوِلِ (٢)

فإنه يريد امرأة أخرى مماثلة للمخاطبة (٣)

---

(١) راجع بحث « مثل وغير » فى دلائل الاعجاز ص ١٠٦ ، المطول ص ١١٩ ، الايضاح ص ١١٢ ج ٢ وغيرها وشروح التلخيص ١ : ٤٢٤ .

(٢) طرق البعير الناقة : أتاها ، والتمائم جمع تميمة ، وهى التعويذة التى تعلق على الطفل لئلا يحسد والمحول : من أكمل الحول .

(٣) الخطاب لابنة عمه « عنيزة » المتقدمة فى قوله :

ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة ... فقالت لك الويلات إنك مرجلى

٢ - ألا يقصد به هذا المعنى الظاهر الحقيق ، وإنما يجعل الحكم على « مثل » بشيء كناية عن الحكم على ما أضيفت إليه بذلك الشيء - أي يكون الحكم على ما أضيفت إليه هو المقصود من الكلام بطريق الكناية - مثال ذلك قولك : مثلك رعى الحق والحرمة ، تمدح رجلا ، فإنك لا تقصد أن هناك شخصا آخر يماثل الممدوح كانت منه رعاية الحق والحرمة ، وإنما تقصد أن رعاية الحق كانت من المخاطب نفسه ، بطريق الكناية ، وكذلك قول المتنبي معزيا(١) .

مِثْلُكَ يَثْني الحزْنَ عنْ صوْبِهِ وَيَستردُّ الدَّمعَ مِنْ غرْبِهِ (٢)

وقول القبعثرى (٣) للحجاج (٤) - وقد قال له : « لأحملنك على الأدهم

---

(١) أبا شجاع عضد الدولة فى وفاة عمته ، بقصيدة تبلغ ٣٥ بيتاً ، وتوجد فى التبيان ١ : ٢١٠ - ٢١٧ ، وهذا البيت هو الثالث والثلاثون منها.

(٢) رواية دلائل الاعجاز ص ١٠٦ « المزن » وهى تحريف لم يفطن الناشر إليه ، والصوب : القصد ، والغرب : مجرى الدمع .

(٣) المعروف فى التاريخ أن الذى خرج هو الغضبان بن القبعثرى من ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة ، فالصواب « ابن القبعثرى » راجع كتب التاريخ ، العقد الفريد ٣ : ٣١٠ « طبع العريان » ، والقبعثرى ، بفتح القاف والباء وسكون العين ثم فتح الثاء والراء .

(٤) هو أبو محمد الحجاج بن يوسف بن الحكم بن عقيل بن مسعود بن عامر بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن قسى - كملى - وهو من ثقيف ، كان من الولاة القساة الطبع الغلاظ الكبد الذين لم يرعوا فى الناس حرمات الله ولم يحفلوا بدين ولا خلق ، ويعد المثبت الأول لأركان الحكم الأموى فى عهده ؛ عاش من سنة ٤٠ - ٩٥ ه ؛ ٦٦٥ - ٧١٤ م بعد أن ترك صفحات ملوثة بدماء الأبرياء ، وقد ذكر بعض المؤرخين أنه قتل ١٢٠ ألف صبرا ، وتجد أخباره منتشرة فى كتب التاريخ والأدب وله أخبار مفصلة وتراجم فى العقد الفريد ٥ : ٢٩٨ - ٣٣٨ ، والكامل مع الرغبة ٨ : ٧١ ، ١٢٢ ، الأعلام ١ : ٢١٢ ، وتاريخ الاسلام السياسى ١ : ٤٥٧ وما بعدها ، ووفيات الأعيان « دار المأمون » ٤ : ٤٢ - ١٠٠ مع تحقيقات مبسوطة للأستاذ الكبير احمد يوسف نجاتى ، وغيرها .

ـ أي القيد ـ : «مثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب»(١) يريد الخيل، من باب أسلوب الحكيم (٢)، فلم يرد المتنبي الحكم على شخص آخر يماثل الممدوح، ولم يرد القبعثرى ذلك، وإنما أراد كلاهما إثبات الخبر لما أضيفت إليه «مثل» بطريق الكناية، ولذلك يقول المتنبي :

ولَمْ أقلْ مِثْلُكَ أعْني بهِ سِواكَ يافرداً بِلا مُشْبِهِ (٣)

وهذا الأسلوب الكنائي أبلغ وأفخم من الأسلوب الصريح، كأن يقال أنت رعيت الحق، أنت تثني الحزن عن صوبه، الأمير يحمل على الأدهم والأشهب، لأن الأسلوب الكنائي كدعوى الشيء ببينة ودليل.

وجه الدلالة فيه : أنه إذا ثبت أن من كان مثله، وعلى أخص أوصافه يفعل كذا أولا يفعل، لزم عقلا أنه هو أيضاً يفعله أولا يفعله، لأن ما ثبت لأحد المثلين، أو نفي عنه، يجب أن يثبت مثله للآخر، أو ينفي عنه(٤)، فكأنك تقول : أنت تفعل كذا لأن مثلك يفعله، فهو من استعمال الملزوم في اللازم.

---

(١) توجد هذه القصة في الايضاح ١ : ١١٣ مع البغية، ولها بقية هي أن الحجاج قال للغضبان : أردت الحديد!! فقال : لأن يكون حديداً خير من أن يكون بليداً!

(٢) هو ما عناه العلماء بالنوع الثاني من «القول بالموجب» وهو من المحسنات البديعية المعنوية، وراجع أمثلته في الايضاح مع البغية ٤ : ٩٦–٩٨، والمطول ٤٤٤، شروح التلخيص ٤ : ٤٠٨ وغيرها.

(٣) هذا البيت آخر القصيدة السابقة فرقمه فيها ٣٥.

(٤) مما ينطبق عليه هذا الضابط وإن لم يكن مما نحن فيه قوله تعالى : «ليس كمثله شيء» أي ليس مثل مثله شيء، ومثل المثل مثل، وكأن السر في عدم توجيه النفي إلى المثل مباشرة عدم الاعتراف بوجوده، ولفت الأذهان إلى استحالته من أول وهلة.

تنبيه : ظاهر كلام الشيخ أن « مثل » قد يراد بها المضاف(١) ، وهو ظاهر بيت المتنبي أيضاً ، ولا يخفى أن ذلك غير مقصود ، فإن «مثل» لا تزال مستعمله فى معناها ، وإنما مراد الشيخ أن الحكم على « مثل » قصد به الحكم على ما أضيفت إليه .

غير : وكذلك إذا وقعت « غير » فى الكلام ، ونسب لها فعل ، فإن ذلك يكون على وجهين :

١ ـ أن يقصد المعنى الحقيقى الظاهر ، وهو الحكم على مغاير لما أضيف إليه « غير » ، كقول ابن شرف القيروانى(٢) :

غيرى جَنى وأنا المعاقَبُ فيكم فكأنّنى سبَّابة المتَندّمِ

فإنه يريد أن شخصا غيرى هو الذى جنى ، وأما أنا فقد عوقبت بدون خيانة ، وكذلك قول النابغة(٣) :

لكلّفتنى ذنبَ امرىءٍ وتركتَهُ
كذى العُرّ يكوى غيرُهُ وهْو راتِعُ(٤)

---

(١) وهو أيضاً ظاهر كلام التلخيص وشروحه .

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن أبى سعيد محمد بن أحمد بن شرف الجذامى القيروانى الشاعر الكاتب والأديب الأندلسى المشهور ، له كثير من الكتب وديوان شعر ، وعاش من ٣٩٠ ـ ٤٦٠هـ ، ١٠٠٠ ـ ١٠٦٨م ، وترجمته فى معجم الأدباء ١٩ : ٣٧ ـ ٤٤ والأعلام ٣ : ٩٠٠ ، خلاصة الأثر ٤ : ٣٦٥ ، فوات الوفيات ٢ : ٢٠٤ وبغية الوعاة ٤٦ وغيرها .

(٣) الذبيانى فى إحدى اعتذارياته للنعمان بن المنذر .

(٤) العر ـ بضم العين وفتحها ، كالعرة بالضم ـ : الجرب ، قال فى القاموس : او بالفتح الجرب ، وبالضم : قروح فى الأعناق أو داء يتسل منه الوبر ، والراتع : الذى يأكل ويشرب ـ فى خصب وسعة ـ ما شاء ، والجمع رتاع كنيام ، ورتع كركع ، ورتع ككتب .

فإنه يريد حيواناً غير الأجرب يكوى بالنار مع أن الأجرب راتع فى مرعاه، وهو المقصود بالعلاج، ونظير ذلك قولك: أنا أشقى وغيرى يجنى ثمرة كدّى، فأنت تقصد إنساناً مغايراً لك.

٢ - ألا يقصد هذا المعنى الظاهر، بل يجعل الحكم على «غير» بشىء كناية عن الحكم على ما أضيف إليه بضد ذلك الشىء، أى يكون الحكم على ما أضيف إليه هو المقصود من الكلام بطريق الكناية، كقوله(١):

* غيرى بأكثرِ هذا الناسِ ينخدعُ *

فإنه لا يقصد أن شخصاً آخر غيره يُغَرُّ ويُخدَعُ، وإنما يريد أن يحكم على نفسه بضد هذا الحكم، وهو أنه لا يغر ولا يخدع، بطريق الكناية، وكقول أبى تمام:

وغيرى يأكلُ المعروفَ سُحْتاً وتشحبُ عندهُ بيضُ الأيادِى(٢)

فقد وشى واش إلى الممدوح(٣) بهذه القصيدة(٤)، فزعم أن أبا تمام

(١) هو المتنبى، وبقية البيت:—

* إن قاتلوا جبنوا أوحدثوا شجعوا *

(٢) السحت: الحرام، وشحب لونه — كمنع ونصر وكرم وعنى — شحوبا وشحوبة تغير من هزال أو جوع أو سفر، وبيض الأيادى من إضافة الصفة للموصوف، والمراد بالأيادى: النعم.

(٣) هو القاضى أحمد بن أبى دؤاد وزير المعتصم، وهو الذى أوصله إلى بابه — راجع «أخبار أبى تمام» للصولى ص ١٤١

(٤) وأولها:

سقى عهد الحمى سبل العهاد وروض حاضر منه وبادى

ومن أبياتها: تثبت إن قولا كان زوراً أتى النعمان قبلك عن زياد

ومن يأذن إلى الواشين تسلق مسامعه بألسنة حداد

هجاه ، فأراد أبو تمام بهذا البيت أن يدفع عن نفسه هذه الوشاية ، فقال : « كيف أهجوك ، وقد غمرنى معروفك؟ ، لو فعلت لكنت آكلا له حراما ، وأنا لا آكل المعروف حراما » ، فلم يرد أن هناك شخصا آخر هو الذى يفعل ذلك ، وإنما أراد أن ينفى عن نفسه هذا الأمر بطريق الكناية .

وهذا الأسلوب الكنائى أبلغ وأقوى من الأسلوب الصريح ، لأنه كدعوى الشيء ببينة ، على ما قدمناه فى «مثل» .

ووجه الدلالة : أنك إذا حكمت على غيرك على سبيل العموم بحكم ، لزم ثبوت ضده لك ، فإذا نفيت عن غيرك أمرا لزم ثبوت ضده لك ، وإذا أثبت له أمراً لزم نفيه عنك ، فالذى يقول : « غيرى ينخدع » أثبت لغيره الانخداع ، فلزم نفيه عن نفسه ، والذى يقول : غيرك لا يجود ، نفى عن غير المخاطب الجود ، فلزم إثباته له ، وهكذا .

متى يجب تقديم « مثل » و « غير » فى الكلام ؟

إذا تقرر هذا ، فاعلم أنه إذا أريد بالكلام الذى فيه « مثل » و « غير » الوجه الثانى لكليهما ، وهو أن يكون الحكم عليهما كناية عن الحكم على ما أضيفا إليه ، فإن البلغاء يقدمونهما أبدا فى الكلام ، ويرون تقديمهما كاللازم حينئذ .

ويقول الشيخ(١) : إن استعمالها كذلك شيء مركوز فى الطباع ، جار فى عادة كل قوم ، وإذا تصفحنا الكلام وجدناهما يقدمان أبداً إذا نحى بهما هذا النحو ، وترى المعنى لا يستقيم فيهما إذا لم يقدما ، فلو قلت : راعى الحق مثلك ، ويثنى الحزن مثلك ، وينخدع غيرى بأكثر الناس ، ونحو ذلك

(١) ص ١٠٧ من دلائل الأعجاز مع بعض تغيير فى العبارة .

رأيت كلاماً مقلوباً عن وجهه ، قد نبا عن معناه ، ويأبى الطبع أن يرضاه.

السر فى وجوب تقديمهما :

قالوا : إن السر فى وجوب تقديمهما ـ إذا أريد بهما هذا المعنى ـ أن التقديم أعون على المراد بهما وأنسب ، لأنه فى مثل هذه التراكيب يفيد تقوية الحكم وتأكيده ، وذلك أنسب للكناية التى يقصد بها المبالغة فى إثبات الحكم.

هذا ، وإنما قال : « إن تقديمهما كاللازم(١) » . ولم يقل إنه لازم ، لأن القواعد النحوية لاتقتضى وجوب تقديمهما ، لكنهما لما لم يستعملا فى كلام البلغاء إلا مقدمين أشبها اللازم الذى تقتضى القواعد تقديمه ، كأسماء الاستفهام ، وليس معنى قوله : « كاللازم » أنه يجوز تأخيرهما.

وجملة القول : أن تقديمهما حينئذ لازم بلاغة ، كاللازم صناعة .

تنبيه : لايخفى أن الكناية فى الأمثلة السابقة كناية عن نسبة(٢) ، وذلك أنه جعل الحكم على « مثل » و « غير » كناية عن الحكم على ما أضيفتا إليه ، والحكم هو النسبة .

فائدة : بعد أن بين الشيخ الفرق بين تقديم الفعل ، وتقديم الاسم فى الاستفهام ، وبين مثل ذلك فى الخبر ، أراد أن يقيم دليلا على ثبوت هذا الفرق فى الخبر ، كأنما كان هناك من ينازعه فى ذلك ، ويزعم أن تقديم لاسم على الفعل فى الخبر لايفيد إلا ما يفيده تقديم الفعل على الاسم ، وهو

---

(١) ص ١٠٦ من دلائل الاعجاز

(٢) أى لاعن صفة مثل : طويل النجاد كناية عن الشجاعة ، وجبان الكلب كناية عن الكرم ، ولا عن موصوف كمجامع الأضغان كناية عن القلوب .

بمجرد ثبوت الفعل للفاعل ، ولا دلالة له على القصر ، وقد رد الشيخ ذلك عليه بقوله(١) .

« إعلم أن معك دستوراً(٢) لك فيه ـ إن تأملت ـ غنى عن كل ماسواه ، وهو أنه لا يجوز أن يكون لنظم الكلام ، وترتيب أجزائه معنى فى الاستفهام لايكون له ذلك المعنى فى الخبر ، وقوله(٣) : « محال أن يفترق الحال بين تقديم الاسم وتأخيره فى الاستفهام ، ثم لايكون هذا الافتراق فى الخبر » وقوله ـ فى فصل النكرة ـ : « إذا عرفت هذا الحكم فى الاستفهام فابن عليه الخبر(٤) » .

يريد أن يقول : إنه إذا دل تقديم الفعل فى الاستفهام على أن المسئول عنه مجرد ثبوت الفعل للفاعل ، أو انتفائه عنه ، وجب أن يدل تقديم الفعل فى الخبر المثبت على مجرد ثبوت الفعل للفاعل ، وفى الخبر المنفى على مجرد انتفائه عنه . وإذا دل تقديم الاسم فى الاستفهام على أن المسئول عنه تعيين الفاعل الذى ثبت له الفعل دون غيره ، وجب أن يدل تقديم الاسم فى الخبر المثبت على أن الفاعل المقدم هو الذى ثبت له الفعل دون غيره ، وفى المنفى على أن المقدم هو الذى انتفى عنه الفعل دون غيره ، وهذا هو معنى القصر .

والدليل على وجوب ذلك : أن الاستفهام استخبار ، أى طلب المتكلم

---

(١) ص ١٠٨ دلائل الأعجاز .

(٢) الدستور كلمة معربة ، معناها النظام الموضوع لتحرير الجماعات وهو يطلق الآن على القانون الأساسى للدول التى تحكمها شعوبها ، وفى كلام الشيخ معناه النظام والقانون والقاعدة .

(٣) الصفحة السابقة مع تصرف فى العبارة .

(٤) ص ١٠٩ من الكتاب السابق .

من المخاطب أن يأتى بخبر يدل على ما يريده ، فإذا كنت تستخبره عن مجرد ثبوت الفعل أو انتفائه وجب أن تكون هناك عبارة تفيد مجرد ثبوت الفعل ، وأخرى تفيد مجرد انتفائه ، لكى يمكنه الجواب ، ويطابق جوابه السؤال . وإذا كنت تستخبره عن تعيين الفاعل الذى ثبت له الفعل دون غيره وجب أن تكون هناك عبارة تؤدى هذا المعنى بتمامه ، لكى يمكنه الجواب ، ويطابق جوابه السؤال أيضا .

ولا يتيسر ذلك إلا إذا اختلف المعنى فى تقديم الفعل وتقديم الاسم فى الخبر ، كما اختلف فى الاستفهام ، إذ لو اتحد المعنى فى الحالين لأدى ذلك إلى عدم تمكنه من جواب مطابق للسؤال ، وذلك أنك تطلب بقولك : أزيد قام ؟ مثلا ، تعيين الفاعل الذى ثبت له الفعل دون غيره ، وقول المجيب : زيد قام ، لا يدل إلا على مجرد ثبوت القيام له ـ دون الدلالة على نفيه عن غيره ـ فلم يتطابقا ، فثبت وجوب كون تقديم الاسم على الفعل فى الخبر مفيداً لقصر الفعل عليه ، ونفيه عن غيره ، وهو ماقرره الشيخ سابقا ، وقال : «إنه واضح لايشكل» ، وقد علمت وجه وضوحه ، وهو أن ذلك هو المطابق للاستفهام .

الفرق بين تقديم النكرة على الفعل ، والعكس :

أما فى الاستفهام : فالفرق أن المقدم منهما هو المشكوك فيه ، المسئول عنه ، فإذا قدمت الفعل ، فقلت : أجاءك رجل ؟ دل تقديمه على أنك شاك فى ثبوته للفاعل وانتفائه عنه ، وغرضك معرفة الواقع منهما ، وإذا قدمت الاسم ، فقلت : أرجل جاءك ؟ دل تقديمه على أنك لست شاكا فى الفعل إذ لا تقدمه إلا وأنت عالم بحصول الفعل ، وإنما شكك فى الفاعل ، وغرضك طلب تعيينه .

فلا فرق بين المعرفة والنكرة فى هذا ، لكن هناك فرقا من ناحية أخرى هو الذى حمل الشيخ على أن يفرد النكرة بفصل خاص(١) ، وذلك الفرق أنك إذا قدمت المعرفة فقلت : أزيد جاءك ؟ كان الغرض طلب تعيين الفاعل بعينه ، وأما إذا قدمت النكرة فلا يمكن أن يكون الغرض طلب تعيين جنسه أو عدده .

وذلك أن النكرة تشعر بمعنيين : الجنسية والعدد ، فإن كانت مفردة أشعرت بالجنسية والوحدة ، وإن كانت مثناة أشعرت بالجنسية والاثنينية ، وإن كانت جمعا فبالجنسية والجمعية ، فإذا قدمت فى الاستفهام نحو : أرجل جاءك ؟ احتمل الكلام معنيين .

١ - أن يكون الشك فى الجنس وحده . أى : أمن جنس الرجال أم من جنس النساء ؟ فيكون المطلوب تعيين الجنس .

٢ - أن يكون الشك فى العدد وحده ، أى : أواحد أم أكثر ؟ فيكون المطلوب تعيين العدد ، والقرائن تعين المراد .

وأما الفرق بينهما فى الخبر : فإنك إذا قدمت الفعل ، فقلت : جاءنى رجل دل ذلك على ثبوت الفعل للفاعل المذكور ، ولم يشعر بنفيه عن غيره ، وإذا قدمت الاسم ، فقلت : رجل جاءنى ، دل على أنك تريد قصر الفعل عليه ، وأنه ثابت له ، منفى عن غيره ، ويكون كلاما مع من يعلم أن قد أتاك آت ، ولكنه أخطأ فى معرفة جنسه أو عدده ، فترد بالتقديم خطأه ، وتعلمه الصواب .

فلا فرق بين المعرفة والنكرة فى هذا أيضا ، ولكن هناك فرقا من

---

(١) من ص ١٠٩ - ١١١ من دلائل الاعجاز .

ناحية أخرى ، وهو أن المقصور عليه فى تقديم المعرفة هو المقدم بخصوصه وعينه ، أما فى تقديم النكرة فالمقصور عليه الجنس أو العدد على مابينا قريبا فنحو : رجل جاءنى ، يحتمل أن يكون ردا على من زعم أن الجائى امرأة ، وأن يكون ردا على من زعم أن الجائى اثنان أو ثلاثة ، والقرائن تعين المراد .

شبهة : قد يقول قائل : إذا كانت النكرة تدل على الجنس والعدد معا ، وجب أن يكون القصر باعتبارهما معا أيضاً ، لا باعتبار واحد منهما ـ كما قررت ـ لأنهما لايفترقان .

جوابها : أن هناك فرقا بين أن يكون الشىء مقصوداً ، وبين أن يكون موجوداً غير مقصود ، فالقصر الجنسى لايخلو عن القصر العددى، والعكس لكن المقصود أحدهما بالذات للرد على المخاطب بحسب القرائن ، وأما الثانى فهو موجود غير مقصود

تنبيه : يعلم من هذا الجواب أنه حين يقصد بتقديم النكرة الاستفهام عن الجنس ، أو القصر على الجنس تبقى دالة على العدد ، ولكنه غير مقصود فلم تتمحض للدلالة على الجنس حتى يتوهم أنها صارت مساوية للمعرف بلام الجنس ، لأنها باقية على دلالتها على العدد .

تنبيه آخر : المراد بالجنس ما دل على متعدد ، جنسا كان أو نوعا أو غيرهما فمنه نحو : أرجل طويل جاءك ؟ أرجل كنت تعرفه أعطاك هذا ؟ فالمعنى : أمن جنس الطوال أم من جنس القصار ؟ أمن جنس من تعرفه أم من غيره ؟ وهكذا .

ومن أمثلة القصر على الجنس، قولهم: «شرٌ أهر ذاناب»(١)، قدموا «شر»، لأن المراد أن «المهر» من جنس الشر، لا من جنس الخير، ولذلك يقول العلماء: إنما صلح الابتداء «بشر» مع أنه نكرة، لأنه بمعنى: ما أهر ذاناب إلا شر، والقصر من مسوغات الابتداء، لأنه كالتخصيص بالصفة.

وقد ناقش السكاكى هذا المثال بأنه لا يجوز أن يكون من قصر الفعل على الجنس - كما ذهب إليه الشيخ لانتفاء فائدته حينئذ، لأن كل عاقل يعلم أن الذى يهر الكلب هو الشر دون الخير، والحصر لا يكون إلا فيما يمكن إنكاره.

ولا يصح أيضا أن يكون من القصر على العدد، لأنه بعيد عن الغرض منه، إذ يستعمل للحث على الأخذ بالحزم والحذر، فلا يصح أن يراد: المهرُ شرٌ لا شران، لأن ذلك يحمل على التراخى فى اتخاذ الحيطة.

والوجه المقبول عنده: أن يكون تنكير «شر» للتفظيع، والمعنى: شر فظيع لا شر حقير أهر ذا ناب، فالتخصيص نوعى لا جنسى، وطريقه: الصفة الملحوظة، لا مجرد التقديم.

وقد رجح بعض الناظرين رأى الشيخ، لأنه العارف بأساليب البلغاء ومقاصدهم، وبعضهم رأى السكاكى، لأن الهرير صوت للكلب غير معتاد يتشاءم به، ويخشى عنده السوء، فلا يكون مبعثه إلا شراً، ويؤيدهم قول القاموس: «إنه يضرب لظهور أمارات الشر ومخايله، لما سمع قائله هريراً

(١) راجع الكلام على هذا المثل فى المطول ص ١١٦، وشروح التلخيص ١: ٤١١ وما بعدها، الايضاح ١: ١٠٧، دلائل الاعجاز ص ١١٠ وما بعدها، المفتاح ٩٧ وغيرها

أشفق من طارق شر ، فقال ذلك تعظيما للحال .

ملاحظة : لم يذكر الشيخ أن تقديم النكرة يكون لتقوية الحكم ، أما قوله فى آخر هذا الفصل : « وإذا اعتبرت ما قدمته من قول صاحب الكتاب إنك إذا قلت : عبد الله ، فنبهته ، ثم بنيت عليه الفعل ، وجدته يطابق هذا » فلم يرد به الإشارة إلى تقوية الحكم ، بل توكيد أن النكرة لابد أن يقصد بها إلى العدد أو الجنس ، لأنهما اللذان يمكن أن ينبه بها عليهما .

وقد اقتصر الشيخ على بيان حكم تقديم النكرة فى الخبر المثبت ، ولم يذكر حكمها إذا قدمت على الفعل المنفى واقعة بعد النفى نحو : « ما جاءنى رجل » أو قبله نحو : « رجل ما جاءنى » ، وذلك - على ما أرى - لأنه لم يعثر على هذين الأسلوبين فى كلام البلغاء ، وهو بصدد بيان « أسرار البلاغة » عندهم والاستشهاد بأقوالهم - لا بصدد ذكر الأقسام العقلية ، والاحتمالات المنطقية التى لا جدوى لها .

والله أعلم بالصواب ، والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين .

* * *

الكلمة الأخيرة

وبعد ، فقد اضطرنى الطلاب أن أوافق على طبع هذه « الدراسات » مع أنى أبيت ذلك سنوات ، لضآلة فائدتها ، وقصورها عن أن تعد كتابا يطبع ويتداول ، وخشية أن يطلع عليها مطلع فلا يتمالك أن يتمثل بقول القائل :

وبات يقدح طول الليل فكرته   وفسر الماء بعد الجهد بالماء

ويشى أنى إنما كتبتها لطلاب فترت عن التحصيل هممهم وتوزعت بين الشواغل أفكارهم ، للتسهيل وتقريب المعنى فقط .

وقد تفضل الزميل الكريم ، ذو الخلق القويم ، الأستاذ العلامة الشيخ عبد السلام أبو النجا سرحان فاحتمل عبء طبعها وضبطها وتصحيحها ، وعلق عليها تعليقا أدبياً نفيساً ، رفع من شأنها ، وأنبه من ذكرها ، وجعلها شيئاً ، فله جزيل شكرى وجميل ثنائى ؟

الأربعاء ٢٦ جمادى الأولى سنة ١٣٦٩ — ١٥ مارس سنة ١٩٥٠

المؤلف

موضوعات الكتاب

الموضــوع	الصفحة
تقديم الكتاب	«ا»
افتتاحية المؤلف	٣
التشبيه والتمثيل	٤
تقسيم التشبيه إلى تمثيلي وغيره .	٤
التشبيه غير التمثيلي عند عبد القاهر .	٤
التشبيه التمثيلي عنده	١١
معنى التاول واشتقاقه .	١٣
غير التمثيلي هو الأصلي ، والتمثيلي فرع له ، وأدلة ذلك .	١٦
النسبة بين الضربين .	١٨
التشبيه والتمثيل فى شعر ابن المعتز .	١٨
« « « صالح بن عبد القدوس.	٢٢
رأى السكاكى فى الضربين .	٢٤
« الخطيب « «	٢٥
الباعث على التقسيم إلى تمثيلي وغيره .	٢٦
تقسيم التشبيه إلى مفرد ، ومركب ، ومتعدد	٢٧
فيم يتفق المركب والمتعدد وفيم يختلفان ؟	٢٨
هل يجوز فض المركب وجعله متعددا ؟	٣٧
ما يمتنع فيه ذلك ، وسبب الامتناع .	٣٨
ما يجوز فيه ذلك .	٤٠
مثل اليهود .	٤٤

الصفحة	الموضوع
٤٥	« هو يصفو ويكدر » استعارة لا تشبيه .
٤٩	إذا كان المشبه به فعلا متعديا أوجب له التعدى حكما خاصاً فالتشبيه مركب .
٥٤	الاشارة إلى بعض أوجه التركيب .
٥٦	هل يشترط الشيخ فى التمثيل أن يكون مركبا .
»	كلما كان التشبيه أوغل فى العقلية كانت حاجته إلى الجمل أكثر
٥٩	تحذير من الخطأ فى انتزاع وجه الشبه .
٦١	اختلاف العلماء فى تخريج عبارة « تقدم رجلا وتؤخر أخرى » وتحقيق الصواب فيها . للاستاذ المعلق
٦٣	تقسيم أمثلة المركب إلى نوعين ، وحكم كل .
٦٤	رأى أبى أحمد العسكرى ونقد الشيخ له . وحقيقة الأمر .
٦٥	هل يطرد وصف المشبه بصفة المشبه به ؟
٦٦	المفرد المقيد داخل فى المركب .
٦٧	مواقع التمثيل
٧١	تأثير التمثيل
٨١	أسباب تأثير التمثيل .
٨٢	السبب الأول .
٨٧	بعض الأدلة على أن التمثيل بالحسى أعظم أثراً فى النفس .
٩٢	السبب الثانى ، تحقيقه فى غير التمثيل .
٩٥	تحقيقه فى التمثيل ، طرائف التمثيل .
١٠٥	التمثيل يأتيك من الشىء الواحد بأشباه عدة .
١١٧	السبب الثالث .

الصفحة	الموضـــوع
١١٩	الفرق بين الفكر فى التمثيل والفكر فى التعقيد .
١٢٢	التعقيد لم يذم فى الحقيقه لحاجته إلى الفكر .
١٢٣	التوفيق بين قولهم . « خير الكلام ما كان معناه إلى قلبك ، أسرع من لفظه إلى سمعك ، وبين كون الحاجة إلى الفكر من أسباب حسن التمثيل .
١٢٨	شرح أبيات التعقيد .
١٣٢	شرح أبيات التمثيل .
١٣٧	من طرائف التمثيل أيضاً .
١٤١	متى يكون الجمع بين المختلفات مقبولا .
١٤٣	قصة « جرير » مع « عدى بن الرقاع »
١٤٥	تصوير الفعل بصورة ضده .
١٤٩	أسباب تأثير التمثيل هى أسباب غرابته . قد يخرج التمثيل عن سنن الصواب .
١٥٣	التشبيه الغريب ، والتشبيه القريب
١٥٥	السبب الأول لـكل منهما .
١٥٦	ضروب « التفصيل » .
١٦٦	السبب الثانى لـكل منهما .
١٧٥	قد يجتمع فى التشبيه الواحد سببا القرب والبعد .
١٧٦	التشبيه المركب الطرفين ضربان .
١٨٠	الغرض من هذا التقسيم .
١٨١	موازنات .
١٨٧	التشبيه فى هيئة الحركـة .

الصفحة	الموضـــوع
١٩٥	التشبيه فى هيئة السكون .
١٩٩	الفرق بين التشبيه التمثيلى وغير التمثيلى من جهة العكس
١٩٩	حكم غير التمثيلى
٢٠١	ضابط مايطرد عكسه وما لايطرد
٢٠١	جواز عكس الثانى على التخييل
٢٠٧	حكم التمثيلى
٢٢١	شواهد على كثرة عكس غير التمثيلى
٢٣٩	**التقديم والتأخير**
٢٤١	هل يجب أن يكون التقديم أبداً لفائدة معنوية ؟
٢٤٣	مسائل التقديم والتاخير
٢٤٤	الاستفهام الحقيق
٢٤٤	خلاصة لحكم الاستفهام بالهمزة
٢٤٨	شرح كلام « الشيخ »
٢٥٢	الاستفهام التقريرى
٢٥٦	الاستفهام الإنكارى
٢٥٩	لإنكار الفعل صورتان
٢٦٤	الفرق بين الإنكار بالنفى الصريح وبالاستفهام
٢٦٥	فرق آخر للشيخ ونقده
٢٦٨	**الخبر**
٢٦٨	الفرق بين تقديم الاسم وتقديم الفعل فى الخبر
٢٦٩	الصورة الأولى : « مافعلت كذا ، وما أنا فعلت كذا »

الصفحة	الموضــوع
٢٧٤	الصورة الثانية : « فعلت كذا ، وأنا فعلت كذا »
٢٧٧	سر إفادة التقديم توكيد الحكم ، والدليل عليها .
٢٨٢	سر إفادة التقديم « القصر »
٢٨٢	الصورة الثالثة : « مافعلت كذا ، وأنا ما فعلته »
٢٨٤	الفرق بين تقديم مفعولات الفعل وتأخيرها
٢٨٧	مثل وغــير
٢٩٣	فائدة فى بيان وجوب اتحاد حكم التقديم فى الاستفهام والخبر
٢٩٥	تقديم النكرة وتأخيرها فى الاستفهام والخبر
٢٩٩	الكلمة الأخيرة للمؤلف

فهرس الأعلام

أ

ابن الأثير : ٢٤٢
« الأعرابى : ٩٠
« بابك : ١١٠ ، ١١٢ ، ١٧١ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ٢١٥ ، ٢٣٦
ابن حزم : ٨٥ ، ١٢٠
« دريد : ٩٣
« السبكى : ٩ ، ٢٥٣
« رشيق : ٢٠ ، ١١٤
« الرومى : ٤١ ، ٧٤ ، ٨٠ ، ٩٣ ، ١٠٧ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١٢٤ ، ١٣٩ ، ١٤١ ، ١٤٧ ، ١٩٨ ، ٢٠١
ابن شرف القيروانى : ٢٩٠
« طباطبا : ٢١٣ ، ٢١٦
« العميد : ٨٩
« لنكك : ٧٤ ، ٧٥
« المعتز : ٦ ، ٩ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٣٠ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٩١ ، ٩٤ ، ١٤٢ ، ١٥٧ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٦ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٢ ، ١٨٤ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٥ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢١٧ ، ٢٢٢ .
ابن نباتة : ١٠٥ ، ٢٣٣
« وهب : ٤١ ، ٢٣٤
« يعقوب : ٢٥٦
أبو أحمد العسكرى : ٦٤
« اسحاق الفارسى : ٤٣
« بكر الخالدى : ١٦٧
« « الخوارزمى : ١١١
« « الصديق : ١٣٠
« « الصنوبرى : ١٧٤ ، ١٧٦ ، ١٩٠
« تمام : ٤٨ ، ٣٦ ، ٧٩ ، ٨٢ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٦ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٩ ، ١٣١ ، ١٤٦ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ٢٩١
أبو الحسن التهامى : ٥٣
« « بن مقلة : ٩٨
« حية النميرى : ١٢٦
« دواد الايادى : ١٠٤
« ذؤيب الهذلى : ٥٢ ، ٧٩
« الشمقمق : ٥١
« الشيص : ١١٦

أبو طالب الرقى : ٤٠ ، ١٧١ ، ١٧٤ ، ٢١٢
أبو طالب المأمونى : ٢١٥
« العباس الضبي : ١١٠
« العتاهية : ٩٣ ، ١٤٧ ، ١٥٠ ، ١٦٠
أبو على بن حمولة : ١١٠
« عمرو بن العلاء ١٤٣
« الفرج الببغاء : ١٥٦
« فراس : ١٠ ، ٢٣٠ ، ٢٣٧
« القاسم التوزى : ٧٤
« قيس بن الأسلت : ٥
« مسلم البصرى : ٢٠١
« النجم : ١٦٩
« النصر سعيد بن الشاه : ٢٣٥
« نصر المنازى : ١٣٨
« نواس : ٨٩ ، ١٤٩ ، ١٨٥ ، ٢١٩ ، ٢٢٣
« أبو هلال العسكرى ٦٤ ، ٧١ ، ٩١
أحمد بن أبي دؤاد : ٤٨ ، ٧٩ ، ٢٩١
« « سليمان بن وهب : ١٩٣
الأحوص : ١٧٠ ، ٢١٢
أحيحة ابن الجلاح : ٥
الأخطل التغلبي : ١٩٦
الأخفش : ١٢٤
الأخنس بن شهاب : ٢٧٦
الأخيطل الأهوازي : ١٩٦

الأصمعى : ١٤٣
الأعشى : ١٩٢
الأفوه الأودى : ٧٨
أكثم بن صيفى : ٧٧
امرؤ القيس : ٩ ، ٣٤ ، ١٢٠ ، ١٣٥ ، ١٥٩ ، ١٦٢ ، ١٩٥ ، ١٩٤ ، ٢٢١
أوس بن حجر : ٢٢٨

ب

بك : ١٣٠
الببغاء : ١٥٦
البحترى : ٣٦ ، ٦٧ ، ٧٢ ، ٨١ ، ١٠١ ، ١٠٩ ، ١١٤ ، ١٢٠ ، ١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٣٥ ، ٢٠١ ، ٢١٠ ، ٢٢٠ ، ٢٤١ .
البديع الهمذانى : ٨٩ ، ١١١
بشار بن برد : ٣١ ، ٧٤ ، ١٥٢ ، ١٨١
بكر بن خارجة : ٤٢
البوصيرى : ٩٥

ت

التلعفرى : ١٨٨
تميم بن المعز : ١٥٧
« مقبل : ١٦ ، ١٥٩ ، ٢٢٤

ث

ثعلب ٩٠ ، ١٢٤

ج

جبار بن جزء : ١٦٩ ، ١٨٨

جحظة : ٢١٨

الجرجانى (القاضى) ٣٣ ، ٨٠ ، ١٠١ ، ٢١٩

جرير : ٨٩ ، ٩٠ ، ١٠٤ ، ١٣٦ ، ١٤٣ ، ٢٥٥

ح

حاجب بن زرارة : ١٠٧

الحجاج : ٢٨٩

الحريرى : ٤٥ ، ٨٩ ، ١٠٦ ، ١١٤

حسان بن ثابت : ٤٧ ، ٢٢٩

الحسن بن محمد المهلبى : ١٨٩

الحطيئة : ١٣٩ ، ٢٢٩

الحمانى : ٢٢٧

حمده أو حمدونة بنت زياد : ١٣٨

حندج المرى : ٨٧ ، ٢٢١

خ

خالد بن صفوان : ٧٤

خالد الكاتب : ٢٢٢

الخطيب القزوينى : ٢٥ ، ٢٧ ، ٧٠ ، ٢٥٤ ، ٢٧٤

خلف الأحمر : ٩١

الخليل بن أحمد : ١٤٤

الخنساء : ١٠٢

د

دريد بن الصمة : ١٠٢

دعبل الخزاعى : ١٩٧

ذ

ذو الرمة : ٧ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٧٩

ر

رؤبة : ٣٦

الرازى : ٢٠٧

الراعى النميرى : ٨٩

الرشيد : ١٦٠ ، ١٨١

ز

الزجاج : ٩٠ ، ٩١

الزجاجى ٩٠

الزمخشرى : ٧١ ، ٢٥٢

زهير بن أبى سلمى : ٢٨١

زياد الأعجم : ١١٥

س

سبط بن التعاويذى : ١٢٩ ، ١٩٨

السرى الرفاء : ٢٢٢

سعد أبى وقاص : ١٠٨

السعد التفتازانى : ٩ ، ٢٠٩ ، ٢٥٣ ، ٢٧٤

سعد بن ناشب : ٦٩ ، ٩١

سعيد بن سلم بن قتيبة : ٥٠ ، ٥١

السكاكى : ٢٤ ، ٢٧ ، ٦٢ ، ٩٣ ، ٢٨٩

السلامى : ٢٢٤ ، ٢٢٩

سليمان بن عبد الملك : ٩٦
سيبويه : ٢٤٠
السيد الشريف : ٩٢
سيف الدولة : ٨٣ ، ٩٣ ، ١١٩ ، ١٣٣ ، ١٥٦

ش

الشافعى : ٧٨
شبرمة بن الطفيل : ٨٨
شبيب بن شيبة : ٧٤
الشماخ بن ضرار : ١٦٩

ص

الصاحب بن عباد : ١٧ ، ١١٠ ، ٢١٥ ، ٢١٩
صالح بن عبد القدوس : ٢٢
صريع الغوانى : ١٤٩
الصولى : ١٤٨ ، ١٨٦

ط

طرفة بن العبد : ٢٨٠
الطرماح : ٥٢

ع

العباس بن الأحنف : ١٣٤
عبد الرزاق حميده (الأستاذ بكلية دار العلوم) : ١٣٨
عبد السلام أبو النجا سرحان (الأستاذ بكلية اللغة العربية) : ٣٠٠
عبد العزيز بن مروان : ٩٦
عبد القيس بن خفاف البرجمى : ٢٢٩
العجاج : ١٩٣
عجيف بن عنبسة : ١٩٨
عدى بن الرقاع : ١٤٣
عروة بن أذينة : ٢٧٦
العسكرى : ٦٤ ، ٧١ ، ٩١
عضد الدولة : ١١٣
على بن اسحاق الزاهى : ٩٣
على بن الجهم : ١٣٢ ، ١٥٢
على بن محمد الحمانى : ٢٢٧
عمر بن أبى ربيعة : ٩٦
عمر بن الخطاب : ٩٦ ، ١٢٦ ، ١٣٩
عمر بن لجأ التيمى : ١٤٠
عمر بن هبيرة : ٣١
عمرة الخثعمية : ٢٧٧
عمرو بن أحمر الباهلى : ١٦٠
عمرو بن مسعدة : ٢٣٢
عنترة : ١٦١
عون بن محمد ٩١

غ

الغزى : ١١٥

ف

الفرزدق : ٣٠ ، ١١٥ ، ١٥١

ق

القاضى التنوخى : ٣١ ، ٣٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٤ ، ٢٢٥
قدامة بن جعفر : ٢٢٩

قطرى بن الفجاءة : ١٢٠ ، ١٣٥، ١٣٧
قيس بن الخطيم : ٥

ك

كثير : ٢٢ ، ١٥١ ، ١٧٩
كشاجم : ١٧٠
كعب بن مامة : ١٠٤
كعب بن معدان : ١٢
كلثوم بن عمرو العتابى : ١٨١
الكميت الأسدى : ٨٩

ل

لبيد : ٧٨

م

مادر : ١٠
مازيار : ١٣٠
المتنبي : ٣٥ ، ٣٦ ، ٤٢ ، ٧٥ ، ٧٩ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١١٥ ، ١١٩ ، ١٢١ ، ١٢٨ ، ١٣٢ ، ١٣٨ ، ١٤٠ ، ١٨٢ ، ١٩٥ ، ٢١٩ ، ٢٣٥ ، ٢٩١
المتوكل : ١٢٧
مثقال الواسطى : ١٤١
المثقال الأزدى : ١٤١
مجنون ليلى : ٨٤ ، ١٣١
محمد الطنطاوى (الأستاذ بكلية اللغة العربية) : ٢٢٩
محمد بن على القمى : ١٢٠
محمد العتابى : ٩٦
محمد بن وهيب ٢٠٤
محيي الدين عبد الحميد : (الأستاذ بكلية أصول الدين) : ٩٦
المرقش الأكبر : ٣٤
مروان بن أبي حفصة : ٧٣ ، ١٢٤
مروان بن محمد : ٦١
مسلم بن الوليد : ١٢٨ ، ١٤٩
المعذل بن عبد الله الليثى : ٢٧٥
معز الدولة : ١٨٩
المنازى : ١٣٨
المهلب بن أبي صفرة : ١٤٠ ، ٢٧٥

ن

النابغة الجعدى : ٢٣٧
النابغة الذبيانى : ١١٩ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ٢٢٩ ، ٢٣٥ ، ٢٩٠
نصيب : ٩٦
النعمان بن المنذر : ١١٩ ، ١٣٤
نمروذ بن كنعان : ٢٥٣

هـ

هرم بن سنان : ٢٨١

و

الوأواء : ١٩

ى

يزيد بن الوليد : ٦١
يعقوب بن إسحاق بن نوبخت : ٧٢

فهرس القوافى

أ

لقى النجوم وقد طلعن بمثلها (ضحاء) ٢٢٢
كأن دنانيرا على قسماتهم (لقاء) ٩
وما أدرى وسوف إخال أدرى (نساء) ٢٥١
بكت السماء بهار ذاذ دموعها (سماء) ٢٣١
بذل الوعد للأخلاء سمحا (العطاء) ٧٤
إذا ماعد مثلكم رجالا (النساء) ١٣٢
يمشون فى زغف كأن متونها (نهاء) ٢٣٠

ب

وقد صار هذا الناس إلا أقلهم (ذئاب) ١
والشمس من مشرقها قد بدت
(حاجب) ١٨٩
فعاجوا فأثنوا بالذى أنت أهله
(الحقائب) ٩٦
وكذاك وصل الغانيات فإنه (خلب) ٢٣
حلاء فى برج صفراء فى نعج (ذهب) ١٧٩
وتأخذه عند المكارم هزة (الرطب) ٧
هم يضربون الكبش يبرق بيضه
(سبائب) ٢٧٦
فإنك شمس والملوك كواكب (كوكب)
١٢٠، ١٣٥
يزور الأعادى فى سماء عجاجة (الكواكب)
١٨٢
كأن مثار النقع فوق رءوسنا (كواكبه)
٢١، ٣٥، ٤٠، ٦٠، ١٨١
كالبدر من حيث التفت رأيته (ثاقبا) ١١٤
إذا هم ألقى بين عينيه عزمه (جانبا) ٦٩، ٩٢
كالبحر يقذف للقريب جواهرا
(سحائبا) ١١٥
إذا وترت امرءا فاحذر عداوته (عنبا) ٧٧
(المغالبا) ٢٧٥
ولم أنس ليلتنا فى العناق (قضيبا) ٤٣
هم يفرشون اللبد كل طمرة
كل شعب كنتم به آل وهب (أديب) ١٩٤
بكرت تعير الأرض ثوب شباب
(القسكاب) ١٩٠
لله يسهر فى مديحك طرفه (ثوابه) ١٢٦
فأنتم بذى قار أمالت سيوفكم (حاجب) ١٠٧
حيوا أتماضروا اربعوا صحبى (حسبى) ١٠٢
أنت كالكلب فى احتفاظك للود
(الخطوب) ١٥٢
وقد زادها إفراط حسن جوارها
(خيب) ٨١، ٢١١
ويوم عند باب أبى نعيم (الذباب) ٩١
وكان الشمس المنيرة دينار (الضراب) ٢٠٣
دان على أيدى العفاة وشاسع
(وضريب) ٦٨، ٧٢، ١٠١، ١١٤، ١٢٥

والشمس لو وقفت فى الفلك دائمة
(عرب) ٨٦
قد أقذف العيس فى ليل كأن به (العشب)
٢٣١
تأبى خلائق خالد وفعاله (عائب) ٢٦٠
فأصبحت من ليلى الغداة كناظر
(مغرب) ٨٤
كالبدر أفرط فى العلو وضوؤه (قريب)
٥٥ ، ٦٨ ، ٧٢
إذا هو أثرى بدا واصلا (واحتجب) ١١٢
إذا تبدى البرق فيها خلته (يضطرب) ١٧٨
يتابع لا يبتغى غيره (الملتهب) ١٦٢

ت

قتلت مجاشعا وقتلت عمرا (قتلتُ) ١٦٢
وجوابة الأفق موقوفة (الحضرةَ) ١٠١
كما أبرقت قوما عطاشا غمامة (وتجلت)
٢٣ ، ٣٩ ، ٥٩
أعددت للجار وللعفاة (متساميات) ٢٣٦
تغيبت كيلا تجتوينى دياركم (لملت) ٨٦
بدا لك من يوم كظل حصاة (موات) ٩١
وكأنهن غصون بان ناعم (الوجنات) ١٥٧
ولازوردية تزهو بزرقتها (اليواقيت) ٩٣

ج

كأن الثريا هودج فوق ناقة (مزعجُ) ٢٠ ، ١٠٤
كأن أصوات من إيغالهن بنا (الفراريج) ٧

ح

ما عاتب الحر الكريم كنفسه (الصالح) ٧٨
بح صوت المال مما (ويصيحُ) ١٤٩
وبدا الصباح كأن غرته (يمتدحُ) ٢٥٠
وكأن البرق مصحف قار (وانفتاحا)
١٤٢ ، ١٧٢ ، ١٩١
مبارك الوجه ميمون نقيبته (قدحا) ١٠٧
كأنما يبسم عن لؤلؤ (أقاح) ٢٢٤
ألستم خير من ركب المطايا (راح) ٢٥٥

د

رقيق حواشى الحلم لو أن حلمه (بردُ) ١٥٢
غدت عينه كالجمر حتى كأنما (الخدُّ) ١٥٧
بياض فى جوانبه احمرار (الخدودُ)
٣٠ ، ٣٢
ولولا علاه عشت دهرى كله (عقدُ) ١٥١
يخططن بالعيدان فى كل منزل (النواهدُ)
٢٣٥
عرف الديار توهما فاعتادها (أبلادَها)
١٤٣
وتحمى له المال الصوارم والقنا (والجدا) ٩٧
إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى
(جلمدا) ١٧١ ، ٢١٢
فما كعب بن مامة وابن سعدى (الجوادا)
قلت لمن ، قال لى عرضت على (حمده) ١٢٤

لا ، ولارام ثابس (فأصلدا) ١٠٦
آل المهلب قوم خولوا شرفا (كادا) ١٤٠
أوفى على الماء كعب ثم قيل له (وردا) ١٠٤
يا طيىء السهل والأجبال موعدكم
(الأسد) ٥٢
قم ياصديق نصطبح بسواد (باد) ١٩
ياعادع البخلاء عن أموالهم (بارد) ٥٠
وإذا تآلفت القلوب على الهوى (بارد) ٥٠
لاتخلطوا الدوشاب فى قدح (البرد) ٢١٧
فأمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت
(بالبرد) ٤٦
كعب وحاتم اللذان تقعما (وتليد) ١٠٤
وطول مقام المرء فى الحى مخلق
(تتجدد) ٨٥
يجود بالنفس إن ضن البخيل بها
(الجود) ١٠٤
وإذا أراد الله نشر فضيلة (حسود) ٨٠
أقحوان معانق لشقيق (الخدود) ٢٢٥
كأن الهام فى الهيجاعيون (رقاد) ١٤٠
ونار لو نفخت بها أضاءت (رماد) ٥٠
هيهات تضرب فى حديد بارد (زياد) ٥٠
ونيلوفر يحكى لنا المسك طيبه
(مسعد) ١٧٦
فلما طغى ماؤه فى البلاد (صد) ١٩٥
إلى الزبعرى فان اللؤم حالفهُ (أعود) ٤٧
قد انقضت دولة الصيام وقد (بالعيد) ٢١
تريدين كيما تجمعينى وخالدا (غمد) ٥٢، ٧٩
أعتقنى سوء ماصنعت من الرق
(كبدى) ١٤٨
على باب قنسرين والبـاب لاطخ
(بمداد) ٢٢٣
كلنا باسط اليد (ند) ١٧٦
ربما تبيت أناملى (النهود) ٢٢٤
والثريا كأنها كف خود (وجد) ١٩
لو كنت يوم الوداع حاضرنا
(الوجد) ٢٢٣
يترشفن من فمى رشفات (التوحيد) ٢١٩
فأصبحت عما كان بينى وبينها (باليد) ٥٠
وغيرى يأكل المعروف سحتا
(الأيادى) ٢٩١
نعمة كالشمس لما طلعت (بلد) ١٣٤
وكأن محمر الشقيق (تصعد) ١٣٤

ر

رق الزجاج ورقت الخمر (الأمرُ) ١٧
تبنى سنابكها من فوق أرؤسهم
(المباتيرُ) ١٨١
لاتعجبنك اللحى ولا الصور (بقرُ) ٧٤
وكأن الروض وشى (التجار) ١٦٨، ٢٢٣
وزحف له تحكى البروق سيوفه
(حوافره) ١٦٠
حسام كالعقيقة فهو كمى (فطار) ٢٢٥
وما المرء إلا الأصغران لسانه
(مصور) ٧٤

فدع الوعيد فما وعيدك ضائرى
(يضير) ٢٦٨
والشيب ينهض فى الشباب كأنه (نهار) ٣٠
وأرض كأخلاق الكرام قطعتها
(فأبصرا) ٢١٥
شرف تزيد بالعراق إلى الذى
(ببلنجرا) ١٠٩
وسارية لاتحمل البكا « الثرى » ٢٢٥
كأن عينيه إذا ما أثارا « أحمرا » ١٨٥
إذا ما عن ذكر القوافى فلن ترى
« أشعرا » ١٢٦
وحتى حسبت الليل والصبح إذ بدا
« وأشقرا » ٣٧
كأن صليل المروحين تشذها
« بعبقرا » ١٥٩
بأبى وأمى كل ذى « مرة » ١٠٥
وما أنا أسقمت جسمى به « نارا » ٢٧٠
وقد لاح فى الصبح الثريا لمن رأى
« نوّرا » ٥ ، ١٨٠
وسقط كعين الديك عاورت صاحبى
« وكرا » ١٥٧
زوامل للأشعار لا علم عندهم
« الأباعر » ٧٣ ، ١٢٤
سالت عليه شعاب الحى حين دعا
« كالدنانير » ٩
ونجم الثريا فى السماء كأنه « مدبر » ٢٠
وإن قولا يروق الخالدين معا « تحبير » ٧٤
وللفؤاد وجيب تحت أبهره
« بالحجر » ١٥٩
أيا غائبا حاضرا فى الفؤاد « الحاضر » ١٠١
لدى نرجس غض وسرو كأنه « خضر » ٢٣٤
إنى وتزيينى بمدحى معشرا « خنزير » ٤١
ويوم كظل الرمح قصر طوله « المزاهر » ٨٨
جزى البخيل على صالحة « ظهرى » ١٤٧
والصبح فى طرة ليل مسفر « أشقر » ٢٣٣
إذا أخو الحسن أضحى فعله سمجا
« الصور » ٧٥
ثانيه فى كبد السماء ولم يكن « الغار » ١٢١
ولأنت تفرى ما خلقت « يفرى » ٢٨١
والأقحوان كالثنايا الغر « بالقطر » ٢٢٥
ويبرزن فى وشى أنيق كأنه « القطر » ٢٢٣
ورمانة شبهتها إذ رأيتها « مرمر » ٢٣٥
ولقد شفى الأحشاء من برحائها
« مازيار » ١٢٩
ومكلف الأيام ضد طباعها « نار » ٥٤
عدل الحبيب فمن يجور « يسير » ٢٣٤
إنما نعمة قوم متعة « مستعار » ٧٨
كأن المدام وصوب الغمام « القطر » ٩
والشمس ليس بضائر تأنيثها « القمر » ١٣٢
فى ليال كأباهيم القطا « وتمر » ٩١
نحن فى المشتاة ندعو الجفلى « ينتقر » ٢٨١

ز

فاخترت من جيد كل طرز «الخرز» ٢٠٣

س

وشيخ لا يترك أخلاقه «رمسه» ٢٣

والله والله لا أفاتحتمو أبدا «عباس» ١١١

وإن من أدبته في الصبا «غرسه» ٢٣، ٧٠

ناولتها شبه خديها مشعشعة «مقياس» ١٥٧

وابن اللبون إذا مالز في قرن «القناعيس» ١٣٦

كدحت بأظفاري وأعملت معولي «أملسا» ١٣٩

وتوقد المريخ بين نجومها «نرجس» ٢٣٢

وسنان قد خدع النعاس جفونه «للنرجس» ٢٢٥

ش

ولاحت الشمس تحكي عند مطلعها «مرتعش» ١٨٨

ض

كأن الثريا في أواخر ليلها «مفضض» ١٦٦

عشية حياني بورد كأنه «بعض» ٢٢٢

ط

كأن في غدرانها «يمط» ١٩٠

لم أر صفا مثل صف الزط «خط» ١٩٧

ع

وكأن النجوم بين دجاه «ابتداع» ٢٠٩، ٢١١

أيكلفني ذنب امرىء وتركته (رافع) ٢٩٠

له منظر في العين أبيض ناصع (أسفع) ٩٩

غيري بأكثر هذا الناس ينخدع (شجعوا) ٢٩١

إذا ما أغاروا فاحتووا مال معشر (الصنائع) ٩٧

أرى الناس طراحا مدين لخالقه (وصنائعه) ٢٩٠

تقص السفين بجانبيه كما (كرع) ١٩٢

فإنك كالليل الذي هو مدركي (واسع) ١٢٠، ١٣٣

عشية مالي حيلة غير أنني (مولع) ٢٣٥

كفاك لم تخلقا للندى (بدعه) ١٤٤

كأنما المريخ والمشترى (الرفعه) ٣١، ٣٨

ونضنض في حضني سحائل بارق (لامعه) ١٧١

أنظر إلى زهر الربيع (البديع) ٢٣١

فأصبحت من ليلى الغداة كقابض (الأصابع) ٥٠، ٨٤

كأن انقضاء البدر من تحت غيمه (وقوع) ٢١٣

ف

وزال فوق ما أصف (ألف) ٦
دهر علا قدر الوضيع به (شرفه) ١١٥
وقابلنى رمانتا غصن بانة (حقف) ٢٣٥
إنى رأيتك فى نومى تعانقنى (الألفا) ٤٢
تمت معاليه منه فى امرىء نصف
(توقافا) ١١١
وندمان سقيت الراح صرفا
(السجوف) ٢٢
دمن كأن رياضها (المطارف) ٢٢٧

ق

للبرق فيها لهب طائش «الأبلق» ١٧٨
كم حاسد حنق على بلا «الحنق» ٢٢٠
ضحوك إلى الأبطال وهو يروعهم
«رونق» ١٢٣٠، ١٢٥
كأن عيون النرجس الغض حولنا
«عقيق» ٦٠، ٩٤
ولئن نطقت بشكر برك مفصحا
«أنطق» ٩٧
المرء مثل هلال حين تبصره «يتسق» ١١٠
يا أيها القاضى الذى نفسى له «مشتاقه» ٢٢٠
فانهض بنار إلى فحم كأنهما «اتفقا» ٢١٤
أرقت أم نمت لضوء بارق «بارق» ١٧٠
طلبت إليكم بالغياب مودة «البوائق» ٨٠
وكأن أجرام النجوم لوامعا
«أزرق» ٤٠، ١٧٤، ١٧٩
كأنه وكأن الكأس فى فمه «شفقه» ٣٨
تكتب أيدى المزاح فيه لنا «تعريق» ١٦٤
ولقد ذكرتك والظلام كأنه
«يعشق» ١٧١، ٢١٢
غدوت فى ثوب من الليل خلق «أفق» ١٦٢
فيها خطوط من سواد (وبلق) ٣٦

ك

مكلل بأصول النجم تنسجه «حبك» ٢٣٠
وطاف بها ساق أديب بمغزل
«الفتك» ١٨٢
فدونكه موشى نمنمته «حوك» ١٧٣
كأن على أنيابها كل سحرة
«اللوائك» ٨، ١٥٩

ل

ويوم كإبهام القطاة محبب «باطله» ٩٠
أحلامنا تزن الجبال رزانة «تجهل» ١٥١
كأن له فى الجو حبلا يبوعه «حبل» ١٩٩
وبيضاء زغف نثلة سلمية «مرسل» ٢٢٨
عرفناك أما كعب عرضك فى العلا
«أسفل» ١٥٠
وإذا ابتدأت عروض نسج ريض
«تسهل» ١٢٦
ذكر الفتى عمره الثانى وحاجته
«أشغال» ١٠٣
ورآك للتشريف أهلا فاجتبى
«ويفعل» ١١٠

كم وقفة بحجرتك شـوقا بعدما
« العاذل » ٤٢
يدى لمن شاء رهن لم يذق جرعا
« والعسل » ١٢١ ، ١٣١
اصبر على مضض الحسود «وقاتله» ٢١
نجـومه ركد ليست بزائلة
« القناديل » ١٢١
فى ليل « صول » تناهى العرض
والطول « موصول » ٨٨
فعليك الرضاعا قسمته «والمجهولة» ٢٦٦
ياعاقد القلب منى (حلا) ٩٠
والثريا كأنها رأس طرف (المحلى) ٢٠
كأنه خد معشوق يقبله (خجلا) ٣٣
إن المطايا تشتكيك لأنها (ورمالا) ١٥٠
وفى الجـداول أسياف محادثة
(وأرمالا) ٢٣٧
ومن يك ذافم مر مريض (الزلالا) ٧٥
لمحى على تلك الشواهد منهما
(شمائلا) ١٠٨
فبذات نفسك مايكون بهاؤها
(ثقيلا) ١١٦
وسابقة من جيـاد الدروع
(صليلا) ٢٢٩
بدت قمرا وماست خوط بان (غزالا) ٣٥
والماء يفصل بين زهر (فصلا) ٢٣٧
غب عن بلادك وارج حسن مغبة
(الاقلالا) ١١٤
وفلا كآمال يضيق بها الفتى (قيلا) ٢١٦
مالرجل المال أضحت (الكلالا) ١٥٠
ياشبيه البدر حسنا (ومثالا) ١٦٧
بيض الوجوه كريمة أحسابهم
(الأول) ٢٠٣
نقل فؤادك حيث شئت من الهوى
(الأول) ٨٢
كأن قلوب الطير رطبا ويابسا
(البالى) ٣٤
غدا والصبح تحت الليل باد
(الجلال) ٣٩، ١٧٧، ١٧٩
وترى البرق عارضا مستطيلا
(الاجلال) ١٧٩
من طاعنى ثغر الرجال جآذر
(وخلاخل) ١٢٨
غلالة خده ورد جنى (مخال) ٥٧، ٢٢٢
قد سمعنا بالغر من آل ساسان
(الخوالى) ١١٢
فيالك من ليل كأن نجومه (بيذبل) ٢٢١
وكل صموت نثلة تبعية (ذائل) ٢٢٩
يكون نزول القوم فيها كلا ولا (رجل) ٨٩
كأنه عاشق قد مد صفحته (مرتحل) ١٩٦
حبر أبى حفص لعاب الليل (سيل) ٢٠١
والسيف مالم يلف فيه صيقل
(بصقال) ١١٦
يقعى جلوس البدوى المصطلى
(المصطلى) ١٩٦

مكر مفر مقبل مدبر معاً (عل) ١٩٤
فإن تفق الأنام وأنت منهم (الغزال)
٨٣ ، ٢١٩
أيقتلنى والمشرفى مضاجعى (أغوال)
٢٥٧ ، ٢٦٢ ، ١٦٣
إذا ما الثريا فى السماء تعرضت
(المفصل) ١٦٥
وذى شطاط كصدر الرمح معتقل
(وكل) ٦
صدغ الحبيب وحالى (كالليالى) ٢٥
رأيتك فى الذين أرى ملوكا (محال)
١١٩ ، ١٣٣
كأنه بين أحوال تداوله (منازله) ١١٤
وما التأنيث لاسم الشمس عيب
(للهلال) ١١٩ ، ١٣٢
وقد أغتدى والطير فى وكناتها (هيكل)
١٢٠ ، ١٢٥
والشمس كالمرآة فى كف الأشل
(الجبل) ١٦٩ ، ١٧٩ ، ١٨٨
مازال يعلو عجاج الدخان (زحل) ٢٢٦
حفت بسرو كالقيان تلحفت
(معتدل) ٩٤
فما سيل تخاصه المحانى (المناصل) ٢٣٦

م

فتى عزمه سيف حسام وسيفه (مبرم) ١١٦
لئن أصبحت مرتحلا بجسمى (مقيم) ٨٥
بكل حسام كالعقيقة صارم (دم) ١٦٨
سأرقم فى الماء القراح إليكم (راقم) ٤٠
والليل كالحلة السوداء لاح به
(مرقوم) ٢٠٣
حسن فى عيون أعدائه أقبح (السوام) ٩٩
وجه صبح ولكن (ظلام) ٢٣٣
وكأن إيماض السيوف بوارق
(مظلم) ١٦٨
كم تطلبون لنا عيبا فيعجزكم (والكرم) ٧٩
أأترك إن قلت دراهم خالد (للئيم) ٢٦٠
والثريا قبالة البدر تحكى (جاما) ٢٠
وتروم الثريا (مراما) ٢٠
إذا أنا عاتبت الملوك فإنما (أرقما) ٨٧
ولم أقض حق العلم إن كان كلما (سلما) ٨٠
شعلة فى المفارق استودعتنى (صميما) ١٠٠
هو البحر لا يأس من دره (طما) ١١٦
تظلم المال والأعداء من يده (ظلاما) ١٥٠
نخلت الدجى والليل قد مد خيطه
(معلما) ٢٠٢
أراك إذا أيسرت خيمت عندنا
(لماما) ١١٢
هما يلبسان المجد أحسن لبسة
(كلاهما) ٢٧٧
ترى احجاله يصعدن فيه (الجهام) ٣٧
أشارت بطرف العين خيفة أهلها
(تتكلم) ٩٦

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده
(والدم) ٧٤
يقتاعها كل فصل مكرم (السلم) ١٩٣
فيه الرماح وفيه كل سابغة سلام ٢٢٩
وزائرتى كأن بها حياء (الظلام) ١٣٨
ثم حاولت بالمثيقيل تصغير (التعظيم) ١٤١
نزلنا دوحه لحنا علينا (الفطيم) ١٣٨
والنفس كالطفل إن تهمله شب على
(ينفطم) ٩٥
إعلم وأنت المرء غير معلم (مفهم) ٤٨
ثم انصرفت وقد أصبت ولم أصب
(الإقدام) ١٢٠
قد سمرت جبهته بنجم « بنجم » ٢٣٢
غيرى جنى وأنا المعاقب فيكم « المتندم » ٢٩٠
قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت
« بالنعم » ١٤٦
لا يركنن أحـــد الى الاحجام
« لحمام » ١٣٥
لما لغط جنح الظلام كأنه « متهوم » ١٦٠
قد قاتلوا لو ينفخون فى فحم « أمم » ٥٠
عن أى ثغر تبتسم « تحتكم » ١٢٧
وكم قارح سمعا بوعظ بجيده « رقم » ٥٠
النشر مسك والوجوه دنانير « عنم » ٢٤
صحو وغيم وضياء وظلم « غم » ٢١٤
أأنثر درا بين سارحة الغنم « النغم » ٧٨

ن

له إليكم نفس مشرقة « بدنه » ١٠١
مخالفة أشكالهن فصفرة « جفون » ٢٢٤
بين السيوف وعينيه مشـــاركة
« أجفان » ١٢٩
فؤادى منك ملآن « إعلان » ١٢٧
لدى نرجس غض القطاف كأنه
« عيون » ٢٢٣
ألا إنما ليلى عصا خيزرانة « تلين » ١٥٢
أمر على الحانى ويغلظ جانبى
« وألين » ٤٩، ٩٨
سليمى أزمعت بينا « أينا » ٢٧٦
يهززن للمشى أوصالا منعمة
« يبرينا » ٢٣٤
أجهالا تقـول بنى لـؤى
« متجاهلينا » ٢٥١
إنى لأكثر مما سمتنى عجبا (تأسونى) ٤٧
وخمارة تعنى المسيح بربها (مبين) ١٩٣
لجاءت بها فى كأسها ذهبية (بجفون) ١٦٣
ودعجاء المحاجر من معد (الجنان) ١٥٢
كأنا وضوء الصبح يستعجـل الدجى
(جون) ١٨٤
رب ليل كأنه أملى فيك (بالحرمان) ٢١٦
وقيان كأنها أمهات (جوانى) ١٣٩
وكالسيف إن لاينته لان متنه
(خشنان) ١١٧

حملت ردينيا كأن سنانه (بدخان) ١٦٢

عتقت فى الدن حتى (ديبى) ٢١٩

ورق الجو حتى قيل هذا (والزمان) ٢١٨

أهدت يداه يدى وشرد جموده (أغانى) ١٤٨

لست ذا ذلة إذا عضنى الدهر (واتانى) ٩٨

شربت على سلامة أفتكين (اليقين) ٢١٨

ه

إذا زهتها الصبا أبدت بها حبكا (حواشيها) ٢٣٠

ضممته ضمة صرنا بها وحدا (خشيناها) ٤٣

علفتها تبنا وماء باردا (عيناها) ١٤

ولم أقل مثلك أعنى به (مشبه) ٢٨٩

وكأن الهلال نصف سوار (إليه) ١٩

ألا موت يباع فاشتريه (فيه) ١٨٩

ى

وأدهم يستمد الليل منه (الثريا) ٢٣٢

عيون آذريونها (كاليه) ١٨٣

ولو ان واش باليمامة داره (ليا) ١٣١

استدراكات

١ - : ص ٢٢ : ١٠ - : ورد البيتان « وندمان سقيت الراح إلخ » منسوبين لابن المعتز ، والصحيح أنهما لأبي هلال العسكري ، راجع ديوان المعاني « ١ : ٣١٠ » .

٢ - : ص ٢٢ : ١٠ – الأبيات « وكذاك وصل الغانيات إلخ » من قصيدة واحدة ، لكنها غير متتابعة.

٣ - : ص ٣٣ : ٦ – البيت « كأنه خد معشوق إلخ » للمفضل الضبي ، راجع شرح الشريشي لمقامات الحريري « المقامة السابعة » .

٤ - : ص ٤٣ هامش ٢ - : بعد كتابة التعليق على البيت « ضممته ضمة إلخ » اطلعت على بقية الشطر الأول هكذا « عدنا بها جسدا » في شرح العكبري لديوان المتنبي ٢ : ٢٥٣ والوساطة ص ١٨٨ « الطبعة الأولى » فلعلها رواية ، وإن كان « وحدا » أرجح لدقته .

٥ - : ص ٥ : ٢١ – كان في التعليق : « أو لأحيحة بن الجلاح جد الصحابي المشهور عياض بن عمرو بن مليك بن أحيحة وقد توفي أحيحة سنة ٦٠ ق هـ ، ٥٦٠ م » فسقطت كلمة « جد » وجملة « عياض » الخ التعليق ، وظهرت العبارة « أو لأحيحة بن الجلاح الصحابي المشهور » وهي ظاهرة الخطأ

٦ - : ص ١٤٢ : بين السطرين ٥ ، ٦ سقطت عبارة نصها : « وتظهره بعبارتك فإن لم يكن بينهما مشبه ، فيجب وضعها هناك .

٧ - : ص ٢٩٦ : بين السطرين ٤ ، ٥ سقطت عبارة نصها : « الفاعل بعينه لأنها لا تدل على معين ، وإنما الغرض طلب تعيين ، فيلزم إثباتها في موضعها .

جدول التصويب

ص	س	خطأ	صواب	ص	س	خطأ	صواب
٥	١٦	لاتحاد	الاتحاد	٥٥	٢٠	كتت	كتب
٩	٢	لمعنى	المعنى	٥٧	١	(٢)	(١)
٩	٥	كالدذنير	كالدنانير	٥٨	٦	شبهب	شبهت
٩	١٤	من أ	من أن	٦٨	١	ندّ	ندّ
١٠	١٠	لى تأول	إلى تأول ؟	٦٩	١٢	العنابة	العناية
١١	١٤	اتصاف	أن يوصف	٧٠	٦	تبين	لم تبين
		المشبه به	به « المشبه »	٧١	١٣	فشا	فشا
١٢	١٣	خظيب	خطيب	٧٥	١	طرّة	طرّة
١٢	١٧	لى قدر	إلى قدر	٧٨	١١	الأفواه	الأفوه
١٣	٢٠	الوصفى	الوضعى	٨٣	٢	يتوسل إليها	يتوسل
١٤	١٥	وتأولت	وتأوّلت			للغريب	للغريب
٢٢	١٥	المعقول	المحسوس	٨٦	٢٢	لم ـ لها عجو	لمها ـ عجم
		بالمحسوس	بالمعقول	٨٨	١٣	شرجها	شرحها
٢٤	١٢	مركبا ،	مركبا	٨٨	١٥	« المعارف »	« الحلبى »
٢٨	١٨	الأمر	الأمرين	٩٦	٢١	لخول	لخول
٣٧	٩	الأبيض	الأحمر	٩٧	٤	بركّ	برّك
٤١	٨	كلّ	كلّ	٩٨	٨	لهم لاغنى	لاغنى لهم
٤٨	١٩	آمنيا	أمينا	١٠٢	٢	ممدوحة	ممدوحه
٤٩	١٢	إلى تعدى إذا	إذا تعدى إلى	١٠٢	١٧	من ذلك	أصل ذلك
٥٠	١٠	تنفُخ	تنفَخ	١٠٣	٥	فاته	قاته
٥٣	٤	المستصعَب	المستصعِب	١٠٤	١٥	ثم دعى	ثم عمى
٥٣	٦	الاستعصاب	الاستصعاب	١١٢	١٢	يقول أن ابن	يقول ابن

ص	س	خطأ	صواب	ص	س	خطأ	صواب
١١٢	٩	جمعنا ـ أضر	جمعنا ـ أضر	١٦٨	٦	قُدٌ	قَدٌ
١١٤	١١	رغب	رِغب	١٧٤	٢	محمرا	محمرٌ
١١٥	١	غزواته	غزارته	١٧٥	٩	زيادة	زيادة فكر
١١٧	١	ن لا	لأنَّ	١٧٦	١٣	كلّنا	كلّنا
١١٧	٢١	دوا	دواني	١٩٣	٨	في هذا	هذا
١٢١	٣	ومن	من	١٩٧	١٤	الحنيثي اللسان	الخبيثي
١٢١	١٦	بي	بين	٢٠٥	٢٠	والقوح	والقدح
١٢١	٢١	والخليفة	الخليفة	٢٠٨	١٤	من الألفاظ	للالفاظ
١٢٢	٦	واحتناء ـ	واجتناء ـ	٢١٠	٩	السنن أعرف	السنن والبدع
		الفكر	المفكر				أعرف
١٢٥	١٤	تحريك	بتحريك	٢١٢	١٨	عرف	أعرف
١٢٧	٣	وردٌ	وردٌ	٢١٨	١٤	طهر أمره	ظهر أمره
١٢٧	١٣	وبخارى	وباخرى	٢١٨	١٤	من بويه	بن بويه
١٣٧	١٨	عودُ	عودٌ	٢١٨	١٩	بجحطة	بجحظة
١٣٨	١	وله	قوله	٢١٩	٨	وشفات	رشفات
١٤٢	٥	ترى	ترى بين	٢١٩	١٦	أنشد في	أنشدني
١٥٤	١٣	رقرب	وقرب	٢٢٢	٢٤	لخاللد	لخالد
١٦٠	٢٢	العباس	العباسي	٢٢٣	٥	القطر	يد القطر
١٦٣	٧	فق	أفق	٢٢٣	١٧	والغاء	والفاء
١٦٥	٣	فيها بعض	خالية	٢٢٥	١٢	أفلّ ـ فطار	أفلّ ـ فطارا
		انتفاخ ورطوبة	الوسط	٢٢٧	٤	« تلوّن »	« تلوّن »

ص	س	خطأ	صواب
٢٢٩	١٦	الطنطوى	الطنطاوى
٢٣٣	٢	(١)	(٢)
٢٥٣	١٧	ج لى	ج ٢
٢٥٧	١٠	اصطفاهم	أصفاهم
٢٥٨	٢٣	لمعشرقته	معشوقته
٢٥٩	١٦	الاستفام	الاستفهام
٢٦١	٥٤	لأنك أعجز من أن تفعل	لأنهما لايسبقان فى رأيك
٢٦٧	١٣	ص ٤٩	ص ٩٤
٢٧١	٤	هى القائلة له	شاركته فيه
٢٨٣	٣	وذكر فى	وتبعه فى
٢٨٩	٥	مشيه	مشبه
٢٩٠	١	المضاف	المضاف إليه
٢٩٠	١١	خيانة	جناية
٢٩١	١	حيوانا	أن حيوانا
٢٩٩	٨	ما جاء نى رجل	مارجل جاءنى

DATE DUE

JAFET LIB.
29 NOV 1999
Circulation Dept. 4

JAFET LIB.
30 JUN 2005
Circulation Dept.

JAFET LIB.
30 JUN 2009
Circulation Dept. 2

JAFET LIB.
23 MAY 2014
Circulation Dept. 4

JAFET LIB.
31 JAN 2004
Circulation Dept. 4

[redacted]
العدل ،عبد الهادى
دراسات تفصيلية شاملة لبلاغة عبد الق
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01030020

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT

UNIVERSITY LIBRARY